ابن عذاري المراكشي

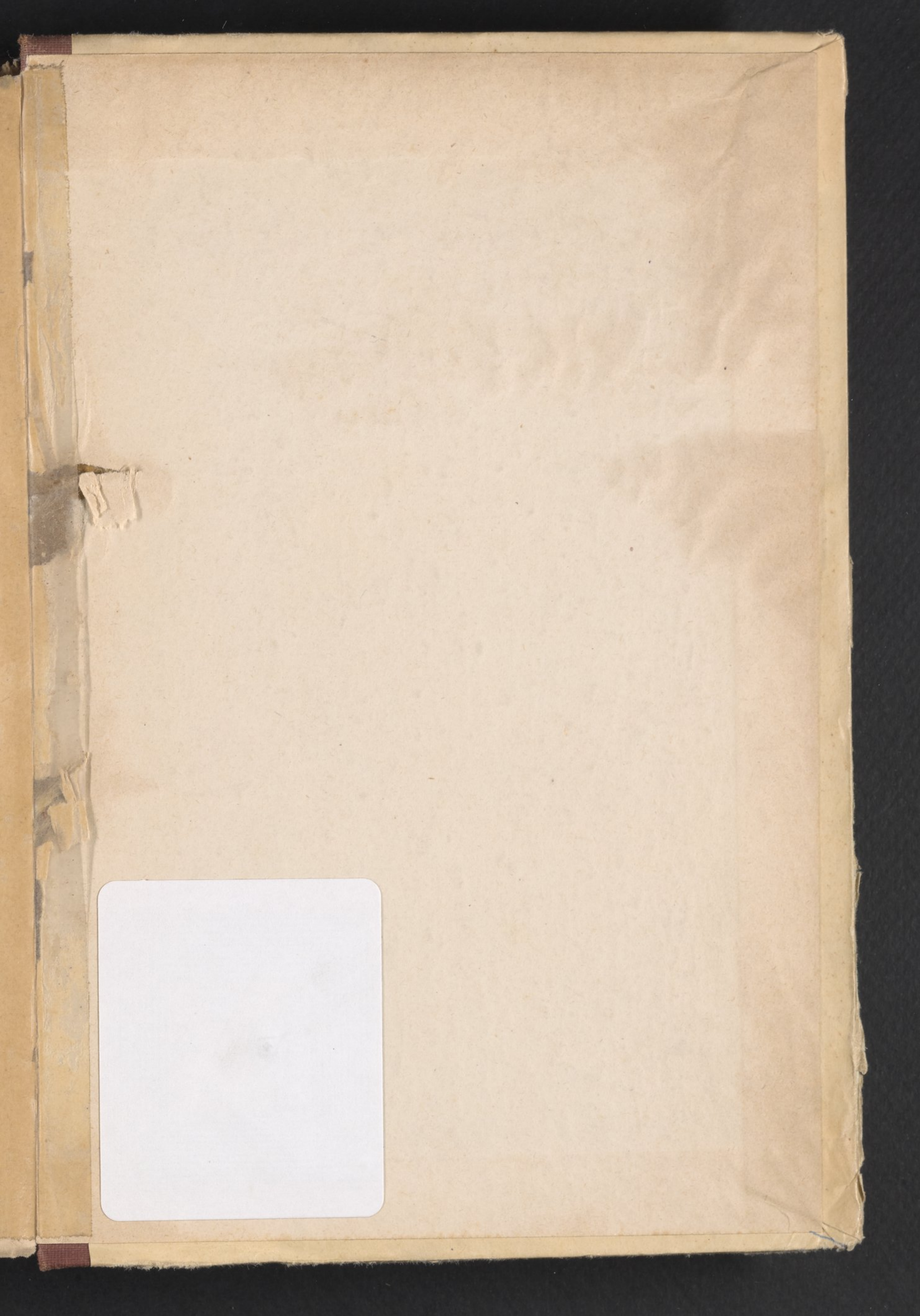
البيان المغرب في أخبار المغرب

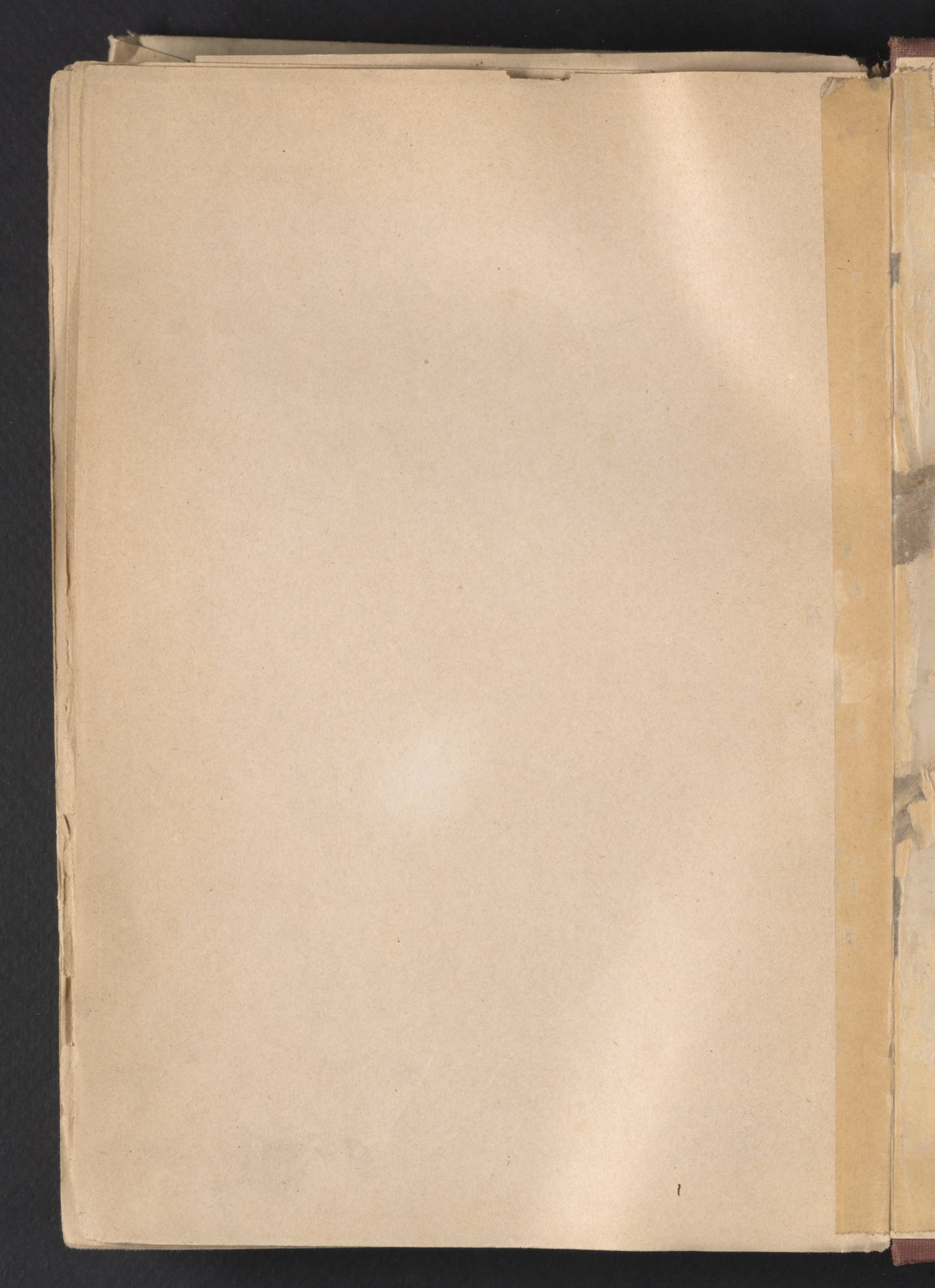
١

أخبار المغرب

مكتبة صادر
بيروت







ابن عذاري المراكشي

البيان المغرب في أخبار المغرب

١

أخبار المغرب

مكتبة صادر
بيروت

مطبعة المناهل : ٤٧ - ١٩٥٠

البيان المغرب

في

أخبار المغرب

هو تاريخ ابن عذاري المراكشي ، اعتنى بتصحيحه ونشره عن مخطوطات قديمة المستشرق رينحرت دُزي .

وضعه مؤلفه في جزئين ، الأول : في أخبار المغرب ، اختلطت به قطع من « نظم الجمان » لابن القطان . طبع في ليدن سنة ١٨٤٨ .

والثاني : في أخبار الأندلس ، اختلطت به قطع من تاريخ عريب ، وطبع في ليدن سنة ١٨٤٩ .

وقد كتب له المستشرق دزي مقدمة بالفرنسية بحث فيها في التواريخ التي وضعت عن المغرب والأندلس بحث الناقد الواسع الاطلاع وبين ما فيها من محاباة لأصحاب السلطان الذين كتبت في أيامهم ، ومن تشويه لبعض الحقائق . غير انه لم يعثر على شيء يدل على اسم ابن عذاري ، وحياته ، الا انه عاش في القرن الثالث عشر .

ويعدّ هذا التاريخ أشمل تاريخ لحوادث المغرب والأندلس السياسية والاجتماعية والادارية ، وللحروب التي دارت بين العرب والفرنجة او بين العرب بعضهم مع بعض .

وقد وقف المؤلف في أخبار المغرب عند سنة ٦٠٢ هـ ، وفي أخبار الاندلس عند سنة ٣٨٧ هـ بعد ذكره للامراء والولاة الذين تولوا افريقية لخلفاء بني أمية بعد سرده لآخر غزوات المنصور بن عامر مؤسس الدولة العامرية في الأندلس .

أخبار المغرب

ويقال ان بافريقية ساحلاً يقال له المنستير، وهو باب من ابواب الجنة؛ وبها جبل يقال له الممطور، باب من ابواب جهنم. وفي الحديث : ان افريقية يحشر منها سبعون الف شهيد ، وجوههم كالقمر ليلة البدر .

وعن ابن وهب ان النبي (صلعم) قال : البرد العظيم ... لا اهل افريقية . وعن سفيان بن عيينة قال : يروى ان بالمغرب باباً للتوبة، مفتوحاً مسيرة اربعين خريفاً ، لا يغلقه الله حتى تطلع منه الشمس .

ودخل افريقية من اصحاب رسول الله (صلعم) من المهاجرين الاولين ناس كثير ؛ ودخل الاندلس من التابعين ايضاً ناس كثير ؛ ومآثر اهل الغرب اكثر من ان تحصى ، فاول من دخل افريقية غازياً في زمن عمر بن الخطاب (رضه) عمرو بن العاص ، كان عمرو استفتح مصر في سنة ٢٠ من الهجرة الكريمة ووجه عقبة بن نافع الفهري الى زويلة وبرقة فافتتحهما، ثم توجه عمرو بنفسه الى برقة فصالح أهلها ، «دينار» على كل حالم . وتوجه الى اطرابلس فافتتحها بعدما استغاث اهلها بقبيل من البربر يقال لهم نفوسة ، اذ كانوا دخلوا معهم في دين النصرانية .

وفي سنة ٢١ من الهجرة الكريمة « فتح » عمرو بن العاص (رضه) الاسكندرية . وفي سنة ٢٢ افتتح بلاد اطرابلس وكتب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضه) يخبره بما افاء الله عليه من الفتح والنصر ، وان ليس امامه إلا بلاد افريقية ، وملوكها كثيرة واهلها « عديدون » واكثر ركوبهم الخيل، فأمره بالانصراف عنها ؛ فأمر عمرو بن العاص العسكر بالرحيل قافلاً الى مصر. واستشهد عمر (رضه) ، فلما ولي عثمان (رضه) الخلافة عزل عمرو بن العاص عن مصر، وولى عليها عبد الله بن سعد في سنة ٢٥ من الهجرة الكريمة .

وفي سنة ٢٧ من الهجرة أمر أمير المؤمنين عثمان (رضه) عبد الله بن سعد بن ابي سرح « بغزو » افريقية .

ذكر فتح ابن ابي سرح افريقية

« خرج جيش المسلمين الى فتح افريقية ، وفي » الجيش مروان بن الحكم وجمع كثير من بني امية « بينهم » عبد الله ابن الزبير بن العوام في عدة من قومه وعبد الرحمن « بن ابي بكر الصديق» رضي الله عنهما وعبد الله « بن العاص رضي» الله عنه « و كثير من » الناس ، « وفتح مستودعات » السلاح التي كانت « عنده » فتوافى الناس « وانضموا الى ». الجيش ، وذلك في المحرم من هذه السنة ، وأمر الناس فعسكروا وقام فيهم خطيباً فوعظهم وذكرهم وحرضهم على الجهاد ، ثم قال : وقد عهدت الى عبد الله بن سعد ان يحسن صحبتكم ويرفق بكم ، وقد استعملت عليكم الحارث بن الحكم الى ان تقدموا على عبد الله بن سعد بن ابي سرح فيكون الأمر له.

بعض اخبار عبد الله بن سعد بن ابي سرح

العامري وامرته ، وفتح افريقية على يديه

نسبه : هو عبد الله بن سعد بن ابي سرح العامري ، وكان يكتب الوحي لرسول الله (صلعم)، فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين بمكة . وكان معاوية بن ابي سفيان بمكة قد اسلم وحسن اسلامه فاتخذه رسول الله (صلعم) كاتباً للوحي بعد ابن ابي سرح ، فلما فتح النبي (صلعم) مكة استجار عبد الله ابن ابي سرح بدار عثمان (رضه) فاخذ له عثمان الأمان من النبي (صلعم). وكان ابن ابي سرح اخاً لعثمان من الرضاعة، فحسن اسلامه من ذلك الوقت . فلما افضت الخلافة الى عثمان (رضه) ولاه على ملك مصر وجندها ، فكان يبعث المسلمين في جرائد الخيل فيغيرون على أطراف افريقية ، فكتب الى عثمان يخبره بما نال المسلمون من عدوهم ، فكان ذلك السبب في توجيه الجيش اليه وتقديمه عليه ودخوله به للغزو الى افريقية .

فخرج عبد الله بن ابي سرح من مصر في عشرين الفاً الى افريقية وصاحبها بِطْريق يقال له جرجير ، وكان سلطانه من اطرابلس الى طنجة ، فبعث عبد الله السرايا في آفاق افريقية فغنموا في كل وجه . والتقى عبد الله مع البطريق ضحى النهار

بموضع يعرف بسبيطلة ، وكان جرجير صاحب افريقية والمغرب في مائة وعشرين الفاً ، فضاق المسلمون في امرهم واختلفوا على ابن سعد في الرأي ، فدخل فسطاطه مفكراً في الأمر . فلما رأى جرجير العرب اشتد رعبه واهمته نفسه فأخرج ديدبانه وصعد فيه يشرف على العساكر ويرى القتال فنثر السلاح « وبعث » ابنته فصعدت الديدبان وسفرت عن وجهها ، وكان عدة خدمها اللاتي صعدن معها الديدبان اربعين جارية من اجمل ما يكون في الحلى والحلل ، وقدم كراديسه كردوساً كردوساً وهو «في» الديدبان ثم قال لهم : أتعرفون هذه ؟ فقالوا : نعم هذه سيدتنا ابنة الملك «ومعها» خدم «القصر». فقال: والنصرانيةِ «من قتل» منكم عبد الله بن سعد أمير العرب « زففتها اليه وكانت هي وما » معها من الخدم والنعمة والزينة المهر له . «وألقى ذلك» على مسامع « رجاله ثم ». . . . قال لهم « عبد الله بن سعد ما سبق من قوله عن » ابنته ومن معها ثم « زحف بجيوش » المسلمين « وقبائل العرب » . وكان المسلمون في عدد قليل وجرجير في مائة وعشرين الفاً كما تقدم، فاختلفوا على ابن سعد في الرأي فدخل فسطاطه مفكراً .

ذكر قتل عبد الله بن الزبير (رضه)

لجرجير ملك افريقية والمغرب

قال عبد الله بن الزبير : فرأيت عورة من جرجير والناس على مصافّهم ، رأيته على برذون اشهب خلف اصحابه منقطعاً عنهم، معه جاريتان تظلانه من الشمس بريش الطواويس، فاتيت فسطاط عبد الله بن سعد، فطلبت الاذن عليه، فقال لي حاجبه: دعه فانه يفكر في شأنكم، ولو اتجه له رأي لظهر او دعا بالناس. فقلت : اني محتاج الى مذاكرته . فقال : انه امرني ان احبس الناس عنه حتى يدعوني . قال : فدُرتُ حتى كنت من وراء الفسطاط فرأى وجهي فأومأ اليّ برأسه: أن تعال. فدخلت عليه وهو مستلق على فراشه ، فقال : ما جاء بك يا ابن الزبير ؟ قلت : رأيت عورة من عدونا فرجوت أن تكون فرصة هيأها الله لنا وخشيت الفوت . فقام من فوره وخرج حتى رأى ما رأيت ، فقال : ايها الناس انتدبوا مع ابن الزبير الى عدوكم . فتسارع اليّ جماعة اخترت منهم ثلاثين فارساً ثم قلت : اني حامل فاصرفوا عن ظهري من ارادني وانا اكفيكم ما امامي ان شاء الله تعالى .

قال: فحملت في الوجه الذي هو فيه «وذبّ عني» الذين انتدبوا

معي واتبعوني حتى خرقت صفوفهم الى ارض خالية فضاء بيني وبينهم ، فما حسب إلا اني رسول اليه حتى رأى ما بي من اثر السلاح، فقدر اني هارب اليه، فلما ادركته طعنته فسقط فرميت بنفسي عليه والقت جاريتاه عليه انفسهما، فقطعت يد احداهما وأجهزت عليه ورفعت رأسه على رمحي ، وجال اصحابه وحمل المسلمون في ناحيتي وظفروا وانهزم الروم وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا. وثارت الكمائن من كل جهة ومكان ، وسبقت خيولُ المسلمين ورجالهم الى حصن سبيطلة فمنعوهم من دخوله، وركبهم المسلمون يميناً وشمالاً في السهل والوعر فقتلوا انجادهم وفرسانهم ، واكثروا فيهم الاسار حتى لقد كنت أرى في موضع واحد اكثر من الف اسير.

وذكر أشياخ من أهل افريقية ان ابنة جرجير لما قُتل ابوها تنازع الناس في قتله وهي ناظرة اليهم ، فقالت : ما لي أرى العرب يتنازعون ؟ فقيل : « في قتل » ابيك . فقالت : قد رأيت الذي ادرك ابي وقتله . فقال لها الامير ابن ابي سرح : هل « تعرفينه » اذا رأيته ؟.. قال : فمرّ الناس بين يديها حتى مرّ عبد الله بن الزبير فقالت : « هذا . فسأله » ابن ابي سرح : لمَ كتمتنا قتلك اياه ؟ فقال : قد علمه الذي « قتلته من أجله . فقال : لك » ابنته . فنفله ابن ابي سرح ابنة

الملك . . . بمن كان معه حصاراً شديداً . . . كثيراً وكان اكثر اموالهم الذهب والفضة ، وهو « الذي أخذ » افريقية بكراً فكانت توضع بين يديه اكوام الذهب والفضة ، فقال للافارقة : من اين لكم هذا ؟ فجعل رجل منهم يلتمس شيئاً في الارض حتى جاءوا بنواة زيتون ، فقال : من هذا اصبنا الاموال لان اهل البحر والجزر ليس لهم زيت فكانوا يشرون الزيت من هنا . فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار عيناً وسهم الراجل الف دينار . وبعث ابن ابي سرح السرايا والغارات من مدينة سبيطلة فبلغت خيوله قصور قفصة فسبوا وغنموا .

قال : فأذلت تلك الوقعة الروم بافريقية واصابهم رعب شديد فلجأوا الى الحصون والمعاقل ، ثم طلبوا من عبد الله بن سعد ان يقبل منهم ثلاثمائة قنطار من الذهب على ان يكفّ عنهم ويخرج من بلادهم ، فقبل ذلك منهم وقبض المال .

وكان في شرط صلحهم ان ما أصاب المسلمون قبل الصلح فهو لهم وما أصابوه بعد الصلح ردّوه عليهم . ودعا الأمير ابن سعد عبد الله بن الزبير فقال له : ما احد احقُّ بالبشارة منك ، فامض فبشر أمير المؤمنين عثمان (رضه) بالمدينة بما أفاء الله على المسلمين . فتوجه عبد الله بن الزبير من سبيطلة فقيل انه وافى المدينة في اربعة وعشرين يوماً ، وكانت اقامته بافريقية سنة وشهرين .

ثم وصل الفيء الى المدينة فبيع المغنم ، فظفر مروان بن الحكم على الخمس فاخذ منه خمسين ديناراً « فسلم له » فيه عثمان (رضه) ، فكان ذلك مما انتقد على عثمان (رضه) ، وفيه وفي رد الحكم أبيه بعد ان نفاه رسول الله (صلعم) يقول عبد الرحمن اخو كندة :

سأحلف بالله ، جهد اليمين ، ما ترك الله امراً سدى
ولكن خُلقت لنا فتنة ، لكي نبتلى بك او تبتلى
دعوت اللعين ، فأدنيته خلافاً لسنّة من قد مضى
واعطيت مروان خمس العبا د ، ظلماً لهم ، وحميت الحمى

وقال مروان بن الحكم يوماً في مجلس معاوية : ثلاث لم ادخل فيهن حراماً قط : داري بالمدينة ومالي بذي خُشب وصدقات نسائي . فنظر معاوية الى عبد الله بن الزبير وكان حاضراً ، وقال له : ما « تقول » فانك طعان فيما علمت ؟ فقال : مهلاً ابا عبد الملك ! خرجنا مع عبد الله بن ابي سرح الى افريقية « فما كان مروان » احسننا وجهاً ولا اكثرنا نفقة ولا اعظمنا . . . سام . . . منه . . .

نزل على شرف عال يُنظر منه الى البحر ، فلما بلغ ذلك يحفوراً اقلع في البحر منهزماً من غير قتال ، فاقبل ابن الزبير حتى نزل على باب سوسة ووقف على البحر وصلى بالمسلمين صلاة

العصر ، والروم يتعجبون من جرأته « فأخرجوا » اليه خيلًا ، وابن الزبير مقبل على صلاته لا يهوله خبرها حتى قضى الصلاة « ثم ركب » وحمل على الروم بمن معه فانكشفوا منهزمين ورجع ابن الزبير الى معاوية بن حديج « في » جبل القرن .

ثم وجه معاوية بن حديج عبد الملك بن مروان في الفي فارس الى جلولا ، فحاصرها أياماً وقتل من أهلها عدداً كثيراً حتى فتحها عنوة ، فقتل المقاتلة « وسبى الذرية » وأخذ جميع ما كان في المدينة ، وحمل ذلك كله الى معاوية بن حديج ، فقسمه بين المسلمين ، فيقال انه اصاب كل رجل منهم مائتي مثقال . واغزى معاوية بن حديج جيشاً في البحر الى صقلية في مائتي مركب فسبوا وغنموا وأقاموا شهراً ثم انصرفوا « بغنائم كثيرة » ورقيق واصنام منظومة بالجوهر فاقتسموا فيئهم ، وبعث « منها نصيب » معاوية بن ابي سفيان . هكذا نص عريب في مختصره للطبري .

ومن اخبار معاوية

ابن حديج الكندي بافريقية

قال الرقيق في كتابه : كان هرقـــل ملك القسطنطينية العظمى وروما يؤدي « اليه كل أحد من قومه » جزيته، منهم القومس صاحب الاسكندرية وبرقة ، ومنهـــم « صاحب » اطرابلس وصبرة، ومنهم صاحب صقلية وروم افريقية والأندلس. فلما بلغه « مـا صالح عليه » عبـد الله بن ابي سرح بعث الى افريقية بطريقاً يقال له اوليمة « ليأخذ منها » ثلاث مائة قنطار من الذهب كما أخـذ ابن ابي سرح . فنزل قرطاجنة وأخبرهم « بالأمر » وقالوا له : الذي كان بايدينا من الاموال فدينا بـه انفسنا من العرب « وأما الملك » فيأخذ عادته منا . وكان القيم بامرهم رجلًا يقال له حباحبة « فطردوا المرسل » اليهم واجتمع رأيهم على تقديم الاطريون . وصار حباحبة الى الشام « فوصف لمعاوية » حـال افريقية . . . وسأله ان يبعث معـه جيشاً الى الغرب ، فبعث « معاوية جيشاً بقيادة ابن حديج ، وذلك » في سنة ٣٠، فسار ابن حديج . . . عبـد الملك بن مروان قوسه . . . شجرة . . . ينة . . . انهدم . فصـاح في اثر النـاس فرجعوا فكان بينهم « قتـال » ودخلت المدينة عنوة واحتوى

المسلمون على جميع ما فيها كما تقدم ذكره ، « وكان » بين معاوية بن حديج وعبد الملك بن مروان تنازع في ذلك ، لان عبد الملك اراد « محاباة » اخوانه واصحابه لانه كان سبب فتح المدينة . فقال حنش الصنعاني يوماً لعبد الملك : ما شأنك ؟ فوالله لتلبسنّ الخلافة ويصيرن هذا الامر اليك ، فلا تغتم .. فلما افضت الخلافة الى عبد الملك وبعث الحجاج بن يوسف لقتال عبد الله بن الزبير أُخذ حنش « الصنعاني »اسيراً فبعث به الى عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : ألَسْتَ انت الذي بشرتني بالخلافة يوم جلولا ؟ قال : نعم . قال : فلِمَ مِلتَ عني الى ابن الزبير ؟ فقال له : رأيته يرفع الله وانت ترفع الدنيا ، فلذلك ملت اليه . فقال : قد عفوتُ عنك .

وفي سنة ٣٦ من الهجرة قال البلاذري : اول من غزا صقلية معاوية بن حديج ، بعث اليها عبد الله بن قيس واصاب فيها اصناماً من ذهب وفضة مكللة بالجوهر ، فحملت الى معاوية بن ابي سفيان فبعثها الى الهند يأخذ ثمنها ، فانكر الناس ذلك عليه انكاراً شديداً . وكان العامل على افريقية من قبل معاوية بن أبي سفيان معاوية بن حديج الكندي المتقدم ذِكْرُه . ذكره الطبري رحمه الله تعالى .

وفي سنة ٣٧ عزل معاوية بن ابي سفيان عبد الله بن عمرو

ابن العاص عن مصر وولاها معاوية بن حديـج الكندي فسار متوجهاً اليها مـن افريقية . وكان قد قتل محمد بن أبي بـكر الصديق (رضه) « فلقيه » عبد الرحمن بن أبي بكر فقال له : يا معاوية قـد اخذت اجرك من معـاوية بن أبي سفيان « لما قتلت محمد » بن أبي بكر ليوليك مصر ، فقد ولاكها. فقال : ما قتلت محمداً لولاية وانما قتلته « لقتله عثمان » (رضه) .

وفي سنة ٣٨ كان العامل على مصر وافريقية من قبل معاوية ابن ابي سفيان معاوية بن حديج .

وفي سنة ٣٩ غزا عقبة بن نافـع الفهري الروم في البحر باهل مصر .

وقال ابن ابي « الفياض » ان عقبة ولد قبـل وفاة النبي (صلعم) بسنة واحدة ؛ قال ابراهيم بن القاسم : ووصل عقبة ابن نافع الى افريقية في عشرة آلاف من المسلمين فافتتحهـا ودخلها ووضع السيف في من بهـا من النصارى ، ثم قال ان افريقية اذا دخلها امام اجابوه للاسلام ، « فاذ تركها » رجع من كان اجاب منهم لدين الله الى الكفر ؛ فأرى لكم يا معشر المسلمين ان تتخـذوا « مدينة » تكون عزّاً للاسلام الى آخر الدهر . فاتّفق الناس على ذلك وان يكون أهلهـا مرابطين « قرب البحر ليتم لهم » الجهاد والرباط . فقال عقبة : اني أخاف

ان يطرقها صاحب القسطنطينية ويملكها ، ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يدركها معه صاحب البحر ، واذا كان بينها وبين البحر ما لا يجب فيه التقصير للصلاة فهم مرابطون . فلما « تم رأيهم على » ذلك قال : قربوها من السبخة فان دوابّكم الابل وهي التي تحمل اثقالكم ، « فإذا كمل بناؤها لم يبقَ » لهم بد من الغزو والجهاد حتى يفتح الله لنا منها الأول فالأول، وتكون ابلنا « في » مراعيها آمنة من عادية البربر والنصارى .

قال الاشبيلي في مسالكه : « ان البربر لما » دخلوا المغرب وجدوا الافرنج قد سبقوهم اليه فأجلوهم حتى اصطلحوا على ان « يسكنوا الجبال » ويسكن الافرنج الأوطئة ، فبنوا المدائن بها . ورجع الخبر ، وفي سنة ٥١ شرع عقبة في ابتداء بناء القيروان وأجابه العرب الى ذلك ثم قالوا له : انك امرتنا بالبناء في شعار وغياض لا ترام ونحن نخاف من السباع والحيات وغير ذلك . وكان في عسكره ثمانية عشر رجلاً من أصحاب رسول الله (صلعم) وسائرهم من التابعين ، فدعا الله عز وجل وجعل اصحابه يؤمنون على دعائه ، ومضى الى السبخة «وواديها» ونادى : ايتها الحيات والسباع نحن اصحاب رسول الله (صلعم) فارحلوا عنّا فانّا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه . ونظر الناس بعد ذلك الى امر معجب من ان السباع تخرج من الشعار

تحمل اشبالها والذئب يحمل جروه والحيات تحمل اولادها ؛ ونادى في الناس : كفوا عنهم حتى يرتحلوا عنا .

فلما خرج ما فيها من الوحش والهوام وهم ينظرون اليها نزل عقبة الوادي وامرهم ان يقطعوا الشجر ، فاقام اهل افريقية بعد ذلك اربعين سنة لا يرون بها عقرباً ولا سبعاً ، واختط عقبة دار الامارة والمسجد الاعظم ولم يحدث فيه بناء وكان يصلي فيه وهو كذلك . فاختلف الناس في القبلة وقالوا : ان اهل الغرب يضعون قبلتهم على قبلة هذا المسجد فاجهد نفسك في امرها . فاقاموا مدة ينظرون الى مطالع الشتاء والصيف من النجوم ومشارق الشمس ؛ فلما رأى امرهم قد اختلف بات مغموماً فدعا الله عز وجل ان يفرج «عنه» فاتاه آتٍ في منامه فقال له : اذا اصبحت فخذ اللواء في يدك فاجعله على عنقك فانك تسمع بين يديك تكبيراً لا يسمعه احد من المسلمين غيرك ، فانظر الموضع الذي ينقطع عنك فيه التكبير فهو قبلتك ومحرابك . وقد رضي الله لك امر هذا العسكر وهذه المدينة وهذا المسجد ، وسوف يعزّ الله دينه بها ويذلّ بها من كفر .

فاستيقظ من منامه وجزع جزعاً فتوضأ وأخذ في الصلاة وهو في المسجد ومعه أشراف الناس . فلما انفجر الصبح وصلى ركعتين سمع التكبير بين يديه فقال لمن حوله : ألا تسمعون

ما أسمع ؟ قالوا : لا ! فعلم ان الأمر من عند الله. وأخذ اللواء فوضعه على عنقه ، وأقبل يتبع التكبير حتى وصل المحراب الذي في المسجد الجامع فانقطع التكبير ، فركز اللواء وقال: هذا محرابكم. فاقتدى به سائر مساجد المدينة .

ثم أخذ في بناء السور والمساجد والمساكن ، وشدّ الناس المطايا من كل بلد اليها، وعظم قدرها ، وكان دورها ثلاثة عشر ألف ذراع وستمائة ذراع، حتى استوى « امرها. » وكان عقبة خير والٍ وخير أمير مستجاب الدعوة .

وفي سنة ٥٥ استعمل معاوية بن أبي سفيان على مصر وافريقية مسلمة بن مخلد الانصاري، وعزل معاوية بن حديج عن مصر ، وعزل عقبة بن نافع عن افريقية فكانت ولايته اربعة « اعوام . وكان معاوية » قد ولى مسلمة مصر، فلما ولى مسلمة الآن افريقية عزل عقبة عنها وولى عليها « مولاه ديناراً ، أبا المهاجر ، وبقي » هو على مصر . جمع ذلك كله له معاوية من اطرابلس الى طنجة، وهو أول من جمع ذلك كله، ولم يزل والياً عليه حتى هلك معاوية بن أبي سفيان رحمه الله تعالى .

ولاية ابي المهاجر افريقية وعزله عقبة

ابن نافع عنها

لما جمع معاوية بن أبي سفيان ولاية المغرب لمسلمة بن مخلد استعمل على افريقية مولاه أبا المهاجر وعزل عقبة عن افريقية، فقيل لمسلمة بن مخلد والي مصر : «لو استعملت عقبة» على افريقية فان له سابقة وفضلاً ، وهو الذي بنى القيروان ومسجدها ... كأحدنا ... علينا في غير ولاية ولا كبير نيل ، فنحن نحب ان نكافئه... افريقية ، فأساء عزل عقبة ونزل خارجاً عن المدينة و ... حتى خلفه بميلين ... طريق تونس فا ... يتوجع : بلغني ان قوماً من قريش يستشهدون جميعاً . فقال عقبة : اللهم وأنا منهم . فكان منه ما تقدّم ذكره .

وصفة مدينة تهودا

هي مدينة ازلية ، بنيانها بالحجارة، لها اسواق كثيرة وربض واحد، وبها جامع جليل ومساجد وفنادق كبار، ويسكنها قوم من البربر .

وفي سنة ٦٤ دخل كسيلة البرنسي مدينة القيروان وانتزعها من يد المسلمين في محرم ، وذلك انه اجتمع معه جميع أهل

المغرب وزحف الى القيروان ، فعظم البلاءُ على المسلمين ، فقام زهير بن قيس خطيباً في الناس فقال : يا معشر المسلمين ! ان أصحابكم قد دخلوا الجنة وقد منّ الله عليهم بالشهادة، فاسلكوا سبيلهم، ويفتح الله لكم دون ذلك. فقال حنش الصنعاني: لا والله ما نقبل قولك ولا لك علينا ولاية ولا عمل افضل من النجاة بهذه العصابة من المسلمين الى مشرقهم. ثم قال: يا معشر المسلمين! من أراد منكم القفول الى مشرقه فليتبعني . فاتبعه الناس، ولم يبق مع زهير الا أهل بيته ، فنهض في أثره ولحق بقصره ببرقة، فاقام بها مرابطاً الى دولة عبد الملك بن مروان .

وأقبل كسيلة البرنسي بعساكره ، فلما قرب من القيروان خرج من كان فيها من العرب هاربين ، اذ لم يكن لهم طاقة بقتاله لعظيم ما اجتمع معه من البربر والروم، فامن كسيلة من بقي في القيروان من المسلمين وأقام بالقيروان أميراً على سائر افريقية والمغرب كله وعلى من فيه من المسلمين ، الى ان ولي الخلافة عبد الملك بن مروان .

وفي سنة ٦٥ ولي عبد الملك بن مروان ، فلما اشتدّ سلطانه واجتمع اكابر المسلمين عليه سألوه تخليص افريقية ومن بها من المسلمين من يد كسيلة اللعين ؛ فقال : لا يصلح لطلب دم عقبة من الروم والبربر الا من هو مثله ديناً وعقلاً. فاجتمع رأيهم

علی تقدیم زهیر بن قیس البلويّ ، وقالوا : هذا صاحب عقبة وأعلمُ الناس بسيرته وتدبيره واولاهم بطلب دمه . فوجه عبد الملك بن مروان الى زهير وهو ببرقة يأمره بالخروج على أعنّة الخيل الى افريقية ليستنقذ من في القيروان ، فكتب اليه زهير يعرفه بكثرة من اجتمع على كسيلة من البربر والروم ، فامدّه بالخيل والرجال والاموال ، وحشد اليه وجوه العرب وبعثهم اليه . فوفدت الجيوش على زهير وتسرّع الناس معه الى افريقية .

وفي سنة ٦٩ اقبل زهير بن قيس البلوي في عسكر عظيم الى افريقية ، فبلغ كسيلة بن لمزم قدومه اليه وعزمه عليه ، فجعل لا يهابه ولا يخاف منه ؛ وكان كسيلة في خلق عظيم من البربر والروم اضعاف ما مع زهير بن قيس مضاعفة ، فدعا اشراف البربر فقال لهم : اني رأيت ان ارتحل عن هذه المدينة ، فان بها قوماً من المسلمين لهم علينا عهود ، ونحن نخاف ان اخذنا القتال معهم ان يكونوا علينا ، ولكن ننزل على موضع مسيرهم على الماء ، فان عسكرنا خلق عظيم ، فان هزمناهم الى اطرابلس قطعنا آثارهم فيكون لنا المغرب الدهر ، وان هزمونا كان الجبل منا قريباً والصحراء نتحصن بها .

ذكر محاربة زهير بن قيس البلوي

رحمه الله مع كسيلة بن لمزم البرنسي

لمَّا رحل كُسيْلة عن القيروان نزل عليها زُهَير بن حرب ثلاثة أيام ، ولم يدخلها ؛ وفي اليوم الرابع رحل عنها حتى أشرف على عسكر كسيلة في آخر النهار ، فأمر الناس بالنزول . فلما أصبح وصلى زحف اليه . وأقبل كُسيلة ومن معه ؛ فالتقى الجمعان ، والتحم القتال بين الفريقين ؛ ونزل الضرّ ، وكثر القتل في الفريقين ، حتى يئس الناس من الحياة . فلم يزالوا كذلك حتى انهزم كسيلة وقُتل . ومضى الناس في طلب البربر والروم ؛ فلحقوا كثيراً منهم ، وقتلوهم ، وجدّوا في طلبهم الى وادي ملوية بالمغرب ؛ ففي تلك الوقعة ذهب رجال الروم والمشركون ، وقُتل ملوكهم وأشرافهم وفرسانهم . ثم انصرف زهير الى القيروان فأوطنها ، ففزع منه أهل افريقية ، واشتدّ خوفهم ، فلجأوا الى الحصون والقلاع . ثم ان زهيراً رأى بإفريقية مُلكاً عظيماً ، فأبى أن يقيم بها ، وقال : إني ما قدمتُ إلا للجهاد ! وأخاف أن تميل بي الى الدنيا فأهلك ! وكان من رؤساء العابدين ، وكبراء الزاهدين ، فترك القيروان آمنة ، وانصرف عنها ، وأقام بها كثيراً من أصحابه .

خروج زهير الى برقة وكيفية مقتله بها

ثم رحـــل زهير الى المشرق في خلق عظيم ؛ فبلغ الروم خروجه من افريقية الى بَرْقة ، فأمكنهم ما يريدون ، فخرجوا اليها في مراكب كثيرة ، وقوّة عظيمة ، فأغاروا على بَرْقة ، فأصابوا فيها سبياً كثيراً ، وقتلوا ونهبوا . ووافق ذلك قدوم عسكر زهير الى برقة من افريقية ؛ فأخْبِرَ زهير بخبرهم ، فأمر عسكره بالمسير الى الساحل ، طمعاً بأن يدرك سبي المسلمين فيستنقذهم . فأشرف على الروم ، وإذا هم في خلق عظيم . فلم يقدر على الرجوع ، وقد استغاث به المسلمون وصاحوا ، والروم يدْخِلونهم المراكب . فنادى بأصحابه : النزولَ ؛ فنزلوا . وكانوا أشراف العــابدين ، ورؤساء العرب المجاهدين ، أكثرُهم من التابعين . فنزل الروم اليهم وتلقوهم بعدد عظيم . والتحم القتال وتكاثرت عليهم الروم ، فقُتِل زهير (رضه) وأشرافُ من كان معـه من العرب . ومضى المسلمون الى دمشق ، فدخلوا عـلى عبد الملك بن مروان ، فأخبروه أن أميرهم وأشراف رجالهم قد استُشهدوا . فعظُم ذلك عليـه ، لفضل زهير ودينـه . وكانت مُصيبتُه مثل مُصيبة عُقبة قبـــله . فاجتمع أشراف العرب ، وسألوا عبد الملك أن ينظر لافريقية مَن يسدّ ثغرها ، ويُصلح

أمرها . فقال لهم عبد الملك : ما أرى أحداً كُفؤاً لافريقية كحَسّان بن النعمان !

وفي سنة ٧٤ مات عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضهما) . ذكر ان الحجاج بن يوسف سمّه ، في خبر طويل .

وفي سنة ٧٦ كان حدوث السكة في الاسلام . وأمر أمير المؤمنين عبد الملك بضرب الدنانير والدراهم بنقش الاسلام .

وفي سنة ٧٧ ثار المطرّف بن المغيرة بن شعبة على عبد الملك ابن مروان ، فكايده عبد الملك ، واحتال عليه الى أن قُتل . وفيها كان قتلُ رؤساء الخوارج .

ولاية حسان بن النعمان افريقية

وفي سنة ٧٨ قدم حسان بن النعمان إفريقية . اختاره لها عبد الملك بن مروان ، وقدّمه على عسكر فيه أربعون الفاً أقامه أولاً في مصر بالعسكر ، عدة لما يحدث . ثم كتب اليه يأمره بالنهوض الى إفريقية ، ويقول له : اني قد أطلقت يدك في اموال مصر ، فاعط من معك ومن ورد عليك ، واعط الناس ، واخرج الى بلاد افريقية ، على بركة الله وعونه !

بعض اخبار حسان بن النعمان

نسبه : هو حسان بن النعمان بن عدي بن بكر بن مغيث ابن عمرو مزيقيا بن عامر بن الأزد . قدم افريقية في عسكر عظيم ؛ فلم يدخل المسلمون قط افريقية بمثل ما دخلها حسان ابن النعمان . فلما حصل بالقيروان سأل أهل افريقية : من أعظم الملوك بها قدراً ؟ فقالوا : صاحب قرطاجنة دار ملك افريقية . فسار حسان حتى نزل عليها . وكان بها من الروم خلق لا يحصى كثرة . فخرجوا اليه مع ملكهم ؛ فقاتلهم حسان حتى هزمهم ، وقتل أكثرهم . ثم نازلها حتى افتتحها ، وهي كانت دار الملك بافريقية .

ذكر قرطاجنة افريقية

ويسميها أهل تونس اليوم المعلقة . وكانت قرطاجنة مدينة عظيمة ، تضرب أمواج البحر سورها . وهي من مدينة تونس على اثني عشر ميلًا . وكان بينهما قرى متصلة عامرة . وكان البحر لم ينحرف الى تونس ، وإنما انحرف بعد ذلك . وفي هذه المدينة آثار عظيمة ، وأبنية ضخمة ، وأعمدة ناتئة ، تدل على عظم قدرة الأمم الداثرة . وأهل تونس الى الآن لا يزالون

يطّلعون في خرابها على اعاجيب ومصانع لا تنقطع بطول الأزمان لمتأمل .

فلمّا وصل حسان اليها ، وقتل فرسانها ورجالها ، اجتمع رأي من بقي بها على الفرار منها . وكانت لهم مراكب كثيرة، فمنهم من مضى الى صقلية ، ومنهم من مضى الى الأندلس . فلمّا انصرف عنها حسان وعلم أهل بواديها وأقاليمها هروب الملك عنها ، بادروا اليها فدخلوها . فرحل اليها حسان ، ونزل عليها ، فحاصرها حصاراً شديداً حتى دخلها بالسيف ، فقتلهم قتلاً ذريعاً ، وسباهم ، ونهبهم . وأرسل لمن حواليها، فاجتمعوا اليه مسارعين ، خوفاً من عظيم سطوته ، وشدّة بأسه . فلما اتوه ، ولم يبق منهم أحد ، أمرهم بتخريب قرطاجنّة وهدمها ، فخربوها حتى صارت كأمس الغابر . ثم بلغه ان النصارى اجتمعوا ، وأمدّهم البربر بعسكر عظيم في بلاد صطفورة . فرحل اليها حسان حتى لقيهم ، وقاتلهم حتى هزمهم ، وقتل الروم والبربر قتلاً ذريعاً ، وحمل عليهم أعنّة خيله ، فما ترك من بلادهم موضعاً الا وَطِئَهُ . ولجأ الروم هاربين خائفين الى مدينة باجة ، فتحصّنوا بها ؛ وهرب البربر الى اقليم بونة . وانصرف حسان الى القيروان .

خبر حسان مع الملكة الكاهنة وهزيمتها له

لما دخل حسان القيروان أراح بها أياماً . ثم سأل أهلها عمن بقي من أعظم ملوك افريقية، ليسير اليه فيبيده أو يُسلم، فدلّوه على امرأة ، بجبل أوراس ، يقال لها الكاهنة ؛ وجميع من بافريقية مِن الروم منها خائفون ، وجميع البربر لها مطيعون، فإن قتلتها دان لك المغرب كله ، ولم يبق لك مضاهٍ ولا معاندٌ ! فدخل بجيوشه اليها . وبلغ الكاهنة خبره فرحلت من الجبل في عدد لا يحصى ، ولا يبلغ بالاستقصاء ، وسبقته الى مدينة باغاية ، فأخرجت منها الروم ، وهدمتها ، وظنت ان حساناً يريد مدينة ليتحصن بها منها . فبلغ خبرها حساناً ، فنزل بوادي سكتاتة . فرحلت الكاهنة حتى نزلت على الوادي المذكور. فكان هو يشرب من أعلى الوادي ، وهي من اسفله، فلما توافت الخيل دنا بعضهم من بعض ؛ فابى حسان ان يقاتلها آخر النهار . فبات الفريقان ليلتهم على سروجهم . فلما أصبح الصباح التقى الجمعان فتقاتلوا قتالاً لم يسمع بمثله ؛ وصبر الفريقان صبراً لم ينسبه أحد الى بعضه فضلاً عن كله ، الى ان انهزم حسان بن النعمان ومن معه من المسلمين الشجعان، وقتلت الكاهنة العرب قتلاً ذريعاً ، وأسرت ثمانين رجلاً من

أعيان أصحابه . وسمي ذلك الوادي وادي العذارى . واتبعته
الكاهنة حتى خرج من عمل قابس . فكتب حسان الى أمير
المؤمنين عبد الملك يخبره بذلك وأن أُمم المغرب ليس لها غاية ،
ولا يقف أحد منها على نهاية ؛ كلما بادت أُمة خلفتها أُمم ؛ وهم
من الحفل والكثرة كسائمة النعم. فعاد له جواب أمير المؤمنين
يأمره ان يقيم حيثما وافاه الجواب ، فورد عليه في عمل برقة ،
فأقام بها وبنى هنالك قصوراً تسمى الى الآن بقصور حسان .

وملكت الكاهنة المغرب كله بعد حسان خمس سنين . فلما
رأت ابطاء العرب عنها قالت للبربر : ان العرب انما
يطلبون من افريقية المدائن والذهب والفضة ؛ ونحن انما نريد
منها المزارع والمراعي ! فلا نرى لكم إلا خراب بلاد افريقية
كلها ، حتى ييأس منها العرب ، فلا يكون لهم رجوع اليها
الى آخر الدهر ! فوجهت قومها الى كل ناحية ، يقطعون
الشجر ، ويهدمون الحصون ؛ فذكروا أن افريقية كانت ظلًا
واحداً من إطرابلس الى طنجة ، وقرى متصلة ، ومدائن
منتظمة ، حتى لم يكن في اقاليم الدنيا أكثر خيرات ، ولا اوصل
بركات ، ولا اكثر مدائن وحصوناً من اقليم افريقية والغرب
مسيرة الفي ميل في مثله. فخربت الكاهنة، لعنها الله، ذلك كله،
وخرج يومئذ من النصارى والافارقة خلق كثير ، مستغيثين مما
نزل بهم من الكاهنة ؛ فتفرقوا على الأندلس وسائر الجزر البحرية.

وكانت الكاهنة، حين اسرت ثمانين رجلاً من اصحاب حسان احسنت اليهم ، وأرسلت بهم اليه ، وحبست عندهـــا خالد ابن يزيد . فقالت له يوماً : ما رأيت في الرجال اجمل منك ، ولا اشجع ! وانا اريد ان ارضعك ، فتكون أخـــاً لولدي ! وكان لها ابنـــان احدهما بربري ، والآخر يوناني . وقالت له : نحن جماعة البربر لنا رضاعٌ ، اذا فعلناه نتوارث به . فعمدت الى دقيق الشعير ، فلتته بزيت ، وجعلته على ثدييها ، ودعت ولديها ، وقالت : كلا معه على ثدييّ ! ففعـــلا ؛ فقالت : قد صرتم اخوة !

ذكر مقتل الكاهنة الملكة

ثم ان حساناً توافت عليه فرسان العرب ورجالها من قبل امير المؤمنين عبد الملك ، فدعا حسان عند ذلك برجل يثق به، وبعثه الى خالد بن يزيد بكتاب ، فقرأه وكتب في ظهره : ان البربر متفرقون ، لا نظام لهم ولا رأي عندهم ! فاطوِ المراحل ، وجدّ في السير ! وجعل الكتاب في خبزة وجعلها زاداً للرجل ، ووجهه بها الى الأمير حسان . فلم يغب عنه الاّ يسيراً حتى خرجت الكاهنة ناشرة شعرها ، تضرب صدرها ، وتقول : ويلكم ! يا معشر البربر ! ذهب ملككم فيما يأكله الناس ! فتفرقوا يميناً وشمالاً يطلبون الرجل ، فستره الله تعالى حتى وصل حساناً ، فكسر الخبزة وقرأ الكتاب الذي كتبه اليه خالد ، فوجده قد افسدته النار ؛ فقال له حسان : ارجع اليه ! فقال الرجل : إن المرأة كاهنة ، لا يخفى عليها شيء من هذا ! فرحل حسان اليها . وبلغ الكاهنة خبره ، فرحلت من جبل أوراس في خلق عظيم ورحل اليها حسان . فلما كان في الليل قالت لابنيها: اني مقتولة . وأعلمتهم انها رأت رأسها مقطوعاً موضوعاً بين يدي ملك العرب الاعظم الذي بعث حساناً . فقال لها خالد : فارحلي بنا، وخلي له عن البلاد!

فامتنعت ، ورأته عاراً لقومها . فقال لها خالد وأولادها : فما نحن صانعون بعدك ؟ فقالت : أما انت ، يا خالد ! فتدرك ملكاً عظيماً عند الملك الأعظم ! وأمّا أولادي فيدركون سلطاناً مع هذا الرجل الذي يقتلني ويعقدون للبربر عزاً ! ثم قالت : اركبوا واستأمنوا اليه ! فركب خالد وأولادها في الليل ، وتوجّهوا الى حسّان . فأخبره خالد بخبرها ، وانها علمت قتلها ، وقد وجّهت اليك أولادها . فوكّل بهما من يحفظهما ، وقدّم خالداً على أعِنّة الخيل . وخرجت الكاهنة ناشرة شعرها ، فقالت : انظروا ما دهمكم ! فإني مقتولة ! ثمّ التحم القتال ، واشتدّ الحرب والنزال ؛ فانهزمت الكاهنة ، واتّبعها حسّان حتى قتلها .

وكان مع حسان جماعة من البربر استأمنوا اليه ، فلم يقبل أمانهم إلا أن يعطوه من قبائلهم اثني عشر ألفاً يجاهدون مع العرب . فأجابوه وأسلموا على يديه . فعقد لولدَي الكاهنة ، لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس ، وأخرجهم مع العرب يجولون في المغرب ، يقاتلون الروم ومن كفر من البربر . وانصرف حسان الى مدينة القيروان ، بعدما حسن اسلام البربر وطاعتهم ، وذلك في شهر رمضان سنة ٨٢ . وفي هذه السنة استقامت بلاد افريقية لحسّان بن النعمان ، فدوّن الدواوين ،

وصالح على الخَرَاج ، وكتبه على عَجَم افريقية وعلى من أقام معهم على دين النصرانية .

وأقام حسّان بعد قتل الكاهنة ، لا يغزو أحداً ، ولا ينازعه أحد . ثم عزله عبد العزيز بن مروان الوالي على مصر ؛ وكان الوالي على مصر يولى على افريقية ؛ فعزل حسّاناً وأمره بالقدوم عليه . فعلم حسّان ما أراد عبد العزيز بن مروان ، أخو عبد الملك ، فعمد الى الجوهر والذهب والفضة ، فجعله في قِرَب الماء ، وأظهر ما سوى ذلك من الأمتعة ، وانواع الدوابّ ، والرقيق ، وسائر انواع الأموال. فلما قدم على امير مصر عبد العزيز بن مروان ، أهدى اليه مائتي جارية من بنات ملوك الروم والبربر، فسلبه عبد العزيز جميع ما كان معه من الخيل والأمتعة والوصائف والوصفان. ورحل حسان بالأثقال التي بقيت له ، حتى قدم على الوليد ، فشكا له ما صنع به عبد العزيز ، فغضب الوليد لذلك . ثم قال حسان لمن معه : ائتوني بقِرَب الماءِ ! ففرّغ منها من الذهب والفضة والجوهر والياقوت ما استعظمه الوليد ، وعجب من أمر حسان فقال له الوليد : جزاك الله خيراً يا حسان ! فقال : يا أمير المؤمنين ! إنما خرجتُ مجاهداً في سبيل الله ، وليس مثلي يخون الله ولا الخليفة! فقال له الوليد: أنا أرُدُّك الى عملك ، وأُحسن اليك ، وأنوه بك ! فحلف

حسّان : لا أُولي لبني أُميّة أبداً ! فغضب الوليد بن عبد الملك على عمه عبد العزيز .

وكان حسان يسمى الشيخ الأمين . وغزوات حسان لم تنضبط بتأريخ محقق ، ولا فتحه لمدينة قرطاجنة وتونس ، ولا قتله للكاهنة . وذكر ابن القطان أن عزل حسان وولاية موسى ابن نصير كان من قِبَل عبد العزيز بن مروان ، دون أمر أخيه عبد الملك ، ولا مشورته .

ذكر ولاية أبي عبد الرحمن موسى

ابن نصير افريقية والمغرب وبعض أخباره ، رحمة الله عليه

نسبه : قيل انه من لخم . وقيل من بكر بن وائل . وذكر ابن بشكوال في كتاب « الصلة » له أنه موسى بن نُصَير بن عبد الرحمن بن زيد . وكان موسى على خراج البصرة ، قدّمه عليها عبد الملك بن مروان ، فاحتجن الأموال لنفسه ، على ما ذُكِر . فأوصى الحجّاج به ألا يفوته ؛ فخافه موسى وقصد الى عبد العزيز بن مروان صاحب مِصر ، لانقطاعٍ كان منه اليه . فتوجّه عبد العزيز مع موسى الى الشام ، فوفدا على عبد الملك ؛ فأغرمه عبد الملك مائة ألف دينار ، فغرم عنه عبد العزيز نصفها . وعاد مع عبد العزيز الى مصر ، فولاّه منها افريقية .

فأوّل فتوحه زغوان ونواحيها . وبينها وبين القيروان مسيرة يوم كامل . وبنواحي زغوان قبائل بربر بعَث اليهم موسى خمسمائة فارس ، ففتحها الله ، فبلغ سبيُهم عشرة آلاف ، وهو أول سبي دخل القيروان في ولاية موسى . ثم وجّه ابناً له اسمه عبد الله الى بعض نواحي افريقية فأتى بمائة ألف رأس . ثم وجّه ابنه مروان فأتى بمثلها . فكان الخُمُس يومئذ ستين ألفاً . فكتب موسى الى عبد العزيز يعلمه بالفتح ، ويعلمه أن

الخُمُس بلغ ثلاثين ألفاً . وكان ذلك وهماً من الكاتب : كتب ثلاثين ألفاً بدلاً من ستين ألفاً . فلما قرأ عبد العزيز ابن مروان الكتاب ، وأنّ الخُمُسَ من السبي ثلاثون ألفاً ، استكثر ذلك ، ورأى أنه وهمٌ من الكاتب لكثرته . فكتب الى موسى يقول له : إنه قد بلغني كتابك تذكر انّ خُمُسَ ما أفاء الله عليك ثلاثون ألف رأس ، فاستكثرت ذلك ، وظننته وهماً من الكاتب . فاكتب بالحقيقة ! فكتب اليه موسى : قد كان ذلك وهماً من الكاتب على ما ظنه الأمير ! والخُمُس ، أيها الأمير ! ستون الف رأس ثابتاً بلا وهم ! فلما بلغه الكتاب امتلأ سروراً . وقد كان عبد الملك كتب الى أخيه عبد العزيز : قد بلغ أمير المؤمنين ما كان من رأيك في عزل حسان وتولية موسى . وقد أمضى لك أمير المؤمنين ما كان من رأيك وولاية من ولّيت . فكتب عبد العزيز الى اخيه يعلمه بالفتح وبكتاب موسى . ثم وجّه عبد الملك رجلاً الى موسى ليقبض ذلك منه على ما ذكر ، فدفع ذلك للرسول وزاد ألفاً .

وكان موسى عند وصوله الى افريقية ، لمّا صار في الجيش الأول ، أتى عصفور حتى نزل على صدره ، فأخذ به موسى وذبحه ولطّخ بدمه صدره من فوق الثياب ، ونتف ريشه ، وطرحه على نفسه وقال : هو الفتح ! ورب الكعبة !

قال ابن قُتَيْبَة : فتح موسى بن نصير سجومة وقتل ملوكها وأمر اولاد عُقبة : عياضاً وعثمان وأبا عبدة ، أن يأخذوا حقهم من قاتل أبيهم ؛ فقتلوا من أهـل سجومة ستمائة رجل من كبارهم . ثم قـال لهم : كُفّـوا ! فكَفوا ، وذلك سنة ٨٣ على قول من قال إنه ولي فيها .

ثم فتح موسى هوارة وزناته و كتامة ، فأغار عليهم وقتلهم وسباهم ، فبلغ سبيُهم خمسة آلاف رأس . وكان عليهم رجل يقال له طامون ، فبعث بـه موسى الى عبد العزيز بن مروان ، فقتله عند البركة التي عند قرية عُقبة ، فسُميت بركة طامون الى اليوم . وكانت كتامة قـد قدِمت عـلى موسى ، فولى عليهم رجلًا منهم ، وأخذ منهم رهائن من خيارهم .

وفي سنة ٨٥ توفي عبـد العزيز بن مروان ، صاحب مُلك مِصر من قِبَل أخيه عبد الملك بن مروان . ووليها عبد الله بن عبـد الملك بن مروان . وكان عبد الملك بن مروان أراد أن يخلع اخاه عن مصر في هذه السنة ، على ما فعل من عزل حسان ابن النعمان وفَيئه . فنهاه قُبيصة بن ذؤيب ، وقـال : لعلّ الموت يأتيه فتستريح منـه ! فكفّ عبد الملك عنه ، وبقيت نفسه تنازعه أن يخلعه . فبينا هو على ذلك ، وروح بن زنباع الجُذامي يقول له يوماً : لو خلعته ما انتطح فيه عنزان ! إذ

دخل عليهما قبيصة ، فقـال : آجرك الله يا أمير المؤمنين في أخيك ! فقـال : وهل توفي ؟ قال : نعم ! فقـال عبد الملك : كفانا الله يا أبا زرعة ما كنّا اجتمعنا عليه ! وكانت وفاة عبد العزيز في جمادى الاولى .

وفي سنة ٨٦ توفي عبـد الملك بن مروان أمـير المؤمنين ، فكتب الوليد الى عمه عبد الله بن مروان بولاية موسى بن نصير افريقية والمغرب ، وقطعها عن عمه . وكانت أكثر مدن افريقية خاليةً باختلاف أيدي البربر عليها .

فتح المغرب الاقصى على يدي

موسى بن نصير رحمه الله

خرج موسى غازياً من افريقية الى طنجة ، فوجد البربر قد خرجوا الى الغرب خوفاً من العرب . فتبعهم وقتلهم قتلاً ذريعاً ، وسبى منهم سبياً كثيراً ، حتى بلغ السوس الأدنى ، وهو بلاد دَرعة . فلما رأى البربر ما نزل بهم استأمنوا وأطاعوه. فولى عليهم والياً، واستعمل مولاه طارقاً على طنجة وما والاها، في سبعة عشر ألفاً من العرب واثني عشر ألفاً من البربر . وأمر العرب ان يُعلّموا البربر القرآن ، وأن يفقّهوهم في الدين . ثم مضى موسى قافلاً الى افريقية .

قال ابن القطّان : وذُكر ان موسى بن نُصير بعث إثر بيعته للوليد ، في هذه السنة المؤرخة ، زُرعة بن أبي مدرك الى قبائل من البربر ، فلم يلقَ حرباً منهم . فرغبوا في الصلح منه ، فوجّه رؤساءهم الى موسى بن نصير ، فقبض رهونهم . ثم عقد لعيّاش بن أخيل على مراكب افريقية ؛ فمشى في البحر الى صقلية ، فأصاب مدينة يقال لها سرقوسة ، فغنمها وجميع ما بها وقفل سالماً غانماً .

ولمّا حمل أبو مدرك زرعة بن أبي مدرك رهائن المصامدة ،

جمعهم موسى مع رهائن البربر الذين أخذهم من افريقية والمغرب وكانوا على طنجـة ، وجعل عليهم مولاه طارقاً ، ودخـل بهم جزيرة الأندلس . وترك موسى بن نصير سبعة عشر رجـلًا من العرب ، يعلّـمونهم القرآن وشرائع الاسلام . وقد كان عقبة بن نافِـع ترك فيهم بعض أصحابه يعلّـمونهم القرآن والاسلام: منهم شاكر وغيره . ولم يدخل المغرب الاقصى أحد من ولاة خلفاء بني أميّة بالمشرق إلا عقبة بن نافع الفهري ، ولم يعرف المصامدة غيره . وقيل إنّ أكـثرهم أسلموا طوعاً على يدَيه . ووصل موسى بن نصير بعده .

وفي سنة ٩٢ من الهجرة خرج طـارق الى الاندلس ، وافتتحها بمن كان معـه من العرب والبربر ، ورهـائنهم الذين تركهم موسى عنده ، والذين أخذهم حسّان من المغرب الأوسط قبله . وكانت ولاية طارق على طنجة والمغرب الأقصى في سنة ٨٥ . وفي هـذا التاريخ تم إسلام أهـل المغرب الأقصى ، وحولوا المساجد التي كان بناها المُشركون الى القِبلة ، وجعلوا المنابر في مساجد الجماعات . وفيها صُنع مسجد أغمات هيلانة.

نسب طارق : هو طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن ورفحوم بن نبرغاسن بن ولهاص بن يطومت بن نفزاو . فهو نفزي ذُكِر أنه من سبي البربر ، وكان مَولى موسى بن نصير .

وفي سنة ٩٣ جاز موسى بن نصير الى الاندلس ، فعبر البحر غاضباً على طارق ، ومشى على غير طريقه ، وفتح فتوحاً كثيرة ، يقع ذكرها ، ان شاء الله ، في الجزء الثاني من هذا الكتاب ، في فتح الاندلس .

وفيها ولي عبد الله بن موسى افريقية عوضاً من أبيه ، حين توجه الى الاندلس الى ان وصل أبوه منها متوجهاً الى المشرق ، فقدم مدينة القيروان في أواخر سنة ٩٥

وفي سنة ٩٥ انصرف موسى من الاندلس الى افريقية ، بما أفاء الله عليه ، فاجاز الأموال من الذهب والفضة والجوهر في المراكب الى طنجة ، ثم حملها على العجلات .

قال الرقيق : كانت وسْق مائة عجلة وأربع عشرة عجلة . وكانت المائدة من ذهب ، يشوبه شيء من فضة ، مطوّقة بثلاثة أطواق : طوق ياقوت ، وطوق زبرجد ، وطوق لؤلؤ ، وحُمِلت يوماً على بغل عظيم أفْره وأقوى ما وُجد ، فما بلغ المرحلة حتى تفتّحت قوائمه .

قال الليث بن سعد : لم يُسمَع قط بمثل سبايا موسى بن نصير في الاسلام .

ولمّا قدم عليه ابنه من السوس خرج للقائه مع وجوه الناس . فلما التقيا قال مروان بن موسى لرجاله : مُرُوا

لكلّ من خرج مع والدي بوصيف أو وصيفة . وقال موسى : مُرُوا انتم لهم من عندي بمثل ذلك ! فرجع الناس كلهم بوصيف أو وصيفة . ومن أخبار موسى بن نصير ايضاً رحمه الله : لمّا انصرف من الأندلس ولى عليها ابنه عبد العزيز ، وشخص قافلاً الى افريقية . فقدم القيروان في آخر سنة ٩٥ فلم يدخلها ونزل بقصر الماء . ثم قعد في مجلسه ، وجاءته جيوش العرب من القيروان ؛ فمنهم من سافر معه ، ومنهم من تخلّف مع ابنه عبد الله بإفريقية . فقال لأصحابه : أصبحتُ اليومِ في ثلاث نِعَم : منها كتاب أمير المؤمنين بالشكر والثناء ، ثم وصف ما أجرى الله على يديه من الفتوحات ؛ وكتاب ابني عبد العزيز يصف ما فتح الله عليه في الأندلس بحمد الله تعالى ! فقاموا اليه فهنأوه ؛ وأمّا الثالثة ، فأنا أُريكموها ! وقام فأمر برفع ستر ، فاذا فيه جوار مختلفات ، كأنهنّ البدور الطوالع ، عليهنّ الحِليُ والحُلَل . فهُنِّىء أيضاً بذلك . فقال عليٌّ بن رباح السلمي : أيها الأمير ! أنا أنصح الناس اليك : ما من شيء انتهى إلا ورجع ! فارجِع قبل أن يُرجَع بك . قال : فانكسر موسى ، وفرّق جواريه من حينه .

ثم رحل الى المشرق ، وخلف على افريقية ابنه عبد الله ، وعلى الأندلس ابنه عبد العزيز ، وعلى طنجة ابنه عبد الملك .

وقال ابن القطان : الأكثرون يقولون إنّ مستقر طارق قبل محاولة الأندلس كان بطنجة . ومنهم من يقول : كان بموضع سجلماسة ؛ وإنّ سلا ، وما وراءها من أرض فاس وطنجة وسبتة ، كانت للنصارى . قال : واختلف الناس هل دخل موسى القيروان في هذه الوجهة أم لا .

ثم رحل عنها مع بقية أولاده : مروان ، وعبد الأعلى ، وغيرهما ، ومعه أشراف الناس من قريش والأنصار وسائر العرب ، ومن وجوه البربر مائة منهم : بنو كُسَيلة بن لمزم ، وبنو يسدر ومزدانة ملك السوس وملك ميورقة ومنورقة ، ومن أولاد الكاهِنة ، ومائة من وجوه ملوك الروم الاندلسيين ، وعشرون ملكاً من ملوك المدائن التي افتتحها بافريقية . وخرجوا معه بأصناف ما كان في كل بلد من طُرَفها ، حتى انتهى الى مصر ، فلم يبق بها فقيه ولا شريف الا وصله وأعطاه . ثم خرج من مصر متوجهاً الى فلسطين ، فتلقاه آل رَوح بن زنباع ونحروا له خمسين بعيراً . ثم خرج وترك عندهم بعض أهله وصغار ولده ، وأعطى آل روح بن زنباع عطاءً جزلاً . ثم وافاه كتابُ الخليفة الوليد بن عبد الملك ، يأمره بشدّ السير اليه ، ليدركه في قيد الحياة ، وكان مريضاً . ووافاه كتاب من سليمان بن عبد الملك ، ولي عهد أخيه الوليد ، يأمره بالتأنّي

والتربُّص . فأسرع موسى ، ولم ينظر في كتاب سليمان ، الى أن وصل الى الوليد قبل موته بثلاثة أيام . فقال سليمان : لئن ظفرت به لأصلِبَنّه ! فدفع موسى الأموال والمائدة والدُرّ والياقوت والتيجان والذهب والفضة الى الوليد بن عبد الملك .

وقال المسعوديُّ ، في كتابه المسمى بعجائب البلاد والزمن، قال : لما فتح طارق طليطلة وجد بها بيت الملوك ، ففتحه ، فوجد فيه زَبورَ داود (ع . م) في ورقات ذهب ، مكتوبة بماءِ ياقوت محلول ، من عجيب العمل ، الذي لم يكد يُرى مثله، ومائدة سليمان (ع . م) وقد تقدم وصفها . ووجد فيه أربعة وعشرين تاجاً منظومة بعدد ملوك القوطيين بالاندلس : اذا توفي أحدهم جعل تاجه بذلك البيت ، وفعل الملك بعده لنفسه غيره ، جرت عوائدهم على ذلك . ووجد فيه قاعة كبيرة مملوءة بإكسير الكيمياء . فحمل ذلك كله الى الوليد بن عبد الملك .

وفي سنة ٩٦ توفي الوليد بن عبد الملك في جمادى الآخرة وولي الخلافة سليمان ، فغضب على موسى غضباً عظيماً ، وأمر عليه ، فأوقف ، في يوم شديد الحرّ ، في الشمس ، وكان رجلاً بادناً ذا نسمةٍ . فوقف حتى سقط مغشياً عليه . وقال له سليمان : كتبت اليك فلم تنظر كتابي ! هلمّ مائة الف دينار ! فقال : يا أمير المؤمنين ! قد أخذتم ما كان معي من

الاموال ، فمن أين لي مائة الف ؟ فقال سليمان : لا بد من مائتي الف ! فاعتذر ؛ فقال : لا بد من ثلاثمائة الف دينار ! وامر بتعذيبه ، وعزم على قتله . فاستجار بيزيد بن المهلَّب ، وكانت له حظوة عند سليمان ، فاستوهبه منه ، وقال : يؤدي ما عنده! وقيل إن موسى افتُديَ من سليمان بالف الف دينار . ذكر ذلك ابن حبيب وغيره . ثم إن يزيد بن المهلب سهر ليلة مع الأمير موسى ؛ فقال له : يا أبا عبد الرحمن ! في كم كنت تعتدُّ ، انت وأهل بيتك ، من الموالي والخدام ؟ أتكونون في الف ؟ فقال : نعم ! وألف ألف ! قال : فلِمَ القيت بيدك الى التهلكة ؟ أفلا أقمت في قرار عزك ، وموضع سلطانك ؟ فقال : والله ! لو أردت ذلك لما نالوا من أطرافي شيئاً ! ولكني آثرت الله – عز وجل ! – ولم أرَ الخروج عن الطاعة! وقيل إن سليمان بن عبد الملك ، بعدما افتُدي منه موسى ، دعا يوماً بطست من ذهب ؛ فرآه موسى ينظر اليه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! انك لتعجب من غير عجب ! والله ! ما احسب أن فيه عشرة آلاف دينار ! والله ! لقد بعثت الى أخيك الوليد بتنور من زبرجد أخضر كان يصب فيه اللبن فيخضر ، ولقد قوّم بمائة الف دينار ! ولقد أصبت كذا وكذا ! وجعل يكثر عليه في ذلك حتى بهت سليمان من قوله .

وكان مولد موسى بن نُصير سنة ١٩ ، ووفاته سنة ٩٨ .
فكان عمره تسعاً وسبعين سنة . وفي سنة ٨٨ ولي افريقية ،
فأقام عليها أميراً وعلى الاندلس والمغرب كله نحو ثماني عشرة
سنة ، الى أن مات . ومما ذُكر في وفاته أنه حج مع سليمان ،
فلما وصلا المدينة قال موسى بن نُصير لاصحابه : لَيموتن
بعد غد رجل قد ملأ ذكره المشرق والمغرب ! وكان يعني نفسه.

ولاية محمد بن يزيد افريقية والمغرب

قال الواقدي رحمه الله : ثم ان امير المؤمنين سليمان بن عبد الملك رحمه الله قال لرجاء بن حياة : أُريد رجلًا ، له فضل في نفسه ، اوليه افريقية . فقال له : نعم ! فمكث اياماً ، ثم قال : قد وجدت رجلًا له فضل. قال : من هو ؟ قال : محمد بن يزيد مولى قريش . فقال : ادخله علي . فأدخله عليه . فقال سليمان: يا محمد بن يزيد ! اتق الله وحده لا شريك له ! وقم فيما وليتك بالحق والعدل ! وقد وليتك افريقية والمغرب كله.قال: فودّعه وانصرف وهو يقول : ما لي عذر عند الله إن لم اعدل .

وفي سنة ٩٧ من الهجرة استقر محمد بن يزيد بافريقية بأحسن سيرة واعدلها . ثم وصله الأمر بأخذ عبد الله بن موسى ابن نصير ، وتعذيبه ، واستئصال اموال بني موسى . فسجنه محمد وعذبه ، ثم قتله بعد ذلك . وكان سليمان قد امره بأخذ اهل موسى وولده وكل من تلبس به ، واستئصال اموالهم ، وتعذيبهم ، حتى يؤدوا ثلاثمائة الف دينار . وتولى قتل عبد الله ابن موسى خالد بن حبيب القرشي . واما عبد العزيز بن موسى فخلع دعوة بني مروان واستبد بأمره لما بلغه ما نزل بأبيه وأخيه وأهل بيته . وجاءت الكتب الى حبيب بن أبي

عبدة ووجوه العرب من سليمان بن عبد الملك ، يأمرهم بقتله ، فقتلوه ، وحمل رأسه ورأس اخيه عبد الله حتى وضعا بين يدي ابيهما موسى ، وهو في عذابه . فكان فعل سليمان هذا بموسى وبنيه ، وقد فعل من الفتح في الاسلام ما فعل ، من هفوات سليمان التي لم تزل تُنقم عليه .

واستعمل محمد بن يزيد على الأندلس الحرّ بن عبد الرحمن القيسي ، وكانت الأندلس اذ ذاك الى والي افريقية ، كما كان ايضاً والي افريقية من قبل والي مصر . وكان محمد بن يزيد يبعث السريّة الى ثغور افريقية ، فما اصابه قسمه عليهم . وكانت ولايته سنتين وأشهراً .

وفي سنة ٩٩ توفي سليمان بن عبد الملك . واستخلف عمر ابن عبد العزيز (رضه) يوم وفاته ، فاستعمل على افريقية اسماعيل بن عبد الله بن ابي المهاجر ، مولى بني مخزوم .

وفي سنة ١٠٠ وليَ اسماعيل بن ابي المهاجر افريقية من قبل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، فكان خير أمير وخير والٍ . وما زال حريصاً على دعاء البربر الى الاسلام حتى اسلم بقية البربر بافريقية على يديه في دولة عمر بن عبد العزيز . وهو الذي علم أهل افريقية الحلال والحرام . وبعث معه عمر (رضه) عشرة من التابعين أهل علم وفضل ، ومنهم عبد الرحمن

ابن نافع ، وسعيد بن مسعود التجيبي ، وغيرهما . وكانت الخمر بافريقية حلالاً ، حتى وصل هؤلاء التابعون فبينوا تحريمها (رضهم) .

وفيها استخلف اسماعيل بن أبي المهاجر على الاندلس السَّمح ابن مالك الخولاني ، فكان حلوله بها في رمضان من السنة .

وفي سنة ١٠١ توفي عمر بن عبد العزيز (رضه) بدير سمعان لست خلون من شعبان ، فكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر . وولي الخلافة بعده يزيد بن عبد الملك ، فولى على افريقية يزيد بن ابي مسلم ، مولى الحجاج بن يوسف وصاحب شرطته .

وفي سنة ١٠٢ قدم على افريقية ، والياً عليها ، يزيد بن ابي مسلم . وكان ظلوماً غشوماً . وكان البربر يحرسونه . فقام على المنبر خطيباً : اني رأيت أن أرسم اسم حرسي في أيديهم كما تصنع ملوك الروم بحرسها ، فارسم في يمين الرجل اسمه وفي يساره حرسي ليُعرفوا بذلك من بين سائر الناس ؛ فاذا وقفوا على أَحد أسرع لما أمرت به . فلما سمعوا ذلك منه ، أعني حرسه، اتفقوا على قتله ، وقالوا : جعلنا بمنزلة النصارى ! فلما خرج من داره الى المسجد ، لصلاة المغرب ، قتلوه في مُصلاه . فتكلم الناس في رجل يقوم بامرهم ، حتى

يأتيهم أمر الخليفة . فتراضوا بالمغيرة بن ابي بردة . وكان شجاعاً كبيراً . فقال له ابنه عبد الله : يزيد بن ابي مسلم قُتل بحضرتك ، فان قمت بهذا الامر اتهمت بقتله ! ولكن الرأي أن نتراضى بمحمد بن أوس الانصاري ! وكان غازياً بصقلية . فلم يلبث إلا يسيراً حتى قدم بغنائم قد أصابها . فقلدوه امر افريقية ، فكتب الى يزيد بن عبد الملك يخبره بما حدث من الامر ، فاستعمل على افريقية بشر بن صفوان .

ولاية بشر بن صفوان افريقية

هو بشر بن صفوان بن نوفل بن بشر بن حنظلة بن علقمة ابن شراحيل بن عبد العزيز بن خالد . ولي افريقية سنة ١٠٣ فاستصفى بقايا آل موسى بن نصير ، ووفد بعد ذلك الى يزيد ابن عبد الملك ، فألفاه قد هلك .

وفي سنة ١٠٥ هلك يزيد بن عبد الملك في ربيع الأول وولي هشام بن عبد الملك ، فردّ بشر بن صفوان الى افريقية . فلمّا قدمها ولى على الأندلس عنبسة بن سحيم الكلبي . ثم ان بشر بن صفوان غزا بنفسه صقلية ، فأصاب بها سبياً كثيراً وقفل الى القيروان . فلما حضرته الوفاة قالت جاريته : واشماتة الأعداء ! فقال لها : قولي للأعداء لا يموت . واستخلف العباس بن باضعة الكلبي .

وفي سنة ١٠٧ ولى بشر بن صفوان على الأندلس يحيى ابن سلمة الكلبي ، فقدمها في شوال . وفي هذه السنة اختلط امر ولاة مصر اختلاطاً كثيراً .

وفي سنة ١٠٩ توفي بشر بن صفوان والي افريقية بمدينة القيروان ؛ فكانت ولايته سبع سنين، وبقي على القيروان خليفته حتى وصل وال من قبل الخليفة .

ولاية عبيدة بن عبد الرحمن السلمي

وهو ابن أخي أبي الأعور السلمي صاحب خيـــل معاوية بصفّين . فقـدم افريقية سنة ١١٠ في ربيع الأول ، فدخـل القـيروان فجأة ، وذلك يوم الجمعـة ، فألفى خليفة بشر بن صفوان قد تهيّأ لشهود الجمعة ، ولبس ثيابه . فقيل له : هـذا عبَيدة قد قدم أمـيراً ! فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ! هكذا تقوم الساعة بغتة . وألقى بنفسه ، فما حملَتْه رجلاه . ودخل عبيدة ، فأخذ عمال بشر وأصحابه ، فحبسهم وأغرمهم وعذّب بعضهم .

وفي سنة ١١٠ ولى عبيدة بن عبد الرحمن المذكور عثمان ابن أبي نسعة على الأندلس ؛ فقدمها في شعبان .

وفي سنة ١١١ قدم على الأندلس ، والياً أيضاً من قِبَل عبيدة بن عبد الرحمن صاحب افريقية والمغرب كله ، حذيفـة ابن الأحوص القيسي . وقيـل : الأشجعي . وذلك في غرّة محرّم من السنة المذكورة .

وفي سنة ١١٢ ولى عبيـدة المذكور على الأندلس أيضاً الهيثم بن عبيد الكناني ؛ فقدمها في محرّم أيضاً من هذه السنة . ثم توفي سنة ١١٤ ، فكانت ولايته سنتين وأياماً .

ولما أخذ عبيدة عمال بشر وأصحابه ، وأغرمهم وعذبهم ، كان فيهم أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي . وكان شريفاً في قومه ، مع فصاحة وبراعة . وكان ولي في افريقية ولاية كبيرة في أيام بشر بن صفوان ، فعزله عبيدة ونكل به ؛ فقال :

افأتم بني مروان قيساً دماءنا	وفي الله ان لم تنصفوا حكم عدلُ
كأنكم لم تشهدوا مرج راهطٍ	ولم تعلموا من كان ثمَّ له الفضلُ
تعاميتم عنّا بعين جليّةٍ	وانتم كذا ما قد علمنا لنا فعلُ

وبعث بهذه الأبيات الى الخليفة هشام بن عبد الملك ، فأمر هشام بعزل عبيدة عن افريقية والمغرب . فقفل منها واستخلف عقبة بن قدامة ، وذلك في شوال سنة ١١٤ ، فكان ملك عبيدة بافريقية اربع سنين وستة أشهر . وتوجّه الى الشام سنة ١١٤ بهدايا وتحف عظيمة . وبقي خليفته على القيروان ستة أشهر .

وفي سنة ١١٣ كان عمال افريقية والأندلس الذين كانوا في السنة قبلها . ثم ولي الأندلس عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي ، فغزا الروم ، واستشهد مع جماعة من عسكره ، سنة ١١٥ ، بموضع يعرف ببلاط الشهداء . وفيها اصاب الناس مجاعة عظيمة .

ولاية عبيد الله بن الحبحاب

افريقية والمغرب كله

وهو مولى بني سلول . وكان رئيساً نبيلًا ، وأميراً جليلًا ، بارعاً في الفصاحة والخطابة ، حافظاً لأيام العرب وأشعارها ووقائعها . فقَدِم افريقية في ربيع الآخر من سنة ١١٦ . وهو الذي بنى المسجد الجامع ودار الصناعة بتونس . وكان أول الأمر كاتباً . ثم تناهت به الحال الى ولاية مصر وافريقية والاندلس والمغرب كله ؛ فاستخلف على مصر ابنه القاسم ؛ واستعمل على الاندلس عقبة بن الحجاج السلولي ؛ واستعمل على طنجة وما والاها من المغرب الأقصى ابنه اسماعيل ، ثم عمر ابن عبد الله المُراديّ .

وبعث حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع الفهريّ غازياً الى السوس الأقصى ، فبلغ أرض السودان ، ولم يقابله أحد الا ظهر عليه ، ولم يدع قبيلة الا داخلها ، وأصاب من السبي أمراً عظيماً . ووجد جاريتين ليس لكل واحدة منهما الا ثدي واحد . ثم رجع سالماً ظافراً ، فغزا صقلية وظفر بأمر لم يُرَ مثله .

ثم ان عمر بن عبد الله المرادي ، عامل طنجة وما والاها ،

أساء السيرة وتعدّى في الصدقات والعُشُر ، وأراد تخميس البربر ، وزعم انهم فَيْء المسلمين ، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله ؛ وانما كان الولاة يخمّسون من لم يجب للاسلام . فكان فعله الذميم هذا سبباً لانتقاض البلاد ووقوع الفتن العظيمة المؤدية الى كثير القتل في العباد . نعوذ بالله من الظلم الذي هو وبال على أهله !

فلما علم البربر خروج حبيب بن أبي عبدة الى بلاد الروم ، نقضوا الطاعة لعبيد الله بن الحبحاب بطنجة وأقاليمها ، وتداعت بربر المغرب بأسره ، فثارت البربر بالمغرب الأقصى ، فكانت أوّل ثورة فيه وفي افريقية في الاسلام .

وفي سنة ١٢٢ كانت ثورة البربر بالمغرب ، فخرج ميسرة المدْغريّ ، وقام على عمر بن عبد الله المرادي بطنجة فقتله . وثارت البربر كلها مع أميرهم ميسرة الحقير . ثم خلّف ميسرة على طنجة عبد الأعلى بن حديج ، وزحف الى اسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب الى السوس فقتله . ثم كانت وقائع كثيرة بين أهل المغرب الأقصى وأهل افريقية ، يطول ذكرها . وكان بالمغرب حينئذ قوم ظهرت فيهم دعوة الخوارج ، ولهم عدد كثير وشوكة كبيرة ، وهم برغواطة .

وكان السبب في ثورة البربر وقيام ميسرة أنها أنكرت على

عامل ابن الحبحاب سوء سيرته كما ذكرنا . وكان الخلفاء بالمشرق يستحبّون طرائف المغرب ، ويبعثون بها الى عامل افريقية ، فيبعثون لهم البربريات المسبّيات . فلما أفضى الأمر الى ابن الحبحاب منّاهم بالكثير ، وتكلّف لهم أو كلّفوه أكثر مما كان ، فاضطر الى التعسف وسوء السيرة . فحينئذ عدت البربر على عامله فقتلوه وثاروا بأجمعهم على ابن الحبحاب .

وكان لعبيد الله بن الحبحاب أولاد قد أعجبتهم أنفسهم . فقدم عقبة بن الحجاج عليهم . وكان أبو عقبة قد أعتق الحبحاب والد عبيد الله . فلما دخل عقبة على عبيد الله قام اليه فأعظمه ، واقعده على سريره . فلما خرج عقبة من عنده أنكر ذلك عليه أولاده فقالوا له : ما رأيك أن تعطيه شيئاً وتصرفه عنّا فلا يكسر شرفنا ! فقال لهم : نعم ! فلما كان في غد أمر الناس ، فدخلوا عليه ودخل عقبة في جملتهم . فقام اليه وأجلسه على سريره ووقف قائماً . فقال : ان بنيّ هؤلاء غرّتهم غرةُ الشيطان بعزة السلطان ، وأرادوا أمراً أخرج به عن الحق ، وأنكروا ما رأوا من بري بهذا الرجل ! وانما أُخبركم أنه مولاي ، وأن أباه أعتق أبي ! وانا اكره كتمان أمر الله ، سبحانه ، شهيد به عليّ ! ثم خيّر عقبة في ولاية ما شاءه من سلطانه ، فاختار الاندلس ، فولاه عليها ، وذلك في

سنة ١١٦ . وأقام بها الى سنة ١٢١ . وقام عليه عبد الملك بن قطن الفهريُّ فخلعه . وقيل : بل هو استخلفه .

رجع الخبر الى ميسرة المدغري ، رأس الصفرية ، أمير المغرب

لما بلغ عبيد الله بن الحبحاب قتل عامله وولده ، كتب الى حبيب بن أبي عبدة ، يأمره بالرجوع من صقلية ، ليأخذ في الحركة مع أهل افريقية الى ميسرة . وولى ابن الحبحاب على عسكر افريقية وأشرافهم ووجوههم خالد بن أبي حبيب الفهري، فشخص الى ميسرة ، ووصل حبيب بن أبي عبدة في اثره . وسار خالد حتى عبر وادي شلف ، وهو نهر بمقربة تاهرت . ثم قدم حبيب فنزل على مجاز الوادي المذكور فلم يبرح منه . ومضى خالد من فوره حتى لقي ميسرة بمقربة من طنجة ، فاقتتل معه قتالاً شديداً لم يسمع قط بمثله . ثم انصرف ميسرة الى طنجة فأنكرت البربر عليه سوء سيرته وتغيره عما كانوا بايعوه عليه .

قال الرقيق : وكان ميسرة قد تسمى بالخلافة ، وبويع عليها ؛ فقتلوه وولوا أمرهم بعده خالد بن حميد الزناتي . فالتقى خالد بن أبي حبيب بالبربر ، فكان بينهم قتالٌ شديد . فبينا هم كذلك إذ غشيهم خالد بن حميد الزناتيّ من خلفهم

بعسكر عظيم ؛ فتكاثرت عليهم البربر ، فانهزم العرب ، وكره خالد بن أبي حبيب أن يهرب ، فألقى بنفسه وأصحابه الى الموت ، فقُتل ابن أبي حبيب ومن معه ، حتى لم يبقَ من أصحابه رجل واحد . فقُتل في تلك الوقعة حُماة العرب ، وفرسانها ، وكماتها ، وأبطالها ؛ فسُمّيت الغزوة غزوة الأشراف ؛ فانتقضت البلاد . وبلغ أهل الأندلس ثورة البربر ، فوثبوا على أميرهم فعزلوه وولوا عبد الملك بن قطن . فاختلت الأمور على ابن الحبحاب ؛ فاجتمع الناس وعزلوه . وبلغ ذلك هشام ابن عبد الملك الخليفة فقال : والله ! لأغضبنّ لهم غضبة عربية ولأبعثنّ لهم جيشاً أوله عندهم وآخره عندي ! ثمّ كتب الى ابن الحبحاب بقدومه عليه ؛ فخرج في جمادى الأولى من سنة ١٢٣

ولاية كلثوم بن عياض افريقية ومقاتلته

مع أمير الغرب خالد بن حميد الزناتي

لمَّا بلغ هشام بن عبد الملك انتقاض البلاد الغربية والأندلسية بعث كلثوم بن عياض هذا الى افريقية ، وعقد له على اثني عشر ألفاً من أهل الشام . وكتب الى والي كل بلد أن يخرج معه . فصارت عمّال مصر وإطرابلس وبرقة معه حتى قدم افريقية في رمضان سنة ١٢٣ ، فنكب عن القيروان ، وكان على طلائعه بلج بن بشر القشيري ابن عمه . فلما وصل بلج قال لأهل افريقية : لا تغلقوا أبوابكم ، حتى يعرف أهل الشام منازلهم . ومع ذلك كلامٌ كثير يغيظهم به . فكتبوا الى حبيب بن أبي عبدة يعرفونه بمقالة بلج . فكتب الى كلثوم : إن ابن عمك السفيه قال كذا وكذا ، فارحل بعسكرك عنهم ، وإلا حوّلنا أعنّة الخيل اليك ! فكتب كلثوم يعتذر اليه ويأمره أن يقيم بشلَف حتى يقدم عليه . فاستخلف كلثوم على القيروان عبد الرحمن ابن عقبة الغفاريّ ، وسار حتى وصل عسكر حبيب ، فرفضه ، واستهان به ؛ وسبّ بلج بن بشر لحبيب وتنقّصه ، وقال : هذا الذي يحوّل اعنّة الخيل الينا ! فقام اليه عبد الرحمن بن حبيب وقال : يا بلج ! هذا حبيبٌ ! فاذا شئت فاعرض له

للمقابلة ! وصاح الناس : السلاح ! السلاح ! فمال أهل افريقية الى ناحية ، ومعهم أهل مصر . ثم سعي بينهم في الصلح . فكان هذا الاختلاف سبب هلاكهم ، مع سوء رأي كلثوم وبلج .

ولما قدم كلثوم على وادي سبوا ، وهو في ثلاثين ألفاً ، قال ابن القطان : فيهم عشرة آلاف من صُلب بني أمية ، وعشرون ألفاً من سائر العرب . فتوجّه اليهم خالد بن حميد الزناتيّ الذي تولى الأمر بعد ميسرة . فوجّه كلثوم بلجاً ليلاً ليوقع بالبربر . فسرى ليلته ، وأوقع بهم عند الصباح ، فخرجوا اليه عُراة فهزموه ووصلوا الى كلثوم . فأمر بديدبان يُنصب له ، وقعد عليه . ثم نشب القتال ، وقعدت البربر تحت الدرق ، وناشبت الخيلُ الخيلَ ، وكشفت خيلُ العرب خيلَ البربر ؛ ثم انكشفت خيل العرب ، والتقت الرجالة بالرجالة ، فكان صبرٌ وقتالٌ . وخالطت خيل البربر ورجالتهم كلثوماً وأصحابه ، فقُتل كلثوم ، وحبيب بن أبي عبدة ، وسليمان بن أبي المهاجر ، ووجوه العرب . فكانت هزيمة أهل الشام الى الاندلس ، وهزيمة أهل مصر وافريقية الى افريقية .

قال ابن القطان : لما بعث هشام بن عبد الملك كلثوماً والياً على افريقية والمغرب ، أمره بالجد والاجتهاد في أمرها ، اذ كان بنو أميّة يجدون في الدرايات ان مُلك القائمين عليهم لا يجاوز

الزاب . فتوهموا انه زاب مصر ، وانما كان زاب افريقية .
وعهد اليه في سدها وضبطها ، وعهد ان حدث بكلثوم حدث ان
يكون ابن أخيه بلج مكانه . فدارت بينه وبين البربر حروبٌ ،
هزموا في بعضها كلثوم بن عياض وقتلوه ، وصار امر العرب
بافريقية الى بلج بالعهد المذكور . ولجأ فلُّهم الى سبتة ، وبقوا
بها حتى ضاق عليهم الأمر ، فكاتب بلج واصحابه عبد الملك بن
قطن أمير الأندلس ، وسألوه إدخالهم الأندلس . فلم يأمنهم
عبد الملك ، ومطلهم بالميرة والسفن . ثم اضطرّ الى إدخالهم
الأندلس بعد ذلك ، لسبب أشرحه في الجزء الثاني ان شاء الله ؛
وهو موضعه في أخبار الأندلس . فكاتبهم ، وشرط عليهم إقامة
سنة في الأندلس ، ثم يخرجون منها . فرضوا بذلك ؛ وكانوا
نحو عشرة آلاف من عرب الشام .

ولمّا دخلوا الأندلس وأقاموا فيها سنة ، ترفّهوا بها .
فأمرهم عبد الملك بالخروج منها ، كما اشترط عليهم . فامتنعوا ،
وقتلوا عبد الملك بن قطن ، واستولى بلج على الأندلس ، وبقي
بها أحد عشر شهراً أميراً . وقد شرحنا أمره في أخبار الأندلس
في الجزء الثاني .

وقال الرقيق : لم ينهزم من أهل افريقية إلاّ عبد الرحمن
ابن حبيب ، فإنه جاز الى الأندلس ، فقال لأميرها عبد الملك

ابن قطن : هؤلاء أهل الشام يقولون : ابعث لنا مراكب نجوز فيها ، وهم ، إن جازوا اليك ، لم نأمنهم عليك ! فلمّا أجازهم اليها ما لبثوا فيها إلا سنة حتى وثبوا عليه مع بلج ، فكانت بينهم اثنتا عشرة وقيعة ، كلها علـــى عبد الملك بن قطن واستولى بلج على الأندلس .

وفي سنة ١٢٤ قتـل بلج بالأندلس ، وولي ثعلبـة بن سلامة العاملي ، أقعده أصحاب بلج مكانه بما عهد به هشام اليهم وبايعوه . فثار في أيامه بقايا البربر بماردة ، فغزاهم ثعلبة ، وقتل منهم خلقاً كثيراً وأسر منهم نحو الف ، وانصرف الى قرطبة ، فكانت ولايته عشرة أشهر . وفيها كان ابتداء ظهور برغواطة .

ذكر برغواطة وارتدادهم عن الاسلام

قال ابن القطان وغيره : كان طريف من ولد شمعون بن اسحاق (ع.م) وان الصفرية رجعت الى مدينة القيروان لنهْبها واستباحتها في ثلاث مائة ألف من البربر مع أمير منهم . وكانوا قد اقتسموا بلاد افريقية وحريمها وأموالها ؛ فهزمهم الله تعالى بأهل القيروان ، وهم في اثني عشر ألف مقاتل ، نصرهم الله تعالى عليهم ؛ وخبرهم طويل ؛ يمنع من ايراده هنا خيفة التطويل. وكان طريف هذا من جملة قواد هذا العسكر ؛ واليه تُنسب جزيرةُ طريف . فلما هزمهم الله بأهل القيروان ، وتفرّقوا ، وقُتل من قُتل منهم ، وتشتّت جمعُهم ، سار طريف الى تامسنا ، وكانت بلاد بعض قبائل البربر ، فنظر الى شدة جهلهم ، فقام فيهم ودعا الى نفسه ؛ فبايعوه وقدّموه على أنفسهم . فشرع لهم ما شرع ، ومات بعد مدة . وخلف من الولد أربعة ، فقدّم البربر ابنه صالحاً ، فأقام فيهم على الشرع الذي شرعه أبوه طريف . وكان قد حضر مع أبيه حرب ميسرة الحقير ومغرور بن طالوت الصفريين ، اللذين كانا رأس الصفرية ، فادّعى أنه أُنزل عليه قُرآنهم ، الذي كانوا يقرأونه ، وقال لهم انه صالح المؤمنين ، الذي ذكره الله في كتابه العزيز . وعهد

صالح الى ابنه إلياس بديانته ، وعلّمه شرائعه ، وفقهه في دينه ، وأمره ألا يُظهر الديانة حتى يظهر أمره ، وينتشر خبره ، فيقتل حينئذ من خالفه . وأمره بموالاة أمير المؤمنين بالأندلس . وخرج صالح الى المشرق ، ووعده أنه يرجع في دولة السابع من ملوكهم ، وزعم أنه المهديّ الذي يكون في آخر الزمان لقتال الدجّال، وأن عيسى (ع.م) يكون من رجاله وأنه يصلي خلفه . وذكر في ذلك كلاماً نسبه الى موسى (ع.م) .

فولي بعد خروجه الى المشرق ابنه الياس خمسين سنة ، فكتم شريعته الى سنة ١٧٣.. فخُرِّج في ذلك كله من أمر صالح وابنه ان ابتداءه كان في هذه السنة ، أو التي قبلها ، وما يأتي بعدهما من السنين ، اذ خمسون سنة آخرها سنة ١٧٣ ، مبدأها سنة ١٢٤ أو نحوها ، والله أعلم .

ولاية حنظلة بن صفوان افريقية والمغرب كله

ولمّا بلغ أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك قتل كلثوم بن عياض واصحابه ، بعث الى افريقية حنظلة بن صفوان الكلبي ، وكان عامله على مصر ، ولاه عليها سنة ١١٩ . فقدمها في شهر ربيع الآخر منها . فبعث اليه أهل الأندلس أن يبعث اليهم عاملًا ، فوجّه اليهم أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبي . فسار في البحر من تونس الى الأندلس ، والياً عليها ، فقدمها في رجب . وسأذكر خبره في أخبار الأندلس إن شاء الله .

ومن أخبار حنظلة أمير افريقية مع امراء بعض القبائل الغربية

لما استقرّ حنظلة بالقيروان لم يمكث فيها إلا يسيراً ، حتى زحف اليه عكاشة الصفري الخارجي في جمع عظيم من البربر ، وزحف أيضاً الى حنظلة عبد الواحد بن يزيد الهواري في عدد عظيم . وكانا افترقا من الزاب . فأخذ عكاشة على طريق مجّانة ، فنزل بالقيروان ، وأخذ عبد الواحد على طريق الجبال وعلى مقدمته أبو قرّة المغيلي . فرأى حنظلة أن يعجّل قتال عكاشة قبل أن يجتمعا عليه . فزحف اليه بجماعة أهل القيروان ، فالتقوا بالقرن ، وكان بينهم قتال شديد ، فهزم الله عكاشة ومن

معه ، وقُتل من البربر ما لا يحصى كثرة . وقيل إنّ حنظلة لمّا رأى ما دهمه من البربر قال لأصحابه : نستمد امير المؤمنين ! فقال له شاب : بل نخرج الى عدوّنا حتى يحكم الله بيننا ! فعزم حنظلة وخرج ، فهزم الله عكاشة في خبر طويل .

قال عبد الله بن أبي حسان : فأخرج حنظلة كل ما كان في الخزائن من السلاح ، وأحضر الأموال ، ونادى في الناس . فأوّل من دخل عليه ، رجل من يحصب ؛ فقال له : ما اسمك؟ فقال : نصر بن ينعم ! قال : فتبسم حنظلة كالمكذّب له وقال له : بالله ! اصدق ! فقال : والله ! ما لي اسم غير ما قلت لك ! فتفاءل به وقال : نصر وفتح ! فأعطى الناس ، وخرج لمقابلة الصفرية ، وهم الخوارج . فكان بينه وبينهم حروب يطول ذكرها ، فالتحم فيها القتال ، وتداعى الابطال ، ولزم الرجالة الأرض ، فلا تسمع الا وقع الحديد على الحديد ، وتقابض الأيدي بالأيدي . وكانت كرة على ميسرة العرب ، ثم انكسرت ميسرة البربر وقلبهم ، ثم كرّت ميسرة العرب على مَيْمنة البربر ، فكانت الهزيمة . وسيق الى حنظلة رأس عبد الواحد ، وأُخذ عكاشة أسيراً ، فأتي به الى حنظلة ، فقتله وخرّ لله ساجداً .

وقيل : ما عُلم في الأرض مقتلة كانت أعظم منها . وأراد حنظلة أن يحصي من قُتل ، وأمر بعدّهم ، فما قُدر على ذلك .

وأمر بقصب ، فطرح قصبة على كل قتيل . ثم جُمعت القصب ، وعُدّت ، فكانت القتلى مائة ألف وثمانين ألفاً . وكانوا صفرية يستحلّون النساء وسفك الدماء .

وكتب بذلك حنظلة الى أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك ، فسُر بذلك سروراً عظيماً . وكان الليث بن سعد يقول : ما من غزوة كنت أُحب ان أشهدها ، بعد غزوة بدر ، أحب اليّ من غزوة القرن والأصنام !

وفي سنة ١٢٥ توفي أمير المؤمنين هشامُ بن عبد الملك بعلّة الذبحة . وعماله في هذه السنة هم الذين كانوا في السنة قبلها ، ومن جملتهم حفص بن الوليد على مصر ، وحنظلة بن صفوان على افريقية ، وأبو الخطار على الاندلس . واستُخلف الوليد بن يزيد يوم موت هشام بن عبد الملك ، وذلك يوم الاربعاء لست خلون من ربيع الآخر .

وفي سنة ١٢٦ توفي الوليد بن يزيد مقتولاً يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة ، قتله يزيد بن الوليد المسمّى بالناقص واستُخلف يزيد . ولم يكن في ايامه في هذه السنة بافريقية امر . وبويع بدمشق وجعل العهد بعده لابنه ابراهيم . وتوفي في ذي الحجة من هذه السنة ، واستخلف ابراهيم بن يزيد ، فاقام نحو شهر ونصف ، ثم خلع نفسه لمروان الجعديّ . فقيل انه نبش على يزيد بن الوليد قبره وصلبه .

انتزاء عبد الرحمن بن حبيب الفهري

بافريقية وبعض اخباره

كان عبد الرحمن بن حبيب هذا قد هرب الى الأندلس عند هزيمته من الوقيعة التي قُتل فيها أبوه حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع ، مع كلثوم بن عياض . فلم يزل ، وهو بالأندلس ، يحاول أن يتغلّب عليها ، فلم يمكنه ما أراد ، الى أن وجّه حنظلة أبا الخطّار اليها ؛ فخاف على نفسه ، وخرج مستتراً ، فركب البحر الى تونس ، فنزل بها ، وذلك في جمادى الأولى سنة ١٢٧ . فدعا الناس الى نفسه فأجابوه . وأراد حنظلة الخروج اليه ، والزحف لقتاله . ثم كره قتال المسلمين . وكان ذا ورع ودين ، فوجّه اليه حنظلة جماعة من وجوه افريقية فدعوه الى مراجعة الطاعة . فلما قدموا عليه أوثقهم في الحديد وأقبل بهم الى القيروان ، وقال : إن رمى احدٌ من أوليائهم بحجر ، قتلتهم ! وكانوا وجوههم ورؤساءهم . فلما رأى حنظلة ذلك دعا القاضي والعدول ، وفتح بيت المال ، فأخذ منه ألف دينار وترك الباقي ، وقال : لا أتلبّس منه إلا بقدر ما يكفيني ويبلغني ! ثم شخص عن افريقية في سنة ١٢٩ في جمادى الأولى . وأقبل عبد الرحمن حتى دخل القيروان ، ونادى مناديه :

لا يخرجنّ أحد مع حنظلة ، ولا يشيّعه أحد ! فرجع عنه الناس خوفاً من عبد الرحمن . فدعا على أهل افريقية ، وكان مستجاب الدعوة . فوقع الوباء والطاعون بافريقية سبع سنين ، لا يكاد يرتفع الا مرة في الشتاء ومرة في الصيف .

وقال بعض المؤرخين إنّ مروان بن محمد الجعدي بعث الى عبد الرحمن بن حبيب بولايته على افريقية بعد تغلّبه عليها .

ولما ولي عبد الرحمن ثار عليه جماعة من العرب والبربر . ثم ثار عليه عروة بن الوليد الصدفي فاستولى على تونس ، وثار عليه عرب الساحل ، وقام عليه ابن عطاف الأزديّ . وثارت البربر من الجبال . وثار ثابت الصنهاجي بباجة فأخذها . فخرج اليه الياس بن حبيب ، أخو عبد الرحمن ، في ستمائة فارس ؛ ولم يُظهر انه خرج اليه ، بل عمل الحيلة مع أخيه في ذلك . ولما وصله الجاسوس وقال : ان القوم آمنون غافلون ، خرج العسكر اليهم ، فقتل ابن عطاف وأصحابه ، وأمعن عبد الرحمن ابن حبيب في قتل البربر ، وامتحن الناس بهم ، وابتلاهم بقتل الرجال صبراً ، يؤتى بالأسير من البربر ، فيأمر من يتهمه بتحريم دمه بقتله ، فيقتله . وكانت بافريقية حروب ووقائع يطول ذكرها .

وكان عبد الرحمن بن حبيب قد كتب الى مروان بن محمد

وأهدى اليه الهدايا . فكتب اليه مروان يأمره بالقدوم عليه .
ثم ضعف أمر بني أُمية بالمشرق ، واشتغل مروان بحرب المسودة ،
فأقام عبد الرحمن بالقيروان ، حتى كانت سنة ١٣٥ ، فغزا
تِلِمْسان ، وخلّف ابنه حبيباً على القيروان ، فظفر بطوائف
من البربر ، وعاد الى القيروان . ثم غزا صقلية . ثم بعث الى
سردانية فقتل من بها قتلاً ذريعاً ، ثم صالحوه . وبعث الى
افرنجة فأتي بسبيها ، ودوّخ المغرب كله ، وأذلّ من به
من القبائل ، لم يهزم له عسكر ، ولا رُدّت له راية . وداخل
جميع أهل المغرب الرعبُ والخوفُ منه .

وقُتل مروان بن محمد بالمشرق ، وزالت دولة بني أُميّة .
وبقي عبد الرحمن بن حبيب أمير افريقية والمغرب . وهرب
جماعةُ بني أُمية خوفاً من بني العباس ، ومعهم حرمهم .
فتزوج منهم عبد الرحمن واخوته . وكان فيمن قدم ابنان
للوليد بن يزيد ، وكانت ابنة عمّهما عند الياس بن حبيب ،
فأنزلهما عبد الرحمن في دار ، ثم احتال في بعض الليالي فاطلع
عليهما من موضع خفيّ ، وهما على نبيذٍ ، ومولاهما يسقيهما ،
اذ قال احدهما : أيظن عبد الرحمن انه يبقى أميراً معنا ،
ونحن أولاد الخليفة ! فلما سمع هذا منه انصرف . ثم دعاهما
وأظهر لهما بشراً ، حتى أتاهما من أخبرهما أنّ عبد الرحمن

سمع كلامهما ، فركبا جملين وهربا . فبعث عبد الرحمن الخيل في طلبهما ، وادركا ، فأمر بضرب أعناقهما . وكانت ابنة عمّهما عند إلياس ، فقالت له : قتل اختانك ، وأنت صاحب حربه وسيفه ! وجعل العهد من بعده لحبيب ولده ! فهذا تهاون بك ! ولم تزل به حتى اجتمع رأي إلياس وأخيه عبد الوارث على قتل أخيهما عبد الرحمن . وهاودهما على ذلك جماعة من أهل القيروان، على ما يأتي ذكره.

وفي سنة ١٢٧ كان دخول عبد الرحمن بن حبيب هذا افريقية ودعاؤه لنفسه ، كما تقدّم . وفيها كان انتزاء ثوابة بن سلامة بالأندلس ، وبويع بها . وكان قد هزم أبا الخطار سنة ١٢٥ . وتمّ له الأمر في هذه السنة ، لكن لا بعهد من بني أميّة ولا من بني العباس ، بل عنوة بالسيف . وأقام معه الصميل ، فكان السلطان لثوابة والأمر للصميل .

وفي سنة ١٢٨ هلك امير الاندلس ثوابة في شعبان ؛ فكانت دولته نحو سنة ، حسبما أذكر ذلك في أخبار الاندلس ان شاء الله . فبقيت الاندلس دون أمير أربعة أشهر . فاجتمع الناس على الصُّميل بن حاتم ، فوقع نظره ونظرهم على تقديم يوسف بن عبد الرحمن الفهري .

وفي سنة ١٢٩ استقل يوسف الفهري بولاية الاندلس ،

فكانت ولايته إياها عشر سنين ، فما من سنة من هذه السنين إلا ويمكن ان يكون له فيها غزو ، اذ قالوا انه واصل الجهاد. وسيأتي ذكره وخبره في خبر الاندلس ، ان شاء الله .

وفيها كانت بالاندلس حروب ووقائع وغـلاء في السعر . وقيل ان ولاية يوسف كانت في صفر من هذه السنة ، وانهم كتبوا لعبد الرحمن بن حبيب عامل القيروان ، فأنفذ اليـه عهده بولاية الاندلس .

وفي سنة ١٣٠ كان استيلاء أبي مسلم على مرو ، وتفريقه كلمة العرب ، واختياره اليمانية لنصرته ، وتشريده المضرية . وكان له غزوات ومواقعـات ، وعبد الرحمن بن حبيب أمير افريقية كذلك ، في حروب ووقائع مع البربر .

وفي سنة ١٣١ كان استيلاء أبي مسلم عـلى خراسان ، وعامل مصر وافريقية والاندلس على مـا كان عليه قبل ذلك . وفيها بنى عبد الرحمن بن حبيب سور مدينة اطرابلس ، وانتقل الناس اليها من كل مكان .

وفي سنة ١٣٢ كانت الوقعة التي هزم فيها الامويون مع ابن هبيرة ، وفتح العباسية للكوفـة . ثم اتصلت الولايات العباسية ، والفتوح للبلاد الشرقية ، وخروجهـا على الاموية واحداً بعد واحد . وقتل مروان بن محمد الجعدي في هذه السنة

وانقطعت الدولة الاموية . وكانت دولتهم ٩١ سنة وتسعة أشهر وخمسة أيام ، وهم اربعة عشر رجلاً : منهـا ايام ابن الزبير تسع سنين واثنان وعشرون يوماً . ثم تفرق بنو اميـة في البلاد هرباً بانفسهم ، وهرب عبد الرحمن بن معـاوية الى الاندلس ، فبايعه أهلها وتجددت لهم بها دولة استمرت الى بعد الاربع والعشرين والاربعمائة . فانقطعت دولتهم ست سنين أو نحوها ، من هذه السنة الى حين دخول عبد الرحمن الاندلس، وجددها في سنة ١٣٧ . فان صح ان عهد عبـد الرحمن بن حبيب ، صاحب القيروان وافريقية من قبل بني امية ، وصل الى يوسف بن عبـد الرحمن المتغلب على الاندلس ، التي دخل عبد الرحمن اليها وهو اميرها ، فعلى هـذا كانت لهم دولة متصلة بالاندلس . فتأمل هذا ، فانه ، ان صح ، نكتة غريبة وفائدة جليلة .

قال ابن حزم : وانقطعت دولة بني امية . وكانت علـى علاتها دولة عربية ، لم يتخذوا قاعدة ولا قصبة ، انما كان سكنى كل أمير منهم في داره وضيعته التي كانت له قبل خلافته، ولا كلفوا المسلمين ان يخاطبوهم بالعبودية والملك، ولا تقبيل ارض ولا رجل ، انما كان غرضهم التولية والعزل في اقاصي البلاد: منهم في الاندلس ، وفي الصين ، وفي السِند ، وفي خراسان ،

وفي أرمينية ، واليمن ، والشام ، والعراق ، ومصر ، والمغرب ، وسائر بلاد الدنيا .

وانتقل الأمر الى بني العباس في هذه السنة . قال ابن حزم في جملة كلامه أيضاً : فكانت دولتهم اعجمية : سقطت فيها دواوين العرب ، وغلب عجم خراسان على الأمر ، وعاد الأمر ملكاً عضوضاً كسروياً ، إلا أنهم لم يعلنوا بسبّ احد من الصحابة (رضوان الله عليهم !) وافترقت في دولة بني العباس كلمة المسلمين ؛ فتغلبت على البلاد طوائف من الخوارج والشيعة والمعتزلة ومن ولد ادريس وسليمان ابني عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهم ، ظهروا في المغرب الأقصى ، وتملكوا فيه . ومنهم من ولد معاوية تغلبوا على الأندلس ، وكثير من غيرهم أيضاً . وفي خلال هذه الأمور تغلبت الكفرة على أكثر بلاد الاندلس وأكثر بلاد السّند .

وفي سنة ١٣٢ المذكورة كان المولّون للعمال وغيرهم اربعة أمراء : وهم مروان بن محمد ، وأبو سلمة الخلاّل ، وأبو مسلم ، وأبو العباس السفاح . فأما مروان ، فعزل الوليد بن عروة عن المدينة وولاها أخاه عيسى ؛ وأما أبو سلمة ، فاستعمل محمد بن خالد على الكوفة الى ان ظهر أبو العباس السفاح

ظهوراً تاماً ؛ وأما أبو مسلم ، فهو كان السلطان الأعظم الذي لا يرد أمره ، وهو الذي قدّم محمد بن الأشعث على فارس ، وأمره أن يأخذ عمّال أبي سلمة فيضرب أعناقهم ، ففعل ذلك ؛ وأما أبو العباس ، فوجه بعد ذلك اسماعيل بن علي والياً على فارس ، وأخاه ابا جعفر على الجزيرة وارمينية وأذربيجان ، ووجّه أخاه يحيى بن محمد بن عليّ الى الموصل وولي سائر البلاد الشرقية ، وولى على مصر أبا عون عبد الملك بن يزيد ، وولى على افريقية عبد الرحمن بن حبيب لأنه ، لما بلغته بيعة أبي العباس ، كتب اليه بالسمع والطاعة .

وفي سنة ١٣٣ ولى أبو العباس السفاح عمه سليمان بن عليّ البصرة وأعمالها والبحرين وغير ذلك ؛ وولى عمه اسماعيل على الأهواز ، وولى عمه داود المدينة ، وولى عماله سائر البلاد الشرقية ؛ وافريقية والاندلس على ما كانت عليه .

وفي سنة ١٣٤ بعث أبو العباس السفاح موسى بن كعب في اثني عشر ألفاً لقتال منصور بن جُمهور من المُنتزين على بني العباس ، فسار اليهٔ حتى لحقه بأرض الهند ، فهزمه ومن كان معه ، ومضى ، فمات عطشاً في الرمال .

وفيها كان أيضاً العزل والولايات بالمشرق . وبقي على مصر أبو عون ، وعلى افريقية عبد الرحمن بن حبيب ، وعلى الاندلس يوسف الفهريّ .

وفي سنة ١٣٥ كانت غزوة عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية صقلية ، فسبى وغنم . وغزا أيضاً سردانيـة ، وصالحهم على الجزية . وغزوته أيضاً لجهة تلمسان على البربر . ومدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ، وهي دار مملكة زناتة .

قال البكريّ : بنو يغمراسان من هوارة يعتدّون في ستين ألفاً . وتلمسان دار مملكة زناتة عـلى قديم الزمان ، متوسطة بلاد القبائل من زناتة وغيرهم ، ومقصد التجار ؛ ونزلها محمّد بن سليمان من ذرية عليّ بن أبي طالب (رضه) ، ومن ذريته أبو العيش عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان الذي بـنى مدينة جراوة .

نسب زناتة

قال أبو المجد المغيـليّ وعليّ بن حزم وغيرهمـا : إن زناتـة هم أولاد جانا بن يحيى بن صُولات بن وزناج بن ضري ابن سفكو بن قيدواد بن كعبلا بن مادغيس بن هدك بن هرسق ابن كداد بن مازيغ . وذكروا أن ضري هو ابن وزجيج بن مـادغيس بن يرمولد بن برنوس . وولد برنوس كتـامة ، ومصمودة ، وأوربة ، ووزداجة ، وأوريقـة ؛ فولد أوريقـة هوارة ، ومن قبيل هوارة بنو كسلان ومليـلة ؛ وولد يحيى

جذانا وسمجان وورسطيف ؛ وولد جذانا ورسيج ، وولد ورسيج مرين ، وولد مرين نجـدة وغالة ، وولد ورسطيف اركونـة ومكناسة ، وولد ضري أيضا تمزيت ، وولد تمزيت مطماطة ، وموغرة ، وصدينـة ، ومغيلة ، وملزوزة ، ومديونـة ، وولد زجيج لاوي الكبير ، وولد لاوي المذكور لاوي الصغير ، ومغراوة ، وإيفرن ، وولد لاوي الصغـير نفزاو ، وولـد نفزاو يطوفت ، وولد لاوي الصغـير أيضاً كطوف ، وولـد كطوف ونيطط ، فولد ونيطط سدراتـة ، وكانت سدراتة إخوان بني مغراوة لأمهم ، وكان أولاد مغراوة وبـني يفرن من أعظم بطون زناتة .

قال رجار في كتابه : كان بنو مرين يسكنون وراء تلمسان وهم من زناتـة ، من ولد جانا بن يحيى بن ضريس بن لوا بن نفزاو بن بتر بن قيس غيلان بن الياس بن مضر . قال : وبنو مرين هم العرب الصريحيون .

وفي سنة ١٣٦ كان ابتـداء أبي العباس السفاح بمحاولة الغدر بأبي مسلم ، وظفر أبي مسلم بمن حاول ذلك ، وقتله لهم ، وذلك في خبر طويل . وقيل : بل كان ابتـداء تلك المحاولة في سنة ١٣٥ قبلها . وقـدم أبو مسلم في هذه السنة عـلى أبي العباس مستأذناً في الحجّ ، فهمّ أبو العباس بقتله ، ثم انثنى عن ذلك . وحجّ أبو مسلم وأبو جعفر .

وفيها توفي أبو العباس السفاح في ذي الحجة ، بعد أن ولى العهد لأخيه أبي جعفر المنصور ، فاستوسقت له الأمور ، وبايعه الجمهور .

وفي سنة ١٣٧ كان قدوم أبي جعفر المنصور وتتميم بيعته ، فدخل أبو جعفر الكوفة وصلى الجمعة ، ووافاه كتاب أبي مسلم بالحيرة ، ثم شخص أبو مسلم الى الأنبار .

وفيها انتزاء عبد الله بن عليّ على ابن أخيه وامتناعه من بيعته ، فبعث اليه أبو جعفر أبا مسلم يحاربه . وفيها قتل المنصور أبا مسلم . وكيفية ذلك في أخبار المشرق .

بقية أخبار عبد الرحمن

ابن حبيب امير افريقية

لما صار الأمر الى أبي جعفر المنصور كتب الى عبد الرحمن يدعوه الى الطاعة ، فأجابه ، ودعا له ، ووجه اليه بهدية كان فيها بزاة وكلاب : إن افريقية اليوم اسلامية كلها ، وقد انقطع السبي منها . فغضب أبو جعفر وكتب اليه يتوعده . فلما وصل اليه الكتاب غضب غضباً شديداً ، ثم نادى : الصلاة جامعة ! فاجتمع الناس ، وخرج عبد الرحمن في مطرف خزّ ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم أخذ في سبّ أبي جعفر ، وقال : اني ظننتُ أن هذا الخائن يدعو الى الحق ويقوم به ، حتى تبيّن لي خلافُ ما بايعته عليه من اقامة العدل ! واني الآن قد خلعته كما خلعت نعلي هذا ! وقذفه من رجله . ثم دعا بخلع السود وأمر بتخريقها .

قال الرقيق : كان قد لبسها قبل ذلك ، ودعا فيها لأبي جعفر ، فخرقت قطعاً وأُحرقت . وقال ابن القطان : كان عبد الرحمن بن حبيب مظهراً لطاعة أبي جعفر ، داعياً له على المنابر ، إلا أنه لم يلبس السواد ، وقال : ان هذا لباس أهل النار ! ثم خلعه ونبذ طاعته . وحقّق عريب أن خلعه لطاعة أبي جعفر كان في هذه السنة .

مقتل عبد الرحمن

كان عبد الرحمن يوجه أخاه غازياً ، فاذا ظفر كتب عبد الرحمن بالفتح ، ويزعم ان ابنه كان يتولى الفتوح ، وكان قد ولاه عهده ، فعمل الياس على قتل أخيه عبد الرحمن، وشاور في ذلك أخاه عبد الوارث ، فأجابه ، ودعوا الى ذلك قوماً من أهل القيروان من العرب ان يقتلوا عبد الرحمن ويؤمروا الياس بن حبيب ، وتكون الطاعة لأبي جعفر .

وكان عبد الرحمن ولى اخاه الياس تونس ، وودعه للخروج اليها ، وعبد الرحمن اذ ذاك مريض ، فدخل عليه وهو في غلالة ورداء ، وابن له صغير في حجره ، فقعد طويلاً ، وعبد الوارث يغمزه ، فلما قام يودعه اكبّ عليه ووضع السكين بين كتفيه حتى وصل الى صدره ، ثم ردّ يده على السيف فضربه وخرج هارباً دهشاً . فقال له أصحابه : ما فعلتَ؟ قال : قتلتُه . قالوا: ارجع فحز رأسه! فرجع وحزّه وثارت الصيحة . وأخذ الياس أبواب دار الامارة . وسمع ابنه حبيب الصيحة ، فأخبر بقتل والده ، فاختفى ثم تحامل على وجهه الى باب تونس احد أبواب القيروان ، فخرج منه ومضى الى عمه عمران بن حبيب ، وهو والي تونس لوالده . فكانت ولاية عبد الرحمن بن حبيب افريقية عشر سنين وسبعة أشهر ، وكان أول متغلب على بلاد افريقية .

ولاية الياس بن حبيب افريقية

ولما قتل أخاه ولي امور افريقية والقيروان ، وحبيب عند عمه عمران بتونس ، فأخبره بخبر أبيه ولحق بهما مواليهما وعبيدهما من كل ناحية ، فخرج الياس وأتاه حبيب وعمران بمن معهما ، فهمّوا بالقتال ثم اصطلحوا على أن يعود عمران الى ولاية تونس وصطفورة والجزيرة ، ويكون حبيب على قفصة وقسطيلية ، والياس لسائر افريقية والمغرب .

ومضى الياس مع أخيه عمران الى تونس ، فوثب عليه الياس وبعث به الى الاندلس ، وولى على تونس محمد بن المغيرة وانصرف الى القيروان ، فبلغه عن حبيب أخبار كرهها ، فعلم ذلك حبيب فدسّ له من زيّن له الخروج الى الاندلس ، ففعل ، ووجه معه شقيقه عبد الوارث ومن احبّ من مواليه ، فركبوا البحر وقد تعذّرت بهم الريح ، فكتب حبيب الى الياس ان الريح ردّته ووقفوا بطبرقة ، فكتب الياس الى عامله بها يحذره من أمره ، فسمع به موالي عبد الرحمن وأهل طاعته فأتوا اليه من كل ناحية وطرقوا سليمان بن زياد ، عامل الياس ، وهو في معسكره يحارس حبيباً ، فأسروه وشدّوا وثاقه وركبوا الى حبيب فأخرجوه الى البر .

ذكر قيام حبيب بن عبد الرحمن

ابن حبيب على عمه الياس وتغلبه على بلاد افريقية

لما خرج حبيب هذا الى البر ، واجتمعت عليه أهل طاعة أبيه، ظهر أمره وشاع ذكره وتوجّه الى الاربس فاخذها، وبلغ خبره الى الياس فخرج يريده واستخلف على القيروان محمد بن خالد القرشي .

فلما قرب الياس منه تحاربا حرباً خفيفة ، فلما أمسى حبيب اوقد النيران ليظن الناس انه مقيم ، ثم أسرى فأصبح بجلولا ، ثم نفذ الى القيروان فاستولى عليها ورجع الياس في طلبه ففسد عليه من كان معه، وتقوّى حبيب وخرج اليه في جمع عظيم . فلما التقيا ناداه حبيب: لم نقتل صنائعنا وموالينا وهم لنا حصن، ولكن ابرز انت وأنا فأيُّنا قتل صاحبه استراح منه. فناداه الناس: قد انصفك يا الياس. فخرج كل واحد منهما الى صاحبه ، ووقف أهل العسكر ينظرون ، فتطاعنا حتى تكسَّرت قناتاهما ، ثم تضاربا بسيوفهما ، وعجب الناس من صبرهما ، ثم ضرب الياس حبيباً ضربة في ثيابه ودرعه ووصلت الى جسده، وضرب حبيب عمه الياس ضربة اسقطته ، ثم اكب عليه فحز رأسه وأمر برفعه على رمح واقبل به الى القيروان ،

فدخلها وبين يديه رأس عمه وأروس اصحابه ، فيهم عم ابيه محمد ابن ابي عبدة بن عقبة، ورأس محمد بن المغيرة القرشي وغيرهما من وجوه العرب، وذلك في عام ١٣٨، فكانت ولاية الياس الى ان قتل نحو سنة وستة اشهر .

وفي سنة ١٣٨ قام البربر بافريقية على حبيب بن عبد الرحمن ابن حبيب ، ولما قتل حبيب عمه الياس هرب عبد الوارث بن حبيب ومن كان معه من عسكر الياس اخيه الى بطن من البربر ، يقال لهم ورفجومة من نفزة ، لاجئين اليهم ، فنزلوا عليهم ، واميرهم عاصم بن جميل ، فكتب اليه حبيب يأمره ان يوجه بهم اليه ، فلم يفعل ، فزحف اليه حبيب ولقيه عاصم ومعه كل من هرب من حبيب ، فاقتتلوا وانهزم حبيب .

وكان اذا خرج اليهم استخلف على القيروان ابا كريب القاضي ، فكاتب بعض اهل القيروان الى عاصم والى شيوخ ورفجومة ، وظنوا انهم يوفون بعهدهم واظهروا لهم انهم انما يريدون ان يدعوا لأبي جعفر ، فزحف عاصم بن جميل وأخوه مكرم بمن كان معهم من البربر ومن لجأ اليهم من العرب ، بعد ان هزموا حبيباً ، وساروا الى ناحية قابس حتى انتهوا الى القيروان ، فلما دنا بعضهم من بعض خرج جماعة من عسكر عاصم ، فقُتِلَ منهم اناس وتفرّق الناس عن القاضي ابي كريب

ورجعوا الى القيروان ، ولم يعلموا ما يحلّ بهم من البربر . وثبت أبو كريب في نحو ألف رجل من اهل الدين مستسلمين للموت ، فقاتلوا حتى قُتِل ابو كريب وأكثر أصحابه ، ودخلوا ورفجومة القيروان فاستحلّوا المحارم وارتكبوا الكبائر ، ونزل عاصم بمصلّى روح ، ثم استخلف على القيروان عبد الملك بن أبي الجعدي اليفرني وسار الى حبيب وهو بقابس ، فانهزم حبيب ولحق بجبل اوراس ، فسار اليه عاصم فهزمه حبيب وقتله مع جملة من اصحابه ، وأقبل حبيب الى القيروان فخرج اليه عبد الملك بن أبي الجعدي ، فانهزم حبيب وقُتل في المحرم من سنة ١٤٠ ، فكانت ولاية عبد الرحمن بن حبيب نحو عشر سنين واشهراً وولاية أخيه الياس سنة وستة اشهر .

وكان حبيب ثائراً غالباً ، ثم تغلّب على افريقية بعض القبائل الصفرية ، بعد قتل حبيب وعاصم ، فدخلوا القيروان وربطوا دوابهم في المسجد الجامع ، وقتلوا كل من كان من قريش ، وعذبوا اهلها ، وسامت ورفجومة اهل القيروان سوء العذاب ، وندم الذين دعوهم واعانوهم اشدّ ندامة .

ثم قام ابو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافري ، وكان ثائراً متغلباً ، خرج من اطرابلس بعدما كان استولى عليها ، يريد القيروان لقتال ورفجومة ، فالتقى معهم وقاتلهم . ثم

هزمهم وتبعهم يقتلهم . ثم انصرف الى القيروان ، فولى عليها عبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت بعد ذلك . ومضى أبو الخطاب الى إطرابلس . وكانت مدة هذه الأهوال والفتن التي اختصرناها هنا مُجملة في نحو ثلاثة أعوام .

وفي سنة ١٣٩ كان الفداء بين أبي جعفر المنصور والروم، فاستنقذ المنصور منهم أسرى المسلمين . ولم تكن بعد ذلك صائفةٌ للمسلمين الى سنة ١٤٦

وفي سنة ١٤٠ كان ابتداء بناء سجلماسة .

وفي سنة ١٤١ كان خروج أبي الخطاب الى القيروان لقتال ورفجومة ، فخرج اليه واليها عبد الملك ، فخذله أهل القيروان وانهزموا عنه ، فقُتل عبد الملك وأصحابه في صفر . وكان تغلُّب ورفجومة على القيروان سنة وشهرين .

وفي سنة ١٤٢ أقبل أبو الأحوص العجلي بالمسوّدة ، فخرج اليه أبو الخطاب ، فالتقوا بمقداس على شاطىء البحر ، فانهزم أبو الأحوص واصحابه ، واحتوى أبو الخطاب على عسكرهم . ورجع ابو الأحوص الى مصر ، وانصرف أبو الخطاب الى اطرابلس ، وكانت افريقية كلها في يديه الى أن وجّه المنصور ابنَ الأشعث .

وفي سنة ١٤٣ اتصل بأبي الخطاب أنّ ابن الأشعث يريد

القيروان ، فخرج اليه في زهاء مائتي الف ، فعسكر بهم في أرض سرت . واتصل ذلك بمحمد بن الأشعث .

وفي سنة ١٤٤ ولي افريقية محمد بن الأشعث الخزاعي . لمّا غلبت الصفريّة على افريقية ، بعد أن قتلت ورفجومة من قتلت من قريش وغيرهم ، خرج جماعة من عربها الى المنصور يستنصرون به على البربر ، ويصفون له ما نالهم منهم . فولى ابو جعفر ابنَ الأشعث مصر ، فوجّه أبا الأحوص ، فهزمتْه البربر كما تقدّم . فكتب أبو جعفر الى ابن الأشعث أن يسير بنفسه ، فخرج الى افريقية في أربعين ألفاً عليها ثمانية وعشرون قائداً . فالتقوا بأبي الخطاب ، وكان قد جمع اصحابه في كل ناحية ، ومضوا في عدد عظيم . فضاق ذرع ابن الأشعث بلقاء أبي الخطاب لما بلغه كثرة جيوشه . ثم ان زناتة وهوّارة تنازعت فيما بينهما ، واتهمت زناتة أبا الخطاب في ميله مع هوّارة ، ففارقه جماعة منهم . وبلغ ذلك ابن الأشعث ، فسر به ورحل اليه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم البربر . وقتل أصحاب أبي الخطاب وابو الخطاب . فظنّ ابن الأشعث ألاّ بقية بعد أبي الخطاب . ثم طلع عليهم أبو هريرة الزناتي في ستة عشر ألفاً ، فتلقّاهم ابن الأشعث ، فهزمهم وقتل بعضهم ، وذلك في ربيع الاول من السنة . ووجه ابن الأشعث برأس أبي الخطاب الى

بغداذ . ولما انتهى الى عبد الرحمن بن رستم قتل ابي الخطاب ولى هارباً الى موضع تاهرت فاختطها ونزلها ؛ وأخذ أهل القيروان عامله عليها ، فأوثقوه في الحديد وولوا على انفسهم عمرو بن عثمان القرشي ، الى أن وفد عليهم ابن الأشعث ودخل القيروان غرّة جمادى الأولى من السنة .

وفي هذه السنة أمر ابن الأشعث ببناء سور القيروان في ذي القعدة . وكان تمامه في رجب سنة ١٤٦ . وضبط ابن الأشعث افريقية وأعمالها ، وأمعن في كل من خالفه من البربر بالقتل ، فخافوه وأذعنوا له بالطاعة . ثمّ ثار عليه عيسى بن موسى بن عجلان ، وكان أحد جنده ، في جماعة من قواده ، فاخرجوا ابن الأشعث من القيروان من غير قتال ؛فكان خروج ابن الأشعث من القيروان في ربيع الأول سنة ١٤٨ . فكانت ولايته بها ثلاثة أعوام وعشرة أشهر ، في خلافة أبي جعفر المنصور .

وفي سنة ١٤٥ اشتغل ابن الأشعث ببناء سور القيروان . وأخصبت بلاد افريقية . وكان قد بعث الى زويلة وودان ، فافتتحهما وقتل من بهما من الأباضيّة . وقتل عبد الله بن حيان الأباضي ، وكان رأس أهل زويلة . وسكّن ابن الأشعث أحوال أهل افريقية في هذه السنة ، فلم تكن بها حركةٌ له .

وفي سنة ١٤٦ استتمّ ابن الأشعث بنـــاءَ سور مدينة القيروان . وفيها أيضاً استتمّ المنصور بناء بغداذ ، ولازم العمل فيها ، وانتقل الى سكناها في شهر صفر من هذه السنة .

وفي سنة ١٤٧ كان الأمير على مصر يزيد بن حاتم ، وعلى افريقية محمّد بن الأشعث الخزاعيّ . وليس هو محمد بن الأشعث الكِندي ابن أُخت عائشة (رضها) .

وفي سنة ١٤٨ ثار الجند على محمد بن الاشعث بافريقية ، وسألوه الخروج عنهم فخرج في ربيع الاول كما تقدّم ذكره . ثم اتفق الجند على تولية عيسى بن موسى الخُراساني .

ثورة عيسى بن موسى بالقيروان

وببعض بلاد افريقية

فتغلّب عليها ببعض العرب والجند من غير عهد من المنصور ولا رضىً منه ، ولا تراضٍ من العـامة ، وذلك في شهر ربيع الآخر من عام ١٤٨ المذكور ، فكانت مدّته ثلاثة أشهر .

ولاية الاغلب بن سالم التميمي

لمّا بلغ المنصور ما كان من أمر قوّاد الجند المضرية وصرفهم محمد بن الأشعث ، بعث الى الأغلب بن سالم بن عقال التميمي عهده بولايته ، في آخر جمادى الآخرة من السنة المؤرخة ، فاستقامت له الحال . وكان من أهل الرأي وذوي المشورة . ووصله كتاب المنصور بعد كتاب العهد ، يأمره بالعدل في الرعية ، وحسن السيرة في الجند ، وتحصين مدينة القيروان وخندقها ، وترتيب حرسها ومن يترك فيها إذا رحل الى عدوّه ، وغير ذلك من أموره .

وسنة ١٤٩ لم يكن فيها حركة .

وفي سنة ١٥٠ ثار الحسن بن حرب الكندي بالقيروان على الأغلب بن سالم ؛ وسبب ذلك أنّ أبا قرّة الصفري خرج في جمع كبير من البربر ، فسار اليه الأغلب في عامة القوّاد الذين معه ، وخلّف على القيروان سالم بن سوادة . فلما علم أبو قرّة أنّ الأغلب قرب منه هرب ، وتفرّق أصحابه . وقدم الأغلب الزاب ، وعزم على الرحيل منه الى تلمسان ، قاعدة زناتة ، ثم الى طنجة . فكره الجند المسير معه ، وقالوا: قد هرب أبو قرّة الذي خرجنا اليه ! وجعلوا يتسللون عنه الى

القيروان ، فلم يبقَ معه الا نفر يسير من وجوههم . وكان الحسن بن حرب بتونس . فلما خرج الأغلب يريد أبا قرة ، كاتب جميع القواد ، فلحق به بعضهم ، وأقبل معهم الى القيروان فدخلها ، وأخذ سالم بن سوادة عاملها فحبسه . وبلغ الخبر الأغلب ، فأقبل في عدة يسيرة ، وكتب اليه يعرّفه بفضل الطاعة ووبال المعصية ، فأعاد الجواب الى الأغلب ، وفي آخره :

ألا قولا لأغلب غير سرّ مغلغلة عن الحسن بن حرب
بأنّ البغي مرتعه وخيم عليك وقربه لك شرُّ قرب
فإن لم تدعُني لتنالَ سلمي وعفوي فادن من طعنٍ وضرب

وأقبل الأغلب يحثُّ السير بعدما مضى الى قابِس ، وقدم رسول المنصور عليه بكتاب منه اليه والى الحسن بن حرب ، يدعو الحسن الى الطاعة ، فلم يقبل . فأقبل اليه الاغلب ، فاقتتلوا ، وانهزم الحسن ومضى راجعاً الى تونس ، ودخل الأغلب القيروان . ثم حشد الحسن وسار في عدة عظيمة الى القيروان . ثم إن الأغلب ، لما بلغه قدوم الحسن اليه ، جمع أهل بيته وخاصته وخرج اليه ، فأصابه سهمٌ ، فمات منه في شعبان من السنة المؤرخة ، فكانت ولايته سنة واحدة وثمانية أشهر .

ولاية عمرو بن حفص

ابن قبيصة افريقية

ثم ولي افريقية عمرو بن حفص بن قبيصة سنة ١٥١ . وكان شجاعاً بطلًا . وسبب ولايته ان أبا جعفر ، لما بلغه قتل الاغلب ابن سالم، وجّهه في نحو خمسمائة فارس . فأقام بالقيروان ثلاث سنين وأشهراً من ولايته ، والامور له مستقيمة . ثم سار الى الزاب ، واستخلف حبيب بن حبيب بن يزيد بن المهلب . فخلت افريقية من الجند ، وثار بها البربر . فخرج اليهم حبيب والتقى معهم ، فهزموه وهزموا عسكر إطرابلس معه . فاشتدّت الفتنة بافريقية واشتعلت نارها . وأتاها أُمراء القبائل من كل فجٍّ ، واجتمعوا في اثني عشر عسكراً ، وتوجهوا الى الزاب وليس مع عمرو بن حفص إلا خمسة عشر ألفاً وخمسمائة . وكان أمراء المغرب في ذلك الوقت ورؤساؤهم أبو قُرّة الصُّفريّ في أربعين ألفاً ، وعبد الرحمن بن رستم الاباضيُّ في خمسة عشر ألفاً ، وأبو حاتم في عدد كثير ، وعاصِم السدراتيّ في عدد كثير : قيل في ستة آلاف ، والمصور الزناتيُّ في عشرة آلاف، وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجيّ الصفريّ في ألفين سوى جماعاتٍ أُخرى .

قال الرقيق : لم أذكرهم .

فلما رأى عمرو بن حفص ما أحاط به من العساكر بمدينة طبنة بالزاب ، جمع قوّاده، فاستشارهم ، وقال لهم : اني اريد مناهضة هذا العدو ! فأشاروا عليه ألا يبرح من مدينة طبنة ، وقالوا له : أخرج منا من اردت الى عدوّك ولا تخرج انت ! فإنك ، إن أُصبت ، تلِف المغرب وفسد ! فوجه عمرو الى أبي قرّة مالاً كثيراً وكسىً كثيرة ، على أن ينصرف عنه ، فقال : لا حاجة لي بذلك ! فانصرف الرسول بذلك الى أخيه ، فدفع له بعض المال والثياب على أن يعمل في صرف أخيه أبي قرّة والصفرية الى بلادهم . فعمل في ليلته تلك ، واجتمع بأهل العسكر ؛ فلم يعلم أبو قرة حتى انصرف عنه أكثر أهل العسكر فلم يجد بدّاً من اتباعهم .

فلما انصرف الصفرية وجّه عمرو الى ابن رستم عسكراً ، وكان في تهودا ، فانهزم ابن رستم ، وقتل من اصحابه نحو ثلاثة آلاف ، ووصل منهزماً الى تاهرت .

ورجع عمرو بن حفص الى القيروان ، فجعل يدخل اليها كل ما يصلحه من الطعام والمرافق وعدّة الحصار . ثم أقبل أبو حاتم في جموعه حتى نزل عليه . وكثُرت الفتن ببلاد افريقية . ويقال إنّ عدة من حاصر القيروان مائة ألف وثلاثون ألفاً . وكان ابن حفص يخرج اليهم في كلّ يوم فيحاربهم . فلم يزالوا

كذلك حتى ضاق أمرهم ، وأكلوا دوابهم وكلابهم وسنانيرهم .
وانتهى الملح عنـــدهم أوقية بدرهم . واضطرب على ابن
حفص أمره وسـاء خلقه ، وبلغه ان يزيد بن حاتم بعثـه أمير
المؤمنـين في ستين ألفاً لنصرة القـيروان ، فقال : لا خير في
الحياة بعد هذا أن يقال: يزيد اخرجه من الحصار ! إنما هي رقدة
وأبعث الى الحساب ! وخرج فجعل يطعن ويضرب حتى قُتل
في النصف من ذي الحجة من سنة ١٥٤ . ولم يعـط الحال
تفصيل هذه السنين من سنة ١٥١ الى ١٥٣ بعدهـا سنة سنة ،
فأجملت أمرها هنا اجمالاً مختصراً يغني عن اعادتهـا في كل
واحدة منها .

ولما قتل عمرو بن حفص بايع الناس اخاه جميل بن حفص
بالقيروان . فلما طال عليه الحصار دعاه ذلك الى مصالحة ابي
حاتم ، على ان جميلاً واصحابه لا يخلعون طاعة سلطانهم ، ولا
ينزعون سوادهم . فغضبِ ابو حاتم ، وأحرق أبواب القيروان ،
وثلم سورها ، ودخلهـا . ولما دخل أبو حاتم القيروان أخرج
اكثر أهلها الى الزاب . ثم بلغه قدوم يزيد بن حاتم ، فتوجّه
الى إطرابلس للقـــائه ، واستخلف على القيروان عبد العزيز
المعافريّ . فقام عليه عمر بن عثمان ، وقتل أصحاب أبي حاتم .
فزحف اليهم أبو حاتم الى القيروان ، فاقتتـل معهم . وتوجه

أبو عثمان الى تونس ، ورجع ابو حاتم الى إطرابلس حين بلغه قدوم يزيد بن حاتم . فقيل إنـه كان بين العرب والبربر ، من لدن قاتلهم عمرو بن حفص الى انقضاء أمرهم ، ثلاثمائة وخمس وسبعون وقيعة .

وفي سنة ١٥١ ولى المنصور عمرو بن حفص المتقدم الذكر افريقية ، فقدمها في صفر في خمسمائة فارس . وكان قد ولى افريقية سنة ١٥٠ ، بعد موت الأغلب ، المخارق بن غفار الطائيّ ، استخلفه الأغلب على القيروان ، واجتمع الناس عليه في رمضان ، فوجّه الخيل في طلب الحسن بن حرب ، فهرب من تونس الى كتامة ، فاقام شهرين ، ورجع الى تونس ، فخرج اليه من بها من الخيل ، فقُتِل الحسن بن حرب .

وفي سنة ١٥٢ كان ما تقدّم ذكره على الجملة بافريقية . وفيها عزل المنصور يزيد بن حـاتم عن مصر ، وولاها محمّد بن سعيد . وكان سائر عمّاله الذين كانوا في السنة قبلها .

وفي سنة ١٥٣ قال الطبريّ : ُقتِلَ عمرو بن حفص ، قتله ابو حـاتم الاباضي وابو غادي ومن كان معهمـا من البربر ، وكانوا فيما ذكر ثلاثمائة ألف وخمسين الفاً ، الخيل منها خمسة وثلاثون ألفاً ، ومعهم ابو قرّة اليفرني ، امير تلمسان ، في اربعين ألفاً . وكان يُسَلَّم عليه بالخلافة . هكذا ذكر ابن

القطان في نظم الجمان . وقد تقدّم أنّ قتل عمرو بن حفص كان في سنة ١٥٤ . ذكر ذلك الرقيق وابن حمادة وغيرهما .

قال الرّقيق وعريب : وفي سنة ١٥٣ زحف ابو قرّة من تلمسان في جمع كبير من البربر الى القيروان ؛ فصالحه عمرو ابن حفص ، وانصرف . وفيهـا ثارت البربر باطرابلس ، وقدموا ابا حاتم الاباضيّ ، واسمه يعقوب بن لبيب .

وفي سنة ١٥٤ قال عريب : استخلف عمرو بن حفص على طُبنة المهنأ بن المخارق ، وخرج عمرو الى القيروان ؛ فأقبل اليه ابو حاتم الاباضي الى ان قتل عمرو كما تقدم ذكره . ولما بلغ المنصور قتل عمرو بعث الى افريقية يزيد بن حاتم ، على ما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى .

وفي سنة ١٥٥ قال الطبري : فيها افتتح يزيد بن حاتم افريقية ، وقتل ابا غادي وابا حاتم ؛ واستقامت بلاد المغرب ودخل يزيد بن حاتم القيروان .

وفيها انصرف ابو حاتم الاباضي من اطرابلس الى القيروان ثم قدم يزيد .

ولاية يزيد بن حاتم افريقية والمغرب

هو يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وكان يكنى ابا خالد . ولاه أمير المؤمنين ابو جعفر المنصور العباسي . وحاله في كرمه ، وجوده ، وشجاعته ، وبعدِ صيته ، ونفاذ رأيه ، وتقدمه معروف غير منكر . وكان كثير الشبه بجده المهلب ابن ابي صُفرة في حروبه و كرمه . وكان له اولاد مذكورون بالشجاعة والاقدام . ويقال انه انتهى ولد المهلب ثلاثمائة ولد من الذكور والاناث ، من مات منهم ومن عاش . وكان ابو جعفر المنصور عالماً ببلاد افريقية ، وكان لا يبعث اليها الا خاصته . وكان يزيد هذا حسن السيرة ، فقدم افريقية واصلحها ، ورتب اسواق القيروان ، وجعل كل صناعة في مكانها . ولم تزل البلاد هادئة الى ان ثارت عليه البربر فزحف لهم واوقع بهم . وله فيهم ملاحم مشهورة . وفيه قيل : شتان ما بين اليزيدين ! يعني يزيد بن سُليم ويزيد بن حاتم . ومن شعر ربيعة فيه في قصيدة :

حَلَفْتُ يميناً غير ذي مثنوية ،
يمين امرىء آلى وليس بآثم
لشتّان ما بين اليزيدين في النّدى :
يزيد سُليم والأغرّ بن حاتم

وقدم يزيد على افريقية ومعه من كل جند من الشام والعراق وخراسان ، فنزل أولاً اطرابلس ، وسار اليه ابو حاتم ، وزحف اليه يزيد واقتتل معه حتى قُتل ابو حاتم وكثير من اصحابه وهزم سائرهم ، فاتبعوا ، وقُتل من ادرك منهم . واستعمل يزيد على اطرابلس سعيد بن شداد ، وحينئذٍ نهض الى القيروان ، فدخلها يوم الاثنين لعشر بقين من جمادى الآخرة من هذه السنة .

وفي هذه السنة انكرت الصفرية المجتمعة بسجلماسة على اميرهم عيسى بن يزيد اشياء ، فشدّوه وثاقاً ، ووضعوه على قنّة جبل ، فلم يزل كذلك حتى مات ، وقدموا سمقوا بن واسول بن مدلان المكناسي جد مدرار .

وفي سنة ١٥٦ بعث يزيد بن حاتم العلاء بن سعيد المهلبي مدداً للمخارق بمدينة طبنة بالزاب ، ودخل قلعة حبجاب بجبل كتامة ، وهرب عبد الرحمن بن حبيب عنها . وقتل العلاء جماعة ممن ادرك فيها ، ثم انصرف الى القيروان .

وثار على يزيد بن حاتم ابو يحيى بن قرياس الهواري بناحية اطرابلس ، واجتمع اليه كثير من البربر . وكان بها عبد الله ابن السمط الكندي قائداً ليزيد ، فالتقوا على شاطىء البحر ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم ابو يحيى وقتل عامة اصحابه . وتهدنت افريقية ليزيد بن حاتم وضبطها .

وفي سنة ١٥٧ جدد يزيد بناء المسجد الجامع بالقيروان . وكان غاية في الجود . وفيها توفي ابو جعفر المنصور في ذي الحجة من السنة المؤرخة .

وفي سنة ١٥٨ ولي الخلافة المهدي : بويع يوم مات ابو جعفر بمكة – شرفها الله – بعهد من أبيه ، وذلك يوم السبت لست خلون لذي الحجة . واستقل بالملك والخلافة في هذه السنة . وكان اديباً ، جواداً ، محباً لاهل الأدب والشعر. وقد ذكرنا بعض اشعاره واخباره في تاريخ المشرق ، اذ الغرض هنا ذكر اخبار المغرب الاقصى والاوسط .

وفي سنة ١٦٢ توفي أبو خالد عبد الرحمن بن زياد بن أنعم ، القاضي بالقيروان ، وصلى عليه أمير افريقية يزيد بن حاتم ، وتمثل بهذا البيت لما رأى ازدحام الناس عليه :

يا كعب ما راح من قوم ولا ابتكروا
إلا وللموت في آثارهم حادِ

وكان مرضه انه اكل حوتاً وشرب عليه لبناً على مائدة يزيد ، وكان قد جاوز تسعين سنة ، فهلك من ليلته .

وفي سنة ١٦٣ أمر المهدي يحيى بن خالد بن برمك أن يكون كاتباً لابنه هارون ، وقال له : اني اخترتك ووليتك الكتابة . وامر له بمائة الف درهم ، معونة على سفره مع هارون ابنه .

وفي سنة ١٦٥ أغزى المهدي ابنه هارون الى بلاد الروم في خمسة وتسعين الفاً ، بمائة الف الف من العين ، وبعشرين الف الف من الورق . فبلغ خليج البحر على القسطنطينية ؛ وأذعن له الروم بالجزية تسعين الف دينار في كل سنة ؛ وانصرف بخمسة آلاف من الاسرى وبالغنائم .

وفي سنة ١٦٦ قدم هارون ابن أمير المؤمنين من غزوته هذه وقدمت الروم بالهدية والجزية . وفيها سخط المهدي على وزيره يعقوب بن داود . وكان قد فوض اليه أمر خلافته .

وفي سنة ١٦٩ توفي المهدي بن المنصور ، رحمه الله ، واختلف في سبب موته : فقيل مسموماً غلطاً ، وقيل غير ذلك . واستخلف ابنه موسى الهادي .

وفي سنة ١٧٠ توفي موسى الهادي في ربيع الأوّل ، وهو ابن ستّ وعشرين سنة ونصف ؛ فكانت خلافته سنة وشهرين . واستُخلف هارون بن محمد الرشيد .

وفي سنة ١٧١ توفـّي أمير افريقية يزيد بن حاتم ، وكان خاصّاً بأبي جعفر المنصور ، وتولى ولايات كثيرة قبل قدومه المغرب : منها أرمينية ، والسند ، ومصر ، وأذربيجان ، وغير ذلك . وكانت ولايته مصر سنة ١٤٤ الى سنة ١٥٢ . وكان

حسن السيرة بافريقية ، امتدحه كثير مـــن فحول الشعراء ، فأجزل لهم العطاء .

قال الزبير بن بكار عمّن حدثه من الشعراء ، قال : كنت امدح يزيد بن حاتم من غير ان اعرفه ولا القـاه . فلمّا ولاه المنصور مصر أخذ على طريق المدينـــة ، فلقيه ، فـأنشده منذ خرج من مسجد رسول الله (صلعم) الى مسجد الشجرة ، فاعطاه رزمتي ثياب وعشرة آلاف دينار. هكذا ذكر الرقيق. وممّا قيل فيه :

يا واحد العرب الذي دانت له قحطان قاطبة وساد نزارا
إني لأرجـو اذ بلغتك سالمـاً ألا" اكابد بعـدك الأسفارا

وفيه قيل :

لشتـّان ما بين اليزيدين في الندى
اذا عدّ في الناس المكارم والمجد

وقوله : لشتان ما بين اليزيدين مثل يتمثل به في كل ناحية على لسان كل سائر . وكان على ربيعة دية فأعطاه عشر ديات ، ووصله ، وأحسن اليه . وكان سخياً . ومن قول يزيد بن حاتم ، رحمه الله :

ما يألف الدرهم المضروب خرقتنا
إلا" لمامـاً يسيراً ثم ينطلـق

يمرُّ مرّاً عليها وهي تلفظه ،
إني امرؤٌ لم يحالف خرقتي الورق .

ومن أخباره بافريقية – رحمه الله ! – رُوي أن بعض وكلائه زرع فولاً كثيراً في بعض رياضاته ، فقال له : يابنَ اللخناء! أتريد أن أعَيّر بالبصرة ، فيقال : يزيد بن حاتم باقلانيّ؟ ثم أمر بأن يباح للناس . وخرج يوماً في طريقه من القيروان متنزّهاً ، فنظر الى غنم كثيرة كانت لابنه ، فزجره عليها ، وأمر بذبحها وان تباح للناس ، فانتهبوها ، وأكلوها ، وجعلوا جلودها في كدية ، فهي تعرف من ذلك الوقت بكدية الجلود . وكانت وفاته في رمضان من سنة ١٧١ ، فكانت ولايته خمس عشرة سنة وثلاثة اشهر ، في بعض خلافة المنصور وخلافة المهدي كلها ، وبعض خلافة هارون الرشيد .

ولاية داود بن يزيد بن حاتم افريقية

استخلفه أبوه في مرضه ، فأقام والياً بافريقية تسعة أشهر ونصفاً ، يحارب أمراء قبائل البربر محاربة كثيرة . وكان بينه وبينهم مواقف كثيرة في جبال باجة وغيرها . وقام عليه نصير بن صالح الأباضي ، فخرج اليه المهلَّب بن يزيد فهزموه وقتلوا من أصحابه جماعةً . فوجه اليهم داود سليمان بن يزيد في عشرة آلاف ، فهرب البربر أمامهم ، فتبعهم ، وقتل منهم أكثر من عشرة آلاف . وأقام داود على افريقية الى ان قدم عليه عمُّه رَوْح بن حاتم أميراً على المغرب .

ذكر ابتداء الدولة الهاشمية بالبلاد الغربية

وهم الادارسة ، رحمهم الله

اتفق جماعة المؤرخين أن دخول ادريس بن عبد الله (رضه) الى المغرب كان في سنة ١٧٠ . وهو إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن عليّ (رضه) . وكان دخوله في امارة يزيد ابن حاتم افريقية ، وامارة هشام بن عبد الرحمن الداخل بقرطبة ، واول ظهور بني مدرار بسجلماسة . وكان نزوله بوادي الزيتون بموضع يعرف بمدينة البلد . وكان وصوله مع مولاه راشد .

وقال البكريّ في المجموع المفترق : وكان نزوله بوَلِيلة ، وهي اسم لطنجة باللسان البربري .

وذكر محمد بن يوسف انها كانت على مسافة يوم من موضع فاس الآن . وكانت مدينة أزلية ، وبها مات ادريس (رضه) . وكان سبب وصول ادريس الى المغرب ، ما ذكره الرقيق والنوفلي في المجموع المفترق ، وغيرهما من المؤرخين ، وذلك أن الحسين بن عليّ بن حسن بن حسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب (رضه) كان قد قام بالمدينة أيام موسى الهادي ، ثم خرج الى مكة في ذي الحجة سنة ٦٩ ، وخرج معه جماعة من اخوانه وبني عمه ، منهم ادريس

ويحيى ابنا عبد الله بن حسن . وبلغ ذلك الهادي فولى حربه محمد بن سليمان بن عليّ . وكانت الوقعة بفخ ، فقتل الحسين بن عليّ وأكثر أصحابه . وأفلت ادريس هذا الداخل الى المغرب ، فوقع الى مصر ، وكان على بريدها واضح ، مولى صالح بن المنصور ، فحمله على البريد الى أرض المغرب ، فوقع بمدينة ولِيلة من أرض طنجة ، فاستجاب له من بها من قبائل البربر . ولما ولي الرشيد وبلغه أمره بعث الى واضح فضرب عنقه ، ودسّ الى ادريس الشمّاخ مولى الهادي ، فخرج حتى وصل ولِيلة ، وذكر أنه متطبب من شيعتهم العلوية ، ورحل الى ادريس ، فأنِس به واطمأن اليه . ثم انه شكا له علة في أسنانه ، فأعطاه سنوناً مسموماً قاتلاً ، وأمره أن يستنّ به عند طلوع الفجر ، فأخذه منه ؛ وهرب الشمّاخ من تحت ليلته . فلما طلع الفجر استنّ ادريس ، وأكثر منه في فمه ، فسقطت أسنانه ومات من وقته . وطُلب الشمّاخ فلم يُظفر به ، وقدِم على الرشيد فولاه بريدَ مصر . هكذا ذكر الرقيق في كتابه .

وفي سنة ١٧٢ اجتمعت القبائل على ادريس بن عبد الله من كل جهة ومكان ، فأطاعوه وعظّموه وقدّموه على أنفسهم ، وأقاموا معه مغتبطين بطاعته ، ومتشرفين بخدمته طول حياته .

وكان مالكاً لشهواته ، فاضلًا في ذاتـه ، مؤثراً للعدل ، مقبلًا على أعمال البر .

وفي سنة ١٧٣ كان خروجه بعساكر القبائل الغربية حتى انتهى الى بلاد السوس الأقصى ، ودخل ماسّة ، فغنم وسبى ، ورجع الى الغرب سالماً غانماً .

وفي سنة ١٧٤ توجه بعسكره الى رباط تازا لما قفـل من حركة السوس ، فوجد في جبل من تازا معدن الذهب.وأجابه جميع القبائل الغربية وأطاعوه وبايعوه في هذه السنة ،وكملت له الامارة فيهم .

ولاية روح بن حاتم بن قبيصة

ابن المهلب افريقية

ولاّه عليها أمير المؤمنين هارون بن محمد الرشيد ، فقدمها في سنة ١٧١ . وكان له ولايات كثيرة : فحجب للمنصور ، ثم ولاه البصرة ، وولي الكوفة في أيام المهدي ، وولي السّند وطبرستان وفلسطين وغير ذلك . ونظر رجل الى روح بن حاتم واقفاً في الشمس عند باب المنصور ، فقال له : لقد طال وقوفك في الشمس ! فقال له : ليطول بذلك وقوفي في الظل ! وتوفي له ابن فدخل عليه أصحابه ، وهو ضاحك ، فتوقفوا عن تعزيته ، فعرف ذلك منهم ، فأنشأ يقول :

وإنّا لقومٌ ما تفيض دموعنا   على هالك منا وإن قصم الظهر

وقيل إنه بعث لكاتبه ثلاثين ألف درهم ، ووقع اليه : إني بعثت اليك بكذا ، لا أستقلّها لك تكبراً ، ولا استكثرها تمنناً ، ولا أقطع عنك بها رجاء بعد . والسلام .

وكان روح أكبر سناً من أخيه يزيد وأكثر ولاية . وعندما يطول جلوسه بالقيروان ، ربما خطر عليه النعاس من الضعف والشاخة . وكان يُكنى أبا خالد . توفي ليلة الاحد لسبع بقين من رمضان المعظّم من سنة ١٧٤ ؛ فكانت ولايته ثلاث سنين وثلاثة أشهر .

ثم ولي افريقية نصر بن حبيب المهلبي

وكان صاحب البريد وأبو العنبر القائد قد كتبا الى الرشيد، في جملة من كتب اليه من القوّاد، يعلمانه بضعف روح بن حاتم وكبره، وأنهما لا يأمنان موته عن قريب، وافريقية ثغر كبير لا يصلح بغير سلطان. وكان نصر هذا على شرطة يزيد بن حاتم بمصر وافريقية، وكان محمود السيرة. فكتب الرشيد عهده وبعث به سراً اليه. فلما مات روح بويع قبيصة ابنه في المسجد الجامع، وأجمع الناس على بيعته. وكان الفضل بن روح عاملاً في الزاب، فركب أبو العنبر صاحب البريد بعهد أمير المؤمنين هارون الى نصر بن حبيب، فأوصلاه اليه، وسلما عليه بالامارة، وركبا معه الى المسجد فيمن معهما حتى أتيا قبيصة، وهو جالس على الفراش، فأقاماه وأقعدا نصر بن حبيب، وأعلما الناس بأمره. وقُرىء الكتاب الواصل من أمير المؤمنين هارون الى نصر بن حبيب على الناس، فسمعوا وأطاعوا، وكان ذلك في العشر الأخير لرمضان المعظّم من عام ١٧٤، فحسنت سيرته، وعدل في أحكامه، فولي سنتين وثلاثة أشهر.

وفي سنة ١٧٥ عقد الرشيد لابنه محمّد بمدينة السلام ولاية

عهد المسلمين من بعده ، وأخذ عليه بيعة القوّاد والجند ، وسماه بالأمين ، وله يومئذ خمس سنين .

وفي سنة ١٧٦ ظهر يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن ابن عليّ بن أبي طالب بالدَّيْلم ، واشتدّت شوكته ، وقويَ أمره ، فاغتمّ الرشيد لذلك . ولم يكن في تلك الأيام يشرب النبيذ ، فصرف اليه الفضل بن يحيى في خمسين ألف رجل ؛ فانهزم يحيى بن عبد الله .

وفي سنة ١٧٧ ولي افريقية الفضل بن روح بن حاتم ، ولاّه أمير المؤمنين الرشيد عليها ، وكتب بعزله نصر بن حبيب ، وأن يقوم بأمر الناس المهلَّب بن يزيد الى أن يقدم الفضل . فكان قدومه في محرّم من هذه السنة . ولما قدم الفضل ولى ابن أخيه المغيرة تونس ، وكان غير ذي تجربة ولا سياسة للجمهور ، فاستخفّ بالجند ، وسار بهم سيرة قبيحة ، فاجتمعوا و كتبوا كتاباً لعمه الفضل ، يخبرونه بما صنع المغيرة فيهم ، وبقبح سيرته ، فتثاقل الفضل عن جوابهم ، فقالوا : كل جماعة لا رأس لها لا ينجح سعيهم ولا مطلبهم ! فقال بعضهم : أُشير عليكم بعبد الله بن عبد ربه بن الجارود . فانطلقوا اليه وقالوا له : قد رأيت ما صنع بنا المغيرة ، وقد خاطبنا عمه ، فلم يصلنا جوابه . وأنت المنظور اليه ، والمعول في الأمور

عليه ، ونحن نصيّر أمرنا اليك ، ونعتمد فيه عليك . فقال لهم : ليس لي من الجواب الا النصيحة لي ولكم ، وأنا أخاف على نفسي وأقنع بالعافية ، وإن كان أمر ، كنت فيه كأحدكم . فقالوا له : ما لك من هذا بد ! فقال لهم : أعطوني من بيعتكم ما أثق به ! فبايعوه وأطاعوه .

وفي سنة ١٧٨ ثار الجند على أمير افريقية الفضل بن روح ابن حاتم وقدّموا ابن الجارود بتونس . ثم ساروا الى المغيرة ، وهو بدار الامارة بها ، فقالوا له : الحق بصاحبك انت ومن معك ! وكتب للفضل بن روح بن عبد الله بن الجارود : اما بعد فاننّا لم نخرج المغيرة خروجاً عن الطاعة ، ولكن لأحداث احدثها فينا ، ظهر فيها فساد الدولة . فعجّل لنا من ترضاه ليقوم بأمرنا والا نظرنا لأنفسنا ! وكتب الفضل الى عبد الله بن الجارود : أما بعد فان الله يجري قضاؤه، على ما احب الناس او كرهوا، وليس اختياري أن أولي عليكم ! فاختاروا لأنفسكم ! ولكن أوجه اليكم عاملًا . فوجّه عبد الله بن محمد الى تونس . فلما وصل اليها قال لهم ابن الجارود : كيف تصنعون ذلك وأنتم قد اخرجتم ابن أخيه وشتمتموه ؟ والله ! ما بعثه اليكم إلا ليطلبكم حتى ترجعوا عن رأيكم ؛ فاذا اطمأننتم أخذكم واحداً بعد واحد ! قالوا له : فما رأيك ؟ قال :

الذي ذكرت لكم . فخرجوا حتى التقوا بالعسكر الواصل مع العامل من قِبل الفضل أمير افريقية والقيروان بموضع الزيتون ، فدفعوه عن أنفسهم ، وجرى بين الجند كلام كثير يطول ذكره ، الى أن وقعت الحرب بين ابن الجارود وعسكر الفضل ، فهزمهم ابن الجارود واتبعهم الى القيروان ، فنزل عليها . فاجتمع الفضل مع بني عمه وخاصته ، وتشاور معهم في أمره . فاضطرب الأمر عليه ، ولم يصح له أمرٌ . فلما أصبح أقبل عبد الله بن عبد ربه بن الجارود في عسكره ، والفضل في دار الامارة مع أصحابه . وكان بعض القواد على الأبواب ، فلما قرب ابن عبد ربه منها فتحوها له ، فدخل أصحابه لا يدافعهم احد ، ونزل ابن عبد ربه خارج المدينة ، ثم دخل دار الامارة ، فأمن الفضل وأصحابه ، ثمّ أمرهم بالخروج الى قابس وقال لهم : إني لا آمن أصحابي عليكم ، ولكن أوجه معكم من يوصلكم الى قابس . فوجّه لهم أبا الهيثم في جماعة ، وأخذ عليه الايمان ألا يسلم الفضل ؛ فخرج الفضل معه مع ثلاثة من بني عمه وبعض أصحابه من باب آخر ، فقال لهم البواب : اخرجوا ، يا كلاب النار ! لا رحمكم الله ! فقال الفضل عند ذلك : لا إله إلا الله ! لم يبق أحد إلا صار علينا ، حتى من اعتقناه ! وسار ليله ونهاره حتى دنا الغروب ، فسمع طبلاً ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : فلان جاء

بمائة فارس ، بعثه ابن الجارود اليك لأنه خاف عليك الجند !
ثم سمع طبلاً آخر ، فاذا هو منصور بن هاشم . فقال ، له : ما
جاء بك ؟ فقال : كذا وكذا . ثم سمع طبلاً آخر ، فاذا هو
صاحب شرطة ابن عبد ربه بن الجارود ، فقيل للفضل : إذاً
جاء ليردّك ! وذلك أنه أشار على ابن الجارود جماعة من
أصحابه : إنْ تتركوه يدخل إطرابلس ليلاً يقم الناس
معه ويرجع الى القيروان . فنادى مناديه : من كان من
طاعة ابن الجارود فلينعزل ! فانعزل الناس ، ولم يبقَ مع
الفضل أحد . فردّوه الى القيروان ، بعدما خلوا عن المهلّب
وجميع الناس الذين كانوا مع الفضل إلا محمد بن هشام والفضل
ابن يزيد ، فانطلقوا بهما حتى جُعلوا في الدار معه . ثم قُتل
الفضل بن روح في شعبان من سنة ١٧٨ ، فكانت ولايتُه سنة
واحدة وخمسة أشهر ، فكانت دولة المهالبة بافريقية ثلاثاً
وعشرين سنة ، وثار ابن الجارود في جمادى الآخرة من سنة
١٧٨ ، فكانت له مع البربر وقائع عظيمة ، وأعطاه الرشيد
الأمان فأجاب الى الطاعة .

وفي سنة ١٧٩ كتب ابن الجارود المتغلب على افريقية
الى يحيى بن موسى ، وهو بإطرابلس : أن اقدم القيروان ،
فإني مسلّم اليك سلطانها ! فخرج يحيى بن موسى بمن معه في

محرَّم ، فلما بلغ قابس تلقَّاه بها عامة الجند من القيروان ، ومعهم النَّضر بن حفص ، وعمرو بن معاوية . فخرج ابن الجارود من القيروان ، واستخلف عليها المفرّج بن عبد الملك ؛ فكانت أيام ابن الجارود سبعة أشهر .

وأقبل يحيى بن موسى والعلاء بن سعيد متسابقين الى القيروان ؛ فسبقه العلاء اليها ، فقتل بها جماعة من أصحاب ابن الجارود ، فبعث اليه يحيى بن موسى ان يفرّق جموعه إن كان في الطاعة ؛ فأمر من كان معه أن ينصرفوا الى مواضعهم . ورحل العلاء الى اطرابلس ، وكان ابن الجارود قد وصل اليها قبل وصول العلاء ، فلقي بها يقطين بن موسى ، فخرج معه سائراً الى المشرق ، فلقوا هرثمة بن أعين قد وصل بولاية افريقية . وقد كان العلاء كتب الى هرثمة يعلمه بأنه هو الذي أخرج ابن الجارود من افريقية ، فأجازه بجائزة سنيَّة . وكان يحيى بن موسى قدَّمه هرثمة . ولما لقي هرثمة ابن الجارود سيَّره الى هارون الرشيد .

ولاية هرثمة بن أعين افريقية

ولاه عليها أمير المؤمنين هارون الرشيد ، فقدم القيروان غرة ربيع الآخر ، فأنَّس الناس ، وسكَّنهم ، وأحسن اليهم. قال ابن حمادة : وصل هرثمة في جيش كثيف ، حتى نزل تاهرت ، فخرج اليه ابن الجارود ، واقتتل معه ، فهزم ابن الجارود ، وطاعت البربر لهرثمة ، وانصرف راجعاً الى القيروان. وهو الذي بنى القصر الكبير المعروف بالمنستير . قاله الرقيق .

وفي سنة ١٨٠ كانت الزلزلة العظمى بأرض مصر ، وسقط رأس منار الاسكندرية .

قال الرقيق : لما رأى هرثمة بن أعين ما رأى من الخلاف بافريقية ، وسوء طاعة أهلها ، طلب الاستعفاء ، فكتب اليه هارون الرشيد بالقدوم عليه ، فرجع الى المشرق. وهو الذي بنى سور إطرابلس .

ولاية محمد بن مقاتل العكي افريقية

وفي سنة ۱۸۱ ولى أمير المؤمنين الرشيد على افريقية محمد ابن مقاتل بن حكيم العكّي ، فقدمها في رمضان . وكان رضيع الرشيد ، وكان أبوه من كبار أهل دولته . وكان محمد هذا غير محمود السيرة ، فاضطرب أمره ، واختلف عليه جنده . ولو لم يكن من سوء سيرته ، وقبيح ما يؤثر عنه من أخباره ، إلا اقدامه على عابد زمانه وورِع عصره البهلول بن راشد ، فضربه بالسياط ظلماً وحبسه ، فكان ذلك سبب موته . ومن أخباره انه اقتطع أرزاق الجند ، وأساء السيرة فيهم وفي الرعيّة ، فمشى القائد فلاح في أهل خراسان وأهل الشام ، فلم يزل بهم حتى اجتمع رأيهم على مخلد بن مرة الأزديّ . وخرج على العكّي تمّام بن تميم التميميّ ، وكان عامله بتونس .

ثورة تمام بن تميم التميمي

على محمد بن مقاتل العكي

وفي سنة ١٨٣ زحف تمّام من تونس مع جماعـة القواد والأجناد من أهـل الشام وخراسان ، متوجهاً الى القيروان ، في النصف من رمضان . فخرج اليه العكي ، فتقاتلا ، فانهزم العكي ورجع الى القـيروان ، فتحصّن في داره التي بناهـا ، وترك دار الامارة . وأقبـل تمام ، فنزل بعسكره خلف باب أبي الربيـع . فلما أصبح تمام فتحت له الأبواب ، فدخـل القيروان يوم الاربعاء لخمس بقين من رمضان سنة ١٨٣ ، فأمن تمام العكي على دمه واهله وماله . فكانت ولايته ، الى ان اخرجـه تمام من القـيروان ، سنتين وعشرة اشهر . ثم ولي افريقية ابو الجهم تمام بن تميم التميمي . وكان ثائراً متغلباً من غير عهد من الرشيد ، وهو جـد ابي العرب ابن تمـيم صاحب التآليف . فدخل القـيروان ، وخرج العكي منهـا بامانه ، ومشى لاطرابلس . ولحق به قوم من ابناء خراسان ، منهم طرحون صاحب شرطته ، فاجتمع رأيهم على ان يـدخلوه ، فدخلها . وأقام تمام ملك القيروان ، فنهض اليـه ابراهيم بن الاغلب من الزاب، وكان اميراً عليه . فلما بلغ تماماً اقباله اليه

سار الى تونس ؛ فدخل ابن الاغلب القيروان ، وابتدر المسجد الجامع ، وصعد المنبر ، وكان فصيحاً بليغاً ، فأعلم الناس أنه ما وصل إلا لنصرة العكي محمد بن مقاتل ، وأنه هو اميرهم المقدم عليهم من أمير المؤمنين . وكتب الى العكي يخبره بما فعل في حقه ، ويؤكد عليه في الوصول . فأقبل راجعاً ، حتى دخل هو ومن معه القيروان . فمشى يوماً في أزقتها ، فنادته امرأة من طاقها ، تقول له : اشكر ابراهيم بن الاغلب ! فهو الذي رد عليك ملكك بافريقية ! فكبُر ذلك عليه . وكان تمام ابن تميم بتونس . فقال لاصحابه : ان ابراهيم بن الاغلب قد رد الملك على العكي . والذين مع العكي قد ملئوا رعباً من وقعتنا بهم ؛ واذا بلغهم خروجي من تونس يسلمونه ويصلون اليّ ! ومع هذا فان العكي حسود ، لا بد ان يخلف ابراهيم بن الاغلب فيما يشير به عليه . وكان الناس يقولون : استرحنا من العكي ، فردّه ابراهيم علينا ! فالموت خيرٌ لنا من الحياة في سلطان العكي ! ففزع الناس الى تمام بن تميم التميميّ . فلما رأى كثرة من معه طابت نفسه لقتال العكي . فكتب تمام الى العكي : اما بعد ، فان ابراهيم بن الأغلب لم يبعث اليك فيردّك من كرامتك عليه ، ولا للطاعة التي يظهرها للخليفة ، ولكن كره أن يبلغ اليك أخذُه البلاد فترجع اليه ، فان منعك ، كان

مخالفاً لأمير المؤمنين ، وان دفعها اليك ، كان ما فعله لغيره؛ فبعث اليك لترجع ، ثم يسلمك الى القتل . وغداً تعرف ما جربت من وقعتنا الك بالأمس . وفي آخر كتابه :

وما كان ابراهيم ، من فضل طاعة ،
يرد عليك الملك ، لكن لتقتلا

فلو كنت ذا عقلٍ وعلم بكيده،
لما كنت منه يا ابن عمٍّ لتقبلا

فلما وصل كتابه الى محمد بن مقاتل العكي ، قرأه ودفعه الى ابن الأغلب ، فقرأه وضحك ، وقال : قاتله الله ! ضعف رأيه . وكتب اليه ابن العكي : من محمد بن مقاتل الى الناكث ابن تميم . اما بعد ، فقد بلغني كتابك ، ودلني على قلة رأيك . وفهمت قولك في ابراهيم ، فان كانت نصيحة ، فليس من خان الله والخليفة مقبولاً منه ما نصح به . وإن كانت خديعة ، فأقبح الخدائع ما فطن له . وفي آخر كتابه :

وإني لأرجو ان لقيت ابن اغلب ،
غداً في المنايا ، ان تُفل وتقتلا

تُلاقي فتىً يستصحب الموت في الوغى،
ويحمي بصدر الرمح عزاً مؤثلا

وأقبل تمام من تونس بعسكر عظيم ، وامر ابن العكي من كان معه من أهل الطاعة بالخروج اليه مع ابراهيم بن الأغلب ، فتقاتلوا قتالاً شديداً ، فانهزم تمام ورجع الى تونس ، وانصرف ابن العكي الى القيروان ، وامر ابراهيم بن الاغلب بالمسير الى تونس .

وفي سنة ١٨٤ خرج العسكر من القيروان لحصار تونس وقتال تمام ، وذلك في محرم منها . فلما بلغ تماماً اقباله طلب الامان منه ؛ فأمنه ابراهيم ، واقبل به الى القيروان يوم الجمعة لثمان خلون من المحرم المذكور .

ولاية ابراهيم بن الاغلب بن سالم

ابن عقال التميمي افريقية

وصله عهد الرشيد في العشر الوسط لجمادى الآخرة من سنة ١٨٤ ، وقال له فيه : قد تقدم لكم بافريقية أمرٌ . وكان الرشيد ولاه بلاد الزاب ، وهي بلاد الجريد ، وابن العكي على افريقية . وكان ابراهيم بن الاغلب فقيهاً ، أديباً ، شاعراً ، خطيباً ، ذا رأي ونجدة وبأس وحزم وعلم بالحروب ومكايدها ، جريء الجنان ، طويل اللسان ، لم يلِ افريقية احسن سيرة منه ، ولا سياسة ، ولا أرأف برعية ، ولا اوفى بعهد ، ولا أرعى لحرمة منه . فطاعت له قبائل البربر ، وتمهدت افريقية في ايامه ، وعزل العكي عنها ، واستقامت الاحوال بها .

وكان ابراهيم قد سمع من الليث بن سعد ، ووهب له جلاجل أم ولده لمكانه منه . ولقد قال الليث يوماً : ليكونن لهذا الفتى شأن ! وكان لابراهيم فضائل جمة ومآثر حسنة . وكان له مع راشد أمير الغرب مولى ادريس الحسني مواقف ومحاربة . وكان راشد قد علا أمره .

ومن قول ابراهيم ، وكان قد خلف اهله بمصر :

ما سرت ميلاً ولا جاوزت مرحلة ،
إلا وذكرك يثني دائماً عنقي

ولا ذكرتك إلا بتُّ مرتقباً ،
أرعى النجوم كأن المـــوت مغتبقي

ولما ملك افريقية قمع اهل الشر بها وضبط أمرها . وكان له مع بربرها حروب يطول ذكرها . وأَحسن الى عرب قريش .
وفي سنة ١٨٥ شرع ابراهيم في بناء مدينة القصر القديم ، وصار بعد ذلك دار الأمراء بني الأغلب . وكان على ثلاثة اميال من القيروان ، وكان قد اشترى موضعه من بني طالوت ، فبناه ونقل اليه السلاح والعدد سرّاً ، وسكّن حوله عبيده واهل الثقة به من خدمته . وكان حافظاً للقرآن ، عالماً به . وثار عليه الكندي بتونس ، وكانت له معه وقائع وافقت محاربة المأمون للأمين ، بعد موت الرشيد ، وفيها قال الطبري : وقعت بالمسجد الحرام صاعقة فقتلت رجلين .

وفي سنة ١٨٦ حجّ بالناس هارون الرشيد ، واخرج معه ابنيه محمداً الأمين ، وعبد الله المأمون ، وقواده ، ووزراءه ، وقضاته ، ووليّ عهده عبد الله . قال الطبري : وكان الرشيد عقد لابنه محمد ولاية العهد في شعبان سنة ١٧٣ ، وسمّاه الأمين ، وضمّ اليه الشام والعراق سنة ١٧٥ ، ثم بويع لعبد الله المأمون بالرّقّة في سنة ١٨٣ وولاه من حدّ همدان الى آخر المشرق .
ولما قضى مناسكه في هذه السنة كتب للمأمون كتابين :

احدهما بما اشترط عليه من الوفاء بما فيه من تسليم ما ولي عبد الله من الاعمال ، وما صير له من الضياع والاموال ؛ والآخر نسخة البيعة التي أخذها لعبد الله على محمد وعلى الخاصة والعامة . وأشهد بذلك في البيت الحرام ، وأمر بقراءة الكتاب على عبد الله ومحمد ، وأشهد عليهما جماعة من حضر من بني هاشم وغيرهم . ثم أمر ان يعلق الكتاب في الكعبة ، فلمّا علق وقع ، فقيل : ان هذا الأمر سريع انتقاضه قبل تمامه .

وفي سنة ١٨٧ كان قتل الرشيد لجعفر بن يحيى ، وايقاعه بالبرامكة ، والوالي على افريقية ابراهيم بن الأغلب .

وفي سنة ١٨٨ كان غزو ابراهيم بن جبريل ارض الروم ، وجّهه الخليفة هارون ، ودخل ارض الروم من درب الصفصاف ، فخرج للقائه البطريق نقفور ، فورد عليه من ورائه امر صرفه عن لقائه ، فانصرف ومرّ بقوم من المسلمين ، فخرجوا عليه ، وانهزم ، وقتل من الروم اربعون الفاً وسبعمائة ، وأُخذ لهم أربعة آلاف دابة .

وفي سنة ١٨٩ كان شخوص الرشيد الى الرّي ، وبعث حسيناً الخادم الى طبرستان بالامان لمرزبان صاحب الدّيلَم ، وقدم عليه ، فأمنه وأمن غيره ؛ وقال ابو العتاهية في خرجة هارون هذه :

إن أمين الله في خلقه حن به البر الى مولده
ليصلح الرّيّ واقطارها ويمطر الخير بها من يده

وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم ، فلم يبق في ارض الروم مسلم إلا فدي .

وفي سنة ١٩٠ فتح الرشيد هرقلة من مدائن الروم . قال شبيل التوجمان : لما فتح الرشيد هرقلة رأيت على بابها لوح رخام مكتوباً فيه بلسانهم ، فجعلت أقرأه ، والرشيد ينظر اليّ وانا لا اشعر ، فاذا فيه : يابن آدم غافص الفرصة قبل إمكانها ، وكل الامور الى وليها ، ولا يحملنك إفراط السرور على المآثم ، ولا تحمل نفسك همّ يوم لم يأت ! فانه إن يك من أجلك وبقية عمرك ، يأت الله فيه برزقك ! فلا تكن من المغرورين بجمع المال ! فكم قد رأينا جامعاً لبعل حليلته ومقتراً على نفسه توفيراً لخزانة غيره !

وفي سنة ١٩١ ولى الرشيد هرثمة بن اعين غزو الصائفة وضم اليه ثلاثين الفاً من جند خراسان . وفيها امر الرشيد بهدم الكنائس في الثغور . ولم يكن للمسلمين بعد هذه السنة صائفة بالمشرق الى سنة ٢١٥

وفي سنة ١٩٣ توفي هارون الرشيد ، رحمه الله ، بطوس من ارض خراسان ، ليلة السبت لثلاث خلون من جمادى

الآخرة . واستخلف محمد الامين ابنـه . ولما صار الامر الى الامين اقر ابراهيم بن الاغلب على افريقيـة ، فبقي بها الى ان توفي بالقيروان ، في العشر الآخر من شوال من سنة ١٩٦ ، وعمره ست وخمسون سنة ، وولايته افريقية اثنتا عشرة سنة واشهر .

وفي سنة ١٩٦ ولي عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب افريقية، وذلك أنه لما مـات ابراهـيم بن الأغلب كان ابنه عبـــد الله هذا غائباً بمدينة اطرابلس ، فقـام له اخوه زيادة الله بالأمر ، وأخذ له البيعة على نفسه وعلى اهل بيته وجميع رجاله وخدمته وبعث اليه بذلك .

وفي سنة ١٩٧ قـدم ابو العبّاس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب من اطرابلس، فتلقاه اخوه زيادة الله ، وسلم الأمر اليه، وحمل عبد الله في امارته على أخيه زيادة الله حملًا شديـداً ، وكان يتنقّصه ، ويأمر ندماءه باطلاق السنتهم بسببه ، وزيادة الله مع ذلك يظهر له التعظيم والتبجيل والصنع الجميل ، ولا يظهر له تغيراً ، ولا يظهر عليه منه أثر . وقد كان عبد الله بن ابراهيم اراد ان يحدث جوراً عظيماً على رعيته، فأهلكه الله قبل ذلك . وكان من اجمل النـــاس خَلْقاً ، لكن من أقبحهم فعلًا ، وأعظمهم ظلماً ، أحدث بافريقية وجوهـاً من الظلم شنيعة ،

منها انه قطع العشر حَباً ، وجعله ثمانية دنانير أصاب او لم يصب ، وغير ذلك من الظلم والمغارم ، فاشتد على الناس ذلك .

وفي سنة ١٩٨ قتل الأمين بن الرشيد: قتله ابن طاهر عامل أخيه المأمون ، وذلك لخمس بقين من المحرم . واستخلف اخوه المأمون فأقرّ عبد الله بن الأغلب على افريقية . ولما قدم حفص بن حميد الصالح على افريقية ، ومعه قوم صالحون من الجزيرة ، قصدوا اليه فوعظوه في أمر الدين ومصالح المسلمين ، فتهاون بهم ، فخرجوا مغمورين يريدون القيروان ، وكان هو في القصر القديم . فلما وصلوا وادي القصّارين قال لهم حفص ابن حميد : قد يئسنا من المخلوق ، فلا نيأس من الخالق ! فاسألوا المولى واضرعوا اليه في زوال ظلمه عن المسلمين ! فان فتح في الدعاء ، فقد اذن في الاجابة ! فتوضأ جميعهم ، وساروا الى كدية روح ، فصلى بهم حفص ركعتين ، ودعوا الله أن يكف عن المسلمين جور أبي العباس ، ويريحهم من أيامه . فيقال ان قرحة خرجت له تحت أذنه فقتلته في السادس من دعاء القوم . وقال من حضر غسله انه لما كُشف عنه ثيابه ظنّ أنه عبد أسود بعد جماله ، وذلك بسوء فعاله . وكانت وفاته ليلة الجمعة لست خلون من ذي الحجة من سنة ٢٠١ ، فكانت دولته خمسة أعوام وأشهراً .

وفي سنة ٢٠١ كان تقديم أهل بغداذ منصور بن المهدي أميراً عليهم ، خديماً للمأمون ، الى ان يقدم . وكانت وقائع قبل ذلك وبعده . وفيها مات ابن الأغلب كما ذكرناه ، وولي أخوه زيادة الله ساعة موته .

ذكر ولاية زيادة الله بن الاغلب افريقية

وبعض اخباره

كنيته : أبو محمد . وهو أول من اسمه زيادة الله ممن ولي من بني الأغلب .

بويع يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة ، فأساء السيرة في الجند ، وسفك فيهم الدماء ، واشتدّ عليهم في كل وجه . فثار عليه زياد بن الصقلبية بفحص أبي صالح ؛ فأخرج اليه سالم ابن سوادة ، فهزمه سالم . ثمّ ثارت العامّة عليه أيضاً ، وذلك أن زيادة الله كان أغلظ على الجند ، وأمعن في سفك دمائهم والاستخفاف بهم ، وحمله على ذلك سوء ظنه بهم ، لوثوبهم على الأمراء قبله وخلافهم على أبيه . وكان أكثر سفكه وسوء فعله اذا سكر ، وكثر الخوض عليه . وخالفت عليه الجند وغيرهم ، فكانت بينه وبينهم حروب ووقائع ، حتى خاف على نفسه ، فحصن القصر القديم ، وبقي فيه على ما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى .

وفي سنة ٢٠٢ توجّه الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب الى المشرق ، خوفاً من أخيه زيادة الله ، وذلك أن الأغلب كان شقيق أبي العباس عبد الله بن إبراهيم ، وكان أبو العباس ، طول

ولايته ، يتنقص زيادة الله ويأمر ندماءه باطلاق ألسنتهم فيه .
فلما صار الأمر الى زيادة الله جاءه الأغلب ، فاستأذنه في الخروج الى الحج ، فأذن له زيادة الله ، فخرج الأغلب ، وخرج معه ابنا أخيه : محمد المكنى بأبي فهر ، وابراهيم المكنى بأبي الأغلب ، وهما إذ ذاك صغيران ، فحج وأقام بالمشرق . وكان وزير زيادة الله والقائم بأمره الأغلب بن عبد الله المعروف بغلبون.

وفي سنة ٢٠٣ كانت ولاية أبي عبد الله أسد بن الفرات ابن سنان ، مولى بني سُليم ، لقضاء القيروان ، وهو ممن سمع من مالك بن أنس . فلما ولي أسد القضاء ضاق أبو محرز القاضي إذ تشرّك معه . ولم يعلم قبلهما قاضيان في وقت واحد.

وفي سنة ٢٠٤ لم يكن فيها ولا في العام الذي يليها خبر يجتلب .

وفي سنة ٢٠٦ غزا المسلمون جزيرة سردانية ، وعليهم محمد بن عبد الله التميميّ ، فأصابوا وأُصيب منهم ، ثم قفلوا .

وفي سنة ٢٠٧ ثار زياد بن سهل على زيادة الله بن الأغلب ، وزحف الى حرب باجة ، فحاصرها أياماً . فأخرج اليه زيادة الله العساكر ، فهزموا زياداً ، وقتلوا من وجدوا معه على الخلاف، وغنموا الأموال . وفيها كانت وفاة اليسع بن أبي القاسم صاحب سجلماسة ، وتقديم أهلها على أنفسهم أخاه الياس المنتصر بن أبي القاسم الذي كانوا خلعوه .

وفي سنة ٢٠٨ ثار عمرو بن معاوية القيسي على زيادة الله ابن ابراهيم بالقصرين وتغلب على تلك الناحية ، وكان عاملاً لزيادة الله . وكان له ولدان ، يقال لأحدهما حُباب وللآخر سمعان . فقال له ابنه حباب : انك دخلت في أمر عظيم وعرضت نفسك للهلاك ، ولست من رجال هذا الأمر ، ولا ينفعك عدد ولا عدّة ! فراجع أمرك واتّق الله في نفسك ! فضربه مائتي سوط وتمادى على الخلاف . فأخرج اليه زيادة الله جيشاً كثيفاً حاصره أياماً ، ثم نزل هو وولداه على أمان ، وجيء بهم الى زيادة الله فألفي على شراب مع قوم من وجوه أهل بيته ، فأمر بحبسهم حتى يرى فيهم رأيه . ودخل إثر ذلك مضحك له ، يقال له أبو عمّار ، فقال له زيادة الله : ما يقول الناس ، يا أبا عمّار ؟ فقال : يقولون : إنما منعك أن تقتل عمرو بن معاوية مخافة أن تثب القيسية على عمّك بمصر ! فوقع كلامه بقلب زيادة الله . ثم شرب ساعة والتفت الى غلبون وزيره ، فقال : انقل عمرو ابن معاوية وولديه من حبسك الى حبسي ! ففعل . فلما كان في نصف الليل أقبل زيادة الله الى السجن ، وبيده السيف ، فقتل عمرو بن معاوية ، ثم رجع الى قصره ، فدعا بحباب وسمعان ابني عمرو ، فأمر بحباب أن يقتل ، فقال : أيها الأمير ، إني مظلوم ! وقد بلغتك نصيحتي لأبي فيك حتى ضربني بالسياط .

فقال : أجل ! قد كان ذلك ! ولكني أعلم أنك لا تخلص لي ! وأمر بضرب عنقه . واستبقى الأصغر وهو سمعان . فلما أصبح دعا بترس ، فوضع فيه الرأسين ، ودعا بسمعان ، فقال : أتعرف هذين الرأسين ؟ فقال : أعرفهما ، ولا خير في الحياة بعدهما ! فأمر زيادة الله بضرب عنقه ، وجعل رؤوسهم في ترس ، وشرب عليها ذلك اليوم مع أَهل منادمته .

وفي سنة ٢٠٩ ثار منصور الطنبذي بتونس ، فاخرج زيادة الله محمد بن حمزة في ثلاثمائة فارس مسلحين ، وأوصاه بكتمان حركته حتى يبغت منصوراً بتونس ، فيقبض عليه ويأتي به مصفداً . فسار ابن حمزة الى تونس ، فألفى منصوراً غائباً في قصره بطنبذة . فنزل دار الصناعة ، ووجه اليه شجرة بن عيسى القاضي في أربعين شيخاً من مشايخ تونس يناشده الله ويرغبه في الطاعة ، ويعرّفه بما له في ذلك من الحظ في دينه ودنياه . فتوجه شجرة بن عيسى مع المشايخ الى منصور فدعوه الى الطاعة ، فقال منصور : ما خلعت يداً ، ولا أحدثت حدثاً ! وأنا صائر معكم الى زيادة الله ، ولكن أقيموا عليّ يومي هذا ، حتى أُعدّ لكم ما يُصلحكم . فأقاموا معه ، ووجّه الى ابن حمزة والذين معه ببقر وغنم وعلف وأحمال قهوة ، وكتب اليه : إني قادم عليك بالغداة مع القاضي شجرة . فركن ابن

حمزة الى قوله ، وذبح البقر والغنم ، وأكل هو والناس الذين معه ، وشربوا . فلما أمسى منصور أخذ القاضي والذين معه فحبسهم في قصره ، وأخذ دوابهم فجعل عليها أصحابه ، وجمع خيله وأشياعه ، وزحف الى تونس ، وأمر أصحابه ألا يُسمع لهم حس ولا حركة حتى يصيروا الى دار الصناعة . وسار حتى اذا كان بالقرب من دار الصناعة أمر بالطبول فضُربت ، وأمر أصحابه فكبروا ، فوثب ابن حمزة ومن كان معه ، والتحم القتال عامة الليل ، وكثر الناس عليهم ، فقُتل من كان مع ابن حمزة ، ولم يسلم منهم إلا من سبح في البحر ، وذلك يوم الاثنين لخمس بقين من صفر .

وأصبح منصور ، فاجتمع اليه الجُند ، وقالوا له : نحن لا نثق بك ، ولا نأمن أن يستنزلك السلطان بدنياه وماله ، فتميل له ، ولكن إن أحببت أن نقوم بنصرك فاخضب يدك في دماء أصحاب السلطان وأهل بيته ! فوجه حينئذ عن عامل زيادة الله على تونس ، وهو اسماعيل بن سالم بن سفيان ، وعن ولده محمد ، فأمر بقتلهما معاً . فلما اتصل الخبر بزيادة الله ، وما كان من قتل رجاله وعامله ، عقد لغلبون وزيره على عسكر جليل ، وقال : والله ! لئن انهزم واحد منكم لأجعلنّ عقوبته ما فرّ منه ، وهو السيف ! فسار غلبون في العاشر لربيع الأول حتى

وصل الى سبخة تونس ، فخرج اليهم منصور الطنبذي في تعبئة عبّأها لنفسه ، فاقتتلوا مليّاً . ثم حمل منصور حملة كانت فيها هزيمة غلبون وأصحابه لعشر بقين من ربيع الأول ، وسار منهزماً الى زيادة الله ، فاعتذر غلبون عن الهزيمة ، وحلف انهم نصحوا واجتهدوا ، ولكنّ قضاء الله لا يُردّ .

وتواثب القواد على اعمال افريقية ، كل قائد على بلدة يضبطها ، ويمتنع فيها من عقوبة زيادة الله التي توعّدهم بها . واضطرمت افريقية ناراً ، ورمى الجند كلهم الى منصور الطنبذي ازمّة أمورهم وولوه على انفسهم . وقدم غلبون على زيادة الله ، فأعلمه بما كان من أمره ونكل الجند . فكتب اليهم زيادة الله صكوك امان ، وبعث بها اليهم ، فلم يثقوا بها منه ، وخلعوا الطاعة .

ولما ظفر منصور واجتمع اليه بتونس جميع الجند والحشود والوفود من كل جهة ومكان ، زحف بهم من تونس فوصل الى القيروان لخمس خلون من جمادى الأولى . فركب اليه القاضيان أبو محرز وأسد ، فكان بينهما وبينه كلام لم يُفِد . وخندق منصور الطنبذيّ على نفسه ، فكانت بينه وبين زيادة الله وقائع كثيرة . ثم رحل منصور من خندقه ، ونزل منزلاً آخر ، وأخذ منصور في اصلاح سور القيروان ، فوالاه اهل

القيروان وحاربوا معه . فدامت الحرب بين منصور وبين عسكر زيادة الله على القيروان اربعين يوماً . ثم زحف زيادة الله على تعبئة هيّأها لنفسه قلباً وميمنة . فلما رأى ذلك منصور هاله وراعه . والتقت الفئتان ، فاقتتلوا اقتتالاً شديداً ، فانهزم منصور وولى هارباً ، وقتل اصحابه قتلاً ذريعاً في منتصف جمادى الآخرة . وانتهى زيادة الله الى القيروان ، فأمر برفع القتال . وتمادى منصور في هزيمته الى ان دخل قصره بتونس والناس لا يشعرون. وعفا زيادة الله عن اهل القيروان ، وصفح عن جميعهم ، غير انه جعل عقوبتهم هدم سور القيروان حتى الصقه بالأرض .

وفي سنة ٢١٠ كانت وقيعة سبيبة ، وهي مدينة ، وذلك أن الجند الذين تقدم ذكر ثورتهم وتمنعهم لأجل الهزيمة التي طرأت عليهم ، كان قائدهم عامر بن نافع . وأقرّ زيادة الله على الجيش محمد بن عبد الله بن الأغلب ، فالتقوا هنالك لعشر بقين من المحرم ، فانهزم ابن الأغلب وقُتل ، وتمادت الهزيمة الى القيروان من ضحى النهار الى بعد صلاة العشاء ، فاغتمّ لذلك زيادة الله ، وأخذ في ضمّ الرجال وبذل الأموال . وكان عيال الجند بالقيروان ، فلم يعرض لهم زيادة الله . ثم ان الجند سألوا منصوراً ان يحتال في نقل عيالاتهم من القيروان ، فزحف بهم

منصور اليها ، ونزل على القصر نحو ستة عشر يوماً ، فلم يكن بينه وبين زيادة الله فيها قتال ، وأخرج الجند حرمهم عن القيروان . ثم انصرف منصور الى تونس ، ولم يبق بيد زيادة الله من افريقية كلها إلا قابس والساحل ونفزاوة وإطرابلس ، فانهم تمسكوا بطاعته ، ولم ينقصوه شيئاً من جبايته . وملك منصور جميع عمل زيادة الله ، وضرب السكة باسم نفسه .

وكتب الجند الى زيادة الله : ان ارحل عن افريقية ولك الأمان في نفسك ومالك ! فشاور زيادة الله أهل بيته وخدمته ، وقد ضاق به الأمر ، فقال له سفيان بن سوادة : مكني ممن أثق بهم أتقدم الى نفزاوة . فانتقى له مائة فارس ، فأعطاهم ، وسار بهم الى نفزاوة ، فدعا بربرها الى نصرته ، فأجابوه . فأقبل عامر بن نافع نحو نفزاوة ، فلما وصل الى قسطيلية جمع ألف أسود ، ومعهم الفؤوس والمساحي ، وخرج بهم الى نفزاوة فنزل بتقيوس . وبلغ ابن سوادة قدومه فخرج اليه واقتتل معه ، فانهزم الجند وقُتل منهم عدد كثير . ورجع عامر الى قسطيلية ، فأقام بها ثلاثة أيام يجبي أموالها ليلاً ونهاراً ، حتى كمل له من ذلك ما أراد ، وسار نحو القيروان .

وفي سنة ٢١١ قام عامر بن نافع على منصور الطُّنبُذي ،

وكان حاسداً له لأن منصوراً كان يتوعده على الشراب ، فعمل عليه عامر مع الجند ، فلم يشعر منصور ، وهو بقصره بطنبذة ، حتى زحف اليه عامر من تونس فحاصره . فراسله منصور وطلب منه الأمان على ان يتوجه في سفينة الى المشرق . فأجابه الى ذلك وخرج منصور في أول الليل مستخفياً يريد الأربس . فلمّا أصبح عامر قفا أثره وأثر من كان معه حتى أدركهم فاقتتل معهم ، فانهزم منصور ودخل الأربس فتحصّن بها ، فحاصره عامر فيها . فلما ضاق الحصار بأهلها قالوا لمنصور : إما أن تخرج عنّا ، وإلا دفعناك الى عامر ! فرغب منهم أن يمهلوه حتى يعمل في الخلاص لنفسه . فأرسل الى عبد السلام بن الفرج ، وكان من وجوه الجند ، يسأله الاجتماع به ، فأتاه ، فقال له منصور من أعلى السور : هذا كان جزائي منكم ، يا معشر الجند ! وقد علمتم أنّ قيامي على القوم انما كان من أجلكم . فإذ قد صار الأمر الى ما صار اليه ، فأحب أن تسعى في أماني وخلاصي ، وأخرج عنكم الى المشرق ! فأجابه عبد السلام الى ما سأل واستعطف له عامر بن نافع ، فأسعفه في ذلك . ثم وجّه عامر منصوراً مع خيل ، وأمر مقدّمهم سرّاً أن يعرجوا به الى مدينة جربة ويحبسه بها . ففعل ذلك ؛ وحُبس منصور هنالك . فلما علم عبد السلام بهذه الغدرة من عامر حقد عليه ، وكان

بباجة مع أصحابه ، وكان هاشم أخو عامر والياً عليها ، فأخذوه وحبسوه ، وكتبوا الى اخيه عامر : إمّا ان تخلّي عن منصور وإلا قتلنا أخاك ! فكتب اليهم عامر : إني لست أُخلّي عن منصور ، فاصنعوا بهاشم ما شئتم ، فستعلمون عاقبة أمركم ! فلما جاءهم كتابه أطلقوا هاشماً . وأمر عامر بضرب عنق منصور وأخيه حمدون . واستقامت الأمور لعامر بن نافع .

وفي سنة ٢١٢ أغزى زيادة الله صقلية . واجتمع له سبعون مركباً ، حمل فيها سبعمائة فرس . وعرض القاضي أسد بن الفرات نفسه على زيادة الله في الخروج للغزو ، فولاه على الجيش وأقرّه على القضاء مع القيادة ؛ فخرج معه أشراف افريقية ، من العرب ، والجند ، والبربر ، والأندلسيّين ، وأهل العلم والبصائر ، وذلك في حفل عظيم وعدة جليلة في ربيع الأول . فساروا الى حصون الروم ومدنهم ، فأصابوا سبياً كثيراً ، وسائمة كثيرة ، وكراعاً . وكثرت الغنائم عند المسلمين . واحتلّ القاضي أسد بمن معه على مدينة سرقوسة ، وحاصرها برّاً وبحراً ، وأحرق مراكبها ، وقتل جماعة من أهلها . وجاءته الأمداد من افريقية والأندلس وغيرهما .

وفي سنة ٢١٣ توفي عامر بن نافع على فراشه . فلما بلغ موته زيادة الله قال : اليوم وضعت الحرب أوزارها ! فاستأمن بنوه الى زيادة الله ، فأمنهم .

وفيها توفي إدريس بن إدريس الحسني، فقام بأمر فاس والبربر ابنه محمد ، فولى أخاه البصرة وطنجة وما يليهما ، وولى سائر اخوته جهات البربر .

مدينة البصرة

كانت مدينة كبيرة أزلية ، تُعرف ببصرة الكتان ، لأنهم كانوا يتبايعون ، في بدء أمرها ، في أكثر تجاراتهم بالكتان ، وتُعرف أيضاً بالحمراء ، لأنها حمراء التراب . وكان سورها مبنياً بالحجارة والطوب . ولها عشرة أبواب . ولجامعها سبع بلاطات . وبها حمّامان كبيران . ومقبرتها الكبرى في شرقيها والاخرى في غربيها ، وهي التي تُعرف بمقبرة قُضاعة . وماؤها زعاق ، وشربهم من بئر عذبة كبيرة على باب المدينة ، تُعرف ببئر أبي ذلفاء . ونساء البصرة مخصوصات بالجمال الفائق ، والحسن الرائق ، ليس بأرض المغرب أجمل منهنّ ، وفيهنّ يقول أحمد بن فتح التاهرتي ، في قصيدة مدح بها أباعيسى :

ما حاز كلَّ الحُسن إلا قَيْنة
بصرية في حُمرة وبياضِ

الخمر في لحظاتها والورد في
وجناتها ، هيفاء غير مُفاضِ

وأُسست البصرة في الوقت الذي أُسست فيه أزيلا أو قريباً منه . ومنها الى قصر كتامة ، وهو قصر عبد الكريم ، مرحلة ؛ ومنها الى مدينة جنيارة مرحلة . وقيل إنها كانت قرية على وادي سبوا ، بينها وبين فاس مرحلة . ومن مدينة البصرة طريق آخر الى فاس ، فمنها الى ورغة مرحلة ، ثم الى وادي ماسِنة مرحلة ، وهي مدينة عيسى بن حسين الحسنيّ المعروف بالحجّام ، ثم الى مدينة سداك ، وهي قاعدة خلّوف بن محمد المغيلي ، ثم الى فاس . فذلك سبع مراحل .

وفي هذه السنة توفي أسد بن الفرات في رجب منها ، وهو محاصر لسرقوسة . فلما توفي هربتْ رهن الروم التي كانت عنده ، ووقع الموت في عسكر المسلمين ، فاغتمّوا لذلك ، وولوا على أنفسهم ابن أبي الجراوي .

وفي سنة ٢١٤ توفي القاضي أبو محرز الكلابيّ . وفيها وصل من الأندلس الى صقلية نحو ثلاثمائة مركب ، فيها أصبغ بن وكيل المعروف بفرغلوش . وبلغ المسلمين المحصورين بها خبر وصولهم ، فاستغاثوا بهم ، فوعدوهم بذلك .

وفي سنة ٢١٥ كان غزو فرغلوش الواصل في المراكب الى صقلية هو والقواد الذين معه ، فأخذوا القلاع ، وسبوا وغنموا في بلاد الروم . ثم سُئلوا اغاثة من كان من المسلمين بها ،

فأجابوهم الى ذلك على أن يكون أمر الناس الى فرغلوش . فساروا الى ذلك ، وأخذوا في طريقهم القلاع ، وأغاروا حتى انتهوا الى ميناء ، فتزحزح مخنق من كان بها من المسلمين ، وحرقوا المدينة وهدموها ، وانتقلوا عنها . وسار المسلمون الى غلوالية فحصروها وتغلّبوا عليها ، واعتلّ جماعة من المسلمين بها ، واخذهم الوباء ، ومات فرغلوش وغيره من القواد . فرحل المسلمون وركب العدو إثرهم ، فقتل منهم خلق كثير في خبر طويل . ثمّ اخذوا في إصلاح مراكبهم ، قافلين الى الأندلس .

وفيها ولي سعيد بن إدريس مدينة نكور .

وفي سنة ٢١٦ كانت وقيعة بين مطيع السهمي واسماعيل ابن الصمصامة بإفريقية ، فاقتتلا بمن معهما ، فهزم مطيع وقتل ، وانهزم أصحابه . وولي أبو فهر صقلية .

وفي سنة ٢١٧ توجه ابو فِهر محمد بن عبد الله التميمي من افريقية الى صقلية ، ونفر عثمان بن قرهب عنها .

وفي سنة ٢١٨ قام بمدينة تونس فضل بن أبي العنبر بعد هزيمته لخيل زيادة الله ، فضبطها لنفسه . وسار اليه أبو فهر محمد ابن عبد الله بن الأغلب في جيش كثيف ، حتى افتتحها وقتل فيها عباس بن الوليد الفقيه الصالح .

وفي سنة ٢١٩ أمّن زيادة الله كل من طلب الامان ممن

تفلت من تونس وخرج عنها وقت دخول أبي فهر لها . فأمنهم وسكنت احوالهم . وكان فيهم عبد الرحمن وعلي ابنا أبي سلمة وأبو العزّاف ، وكانوا شعراء فصحاء ؛ فأنشده عبد الرحمن مديحاً له فيه ؛ فلما انقضى إنشاده قام يعقوب بن يحيى الشاعر يحرّض زيادة الله على ابني أبي سلمة وأبي العزّاف بهذه الابيات :

تسمّع أيها الملِك المُعان
قوافي في معانيها البيان

يتمُّ أمان مَن خضب العوالي،
وليس لشاعر أبداً أمان

لأن قوافيَ الأشعار تبقى ،
على الأيام ، ما بقي الزمان

وقد يُرجى لجرح السيف بُرْءٌ ،
ولا بُرْءٌ لما جرح اللسان

فلم يلتفت زيادة الله الى قوله ، وأمضى لهم أمانهم . وقال لأبي العزّاف : ما منعك ان تستأمن الينا قبل هذا الوقت ؟ قال : ايها الأمير ! كنت مع قوم حمقى ،يوَلون كل يوم والياً ويعزلون آخر ، فرجوت ان تكون لي معهم دولة ! فضحك زيادة الله وعفا عنه .

وفي سنة ٢٢٠ ولي احمد بن ابي محرز قضاء افريقية . وفيها اغزى محمد بن عبد الله بن الأغلب صاحب صقلية ، فالتقى بالمشركين ، فانهزموا امامه ، وانصرف بالغنائم الى بلرم .

وكانت فيها غزوات كثيرة للمسلمين في صقلية والاندلس براً وبحراً .

وفيها وصل ابن الأغلب الى بلرم ، قاعدة صقلية ، والياً عليها ، في رمضان ، بعد أن رأى شدة في البحر ، وعطبت له مراكب ، وحطمت له أخرى ، وأصاب له النصارى حرّاقة من مراكبه . وجاهدهم محمد بن السندي في حرّاقات ، فاتبعهم حتى حال الليل بينهم .

وفي سنة ٢٢١ توفي قاضي صقلية ، وكان قد أوصى أخاه عمران أن يكتم موته حتى يكفّنه ويصلّي عليه ، خوفاً من أن يكفّنه زيادة الله ويصلّي عليه . ففعل عمران ذلك . فلما حمل نعشه وخرج به من داره أقبل خلف الفتى بمسك كثير وأكفان من قِبَل زيادة الله ، فقال له عمران : قد كفّنّاه . فذرَّ خلف المسك الذي كان معه عليه . وحمل الى المصلّى ، فحضر زيادة الله دفنه ، وعزّى أخاه عنه ، وقال : يا أهل القيروان ! لو أراد الله بكم خيراً لما خرج ابن أبي محرز من بين أظهركم ! وكان زيادة الله يقول : ما أبالي ما

قدمت عليه يوم القيامة وفي صحيفتي أربع حسنات : بنياني المسجد الجامع بالقيروان ، وبنياني قنطرة أبي الربيع ، وبنياني حصن مدينة سوسة ، وتوليتي أحمد بن أبي محرز قاضي افريقية ! وولي القضاء بعده ابن أبي الجواد .

وفي هذه السنة ابتدأت الفتنة بسجلماسة بين ميمون وأخيه ابنَي المنصور بن اليسع .

وفي سنة ٢٢٢ كانت غزوة صقلية للمسلمين الى ناحية جبل النار ، فأصابوا وغنموا وقفلوا سالمين غانمين .

وفيها فتح المسلمون حصن مدنار ومعاقل كثيرة في غزوة للفضل بن يعقوب ، أغزاه أياها أبو الأغلب ، وغزوة أخرى لعبد السلام بن عبد الوهاب ، أغزاه ايضاً اياها أبو الأغلب ، فخرج اليه العدو ، فانهزم المسلمون واصيب منهم جماعة . وأُسر عبد السلام حتى فدي بعد ذلك .

وفي سنة ٢٢٣ توفي زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب صاحب افريقية ، يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من رجب ، وهو ابن إحدى وخمسين سنة ، فكانت ولايته إحدى وعشرين سنة وسبعة اشهر وثمانية ايام .

ولاية أبي عقال الاغلب

ابن ابراهيم بن الأغلب افريقية

وهو الملقب بخزر . فلما ولي امّن الناس واحسن اليهم والى الجند ، وغيّر احداثاً كثيرة كانت قبله ، واجرى على العمال ارزاقاً واسعة وصلات جزلة ، وقبض ايديهم عن الرعية ، وقطع النبيذ من القيروان ، وعاقب على بيعه وشربه . وتوفي في العشر الآخر لربيع الآخر سنة ٢٢٦ ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فكانت ولايته سنتين وتسعة اشهر واياماً .

وفي سنة ٢٢٤ كانت وقعة بافريقية بين عيسى بن ريعان الأزديّ ، وقد اخرجه السلطان لذلك ، وبين لواتة وزواغة ومِكناسة ، فقتلهم عن آخرهم بين قفصة وقسطيلية . ذكر ذلك ابن القطان .

وفيها قدّم اهل سجلماسة ميمون بن مدرار ، واخرجوا اخاه . فلما استقر الأمر لميمون اخرج اباه مدراراً وأُمه الى بعض قرى سجلماسة .

وفي سنة ٢٢٥ كانت وفاة ابي جعفر موسى بن معاوية الصُّمادِحيّ ، مولى أبي جعفر ؛ وكان ممن روى عنه سحنون .

وفي سنة ٢٢٦ توفي ابو عقال الأغلب بن ابراهيم في ليلة الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر ، وولايةُ ابنه ابي العباس يوم مات ابوه .

ولاية أبي العباس محمد بن الاغلب افريقية

كانت ولايته في اولها ساكنة ، والامور معتدلة . وقلد احمد ابن الأغلب كثيراً من اموره . وكان محمد هذا قليل العلم ؛ ذكر ان رجاء الكاتب كان يوماً بين يديه ، فكتب محمد : لحم ضبي ، بضاد مسقوطة . فلما خلا المجلس قال له كاتبه : أيّد الله الأمير ! الظبي يُكتب بظاء مرفوعة . فقال له محمد : قد علمنا فيه اختلافاً : فأبو حنيفة يجعله بالظاء ، ومالك يجعله بالضاد . فعجب الحاضرون من قوله . وكان عقيماً لا يولد له . وكان مظفّراً في حروبه .

وفي سنة ٢٢٧ توفي أبو محمد عبد الله بن أبي حسان اليحصبي الفقيه بافريقية، ولقي مالكاً ، وسمع منه . وسأله زيادة الله في النبيذ ، فقال له : كم دية العقل ؟ قال : ألف دينار ! قال : أصلح الله الأمير ! يعمد الرجل الى ما قيمته ألف دينار ، فيبيعه بنصف درهم ! فقيل له : إنه يعود ويرجع ! فقال : أصلح الله الأمير ! بعد كشفه سوءته ، وإبدائه لأهله عورته ، وضرب هذا وشتم هذا !

وفي سنة ٢٢٨ كانت افريقية هادئة ساكنة . قال عريب وغيره : لم يكن في افريقية في هذه السنة خبر يذكر ، ولا في السنتين بعدها .

وفي سنة ٢٣٠ توفي بهلول بن عمرو بن صالح الفقيه ، سمع من مالك وطبقته .

وفي سنة ٢٣١ كانت ثورة احمد بن الاغلب على أخيه محمد واستيلاؤه عليه ؛ وذلك ان احمد تواعد مع جملة من الموالي الى موضع ؛ فتوافوا هنالك وقت الظهيرة ، فقصدوا الى مدينة القصر القديم ، وقد خلا الباب من الرجال . فدخلوا واغلقوا الباب ، ثم ساروا حتى اغلقوا الابواب الأخر . ثم هجموا على ابي عبد الله بن علي بن حُميد الوزير ؛ فأمر احمد فضربت عنقه . ووقع القتال بين رجال محمد بن الاغلب وبين رجال احمد بن الاغلب ، وجعل اصحاب احمد يقولون لاصحاب محمد : ما لكم تقاتلوننا ؟ نحن في طاعة محمد بن الاغلب . انما قمنا على اولاد علي بن حُميد ! الذين أفقروكم واستولوا على أموال مولاكم دونكم ! واما نحن ففي الطاعة ! فلما سمعوا ذلك توقفوا عن القتال . ولما نظر محمد الى ما دهمه على غير استعداد قعد في مجلسه الذي يقعد فيه للعامة ، وأذن لاخيه احمد والرجال الذين معه في الدخول عليه ، فدخلوا بسلاحهم . فكانت بينهما معاتبة ، ثم حلفا ألا يغدر أحدهما بصاحبه ، واصطلحا . واعتدلت الامور لاحمد بن الاغلب إلا اسم الامارة فقط . وقبض احمد على من شاء ، واستصفى من أراد ،

وعذب من أحب ، وأعطى الرجال ، وجبى الاموال ، واستوزر نصر بن حمزة .

وفي سنة ٢٣٢ ظفر محمد بن الأغلب بأخيه أحمد ، وحبسه ورجع له سلطانه . وقام معه في ذلك جماعة من بني عمه ومواليه . وسقى البوّابين ، واحتال عليهم حتى دخل المدينة ، وحارب أخاه طول الليل ، وأطلق من كان في حبس أخيه ، فاستمدّ بهم ؛ ووصل أهل القيروان حتى أنفد جميع ما في خزائنه من الأموال والاكسية . ثم نفى محمد بن الأغلب أخاه الى المشرق فمات بالعراق .

وفيها عزل عبد الله بن أبي الجواد عن القضاء ، فقال سحنون لمحمد بن الأغلب : أيها الأمير ، أحسن الله جزاءك ! فقد عزلت فرعون هذه الامة وجبارها وظالمها ! وابن أبي الجواد حاضر ، ولحيته تضطرب على صدره ، وكان تامّ اللحية .

وفي سنة ٢٣٣ ولي سحنون بن سعيد بن حبيب التنوخي الفقيه (واسمه عبد السلام ، وانما سمي بسحنون لحدة ذهنه) القضاء بافريقية ، بعد ان راجع محمد بن الاغلب في ذلك عاماً كاملاً ، وهو يأبى عليه ، حتى حلف له بالايمان المؤكدة ، واعطاه العهود المغلظة انه يطلق يديه على أهل بيته وقرابته وخدمته وحاشيته ، وينفذ عليهم الحق ، أحبوا او كرهوا .

وفيها كانت ثورة سالم بن غلبون وقتله ؛ وذلك انه كان والياً على الزّاب ، فعزله محمد بن الاغلب ، فأقبل سالم يريد القيروان ، ثم عدل في بعض طريقه الى الاربس مظهراً للخلاف، فمنعه أهلها من دخولها . فسار الى باجة ودخلها وضبطها . فأخرج اليه ابن الاغلب خفاجة بن سفيان في جيش كثيف ، فنزل عليه ، وحاربه اياماً ، فهرب سالم بن غلبون في الليل ، فاتبعه خفاجة ، فلحقه لما أصبح وقتله ، وحمل رأسه الى محمد ابن الأغلب . وكان ابنه أزهر محبوساً عنده ، فأمر بضرب عنقه .

وفي سنة ٢٣٤ ثار عمرو بن سليم التجيبي بتونس ، فأخرج اليه ابن الأغلب خفاجة بن سفيان ، فأقام عليه بقية هذه السنة ، ثمّ انصرف عنه من غير ظفر .

وفيها مات عبد الله بن أبي الجواد في سجن سحنون . وكان ورثة ابن القلفاط يطلبونه بخمسمائة دينار وديعة ، واستظهروا بخطه ، فأنكر الوديعة والخطّ . فكان سحنون يخرجه كل جمعة ، فإذا استمرّ على الانكار ضربه عشرة أسواط . وأرادت زوجته فداءه بمالها ، فامتنع سحنون إلا أن يعترف ابن ابي الجواد بأنّ هذا مال الأيتام أو عوضاً عنه . فأبى ابن أبي الجواد . فما زالت تلك حاله الى أن مرض ، فمات ، فشنّع الناس على سحنون أنه قتله . وكان يقول بخلق القرآن .

وفي سنة ٢٣٥ كانت وقيعة بمقربة من تونس ، بين المنتزي في العام الفارط عمرو بن سُليم المعروف بالقوبع وبين محمد ابن موسى المعروف بعريان ، الذي استقوده ابن الأغلب بجيش لمحاربته ؛ ففزع كثير من موالي ابن الأغلب الى القوبَع . فوقعت على محمد بن موسى هزيمة ، وأُسِر أحد قوّاده بعد ان انكسرت رجله ، ثم طعنه ولد القوبع طعنة كان فيها حتفه ؛ وقُتل كثير من أصحابه . وانصرف باقي الجيش الى ابن الأغلب مفلولين . واشتدت شوكة القوبَع .

وفي سنة ٢٣٦ كانت وقعة بين عمرو بن سليم القوبع المنتزي بتونس ، وبين خفاجة بن سفيان ، قائد جيش محمد بن الأغلب ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ؛ فانهزم القوبع ، وقُتل أصحابه مقتلة عظيمة . وأُدرك القوبع ، فضُربت عنقه ، وحُمل رأسه الى محمد ابن الأغلب ، فوصل قاتله وكساه ، وأحسن اليه . ودخل خفاجة مدينة تونس بالسيف ، يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول ، وسبى فيها ، وانصرف بالجيش الى القيروان ، فكساه ابن الاغلب .

ولاية العباس بن الفضل رحمه الله

جزيرة صقلية

لما توفي صاحب صقلية ابو الاغلب ابراهيم بن عبد الله بن الاغلب ،قدّم أهلها على انفسهم العباس بن الفضل هذا ، وكتبوا الى محمد بن الاغلب بالخبر ، فأقر العباس وكتب اليه بعهده بولاية صقلية ، فجاهد كثيراً وغزا طويلاً ، وكان له في الروم مواقف أذلهم بها .

وفي سنة ٢٣٧ ولي حبيب بن نصر التميمي المظالم بالقيروان بتقديم القاضي سحنون اياه عليها .

وفيها اغزى العباس بصقلية ارض الروم، فغنم غنائم عظيمة وسبى سبياً كثيراً واداخ بلادهم .

وفي سنة ٢٣٨ اغزى العباس بن الفضل صاحب صقلية الروم ، فقتل الله المشركين ، وبعث العباس برؤوسهم الى مدينة بلرم، واقام ينتسف زرعهم ويطأ أرضهم ويسبي من ظفر به منهم ، ثم قفل الى صقلية .

وفي سنة ٢٣٩ كان الجهاد بصقلية في غزوة العباس بن الفضل في الصائفة ، فأفسد زرع النصارى وبث السرايا في كل موضع وغنم قصر يانه وقطانية وسرقوسة وغيرها، وحاصر مدينة

بثيرة ستة اشهر حتى صالحوه على ستة آلاف رأس ، قبضها منهم وقفل الى حضرة بلرم وفتح مدينة «سهرينة» .

وفي سنة ٢٤٠ توفي الفقيه سحنون رحمه الله . وفيها كان الجهاد بصقلية ، غزا العباس بن الفضل صاحبها بلاد الروم ، فسبى ونكى وخرب وانتسف وبث السرايا ، فغنموا غنائم عظيمة .

وفي سنة ٢٤١ غزا العباس بن الفضل ايضاً الروم بصقلية ، فأفسد زرعهم وبث السرايا في اراضيهم ، فغُنمت غنائم كثيرة ، واقام في جبل مانع ثلاثة اشهر يضرب كل يوم حول يانه فيقتل ويصيب ، وتتوجه سراياه فتغنم في كل جهة . وأغزى أخاه علي بن الفضل في البحر ، فاصاب وغنم وانصرف برؤوس كثيرة .

وفي سنة ٢٤٢ توفي ابو العباس محمد بن الأغلب صاحب افريقية لليلتين خلتا من المحرم ، فكانت ولايته ١٥ سنة و ٨ اشهر و١٢ يوماً ، ومات وهو ابن ٣٦ سنة ، وولي بعده ابن اخيه .

ولاية ابي ابراهيم احمد بن محمد

ابن الاغلب افريقية

وليها وهو ابن عشرين سنة، وكان حسن السيرة، كريم الاخلاق والافعال، من اجود الناس واسمحهم وارفقهم بالرعية، مع دين واجتناب للظلم على حداثة سنه وقلة عمره، وكان يركب في ليالي شعبان ورمضان، وبين يديه الشمع ، فيخرج من القصر القديم ويمشي حتى يدخل من باب ابي الربيع ، ومعه دواب بالدراهم ، فكان يعطي الضعفاء والمساكين حتى ينتهي الى المسجد الجامع بالقيروان، فيخرج الناس اليه يدعون له .

وفيها ولي القضاء بافريقية ابو الربيع سليمان بن عمران بن ابي هاشم الملقب بحروية .

وفيها كان الجهاد بصقلية ، غزا صاحبها العباس بن الفضل الروم بالصائفة، فغنم وسبى ، وانتقل الى حصن، ففتح اكثرها وصالحه بعض اهلها .

وفي سنة ٢٤٣ كان الجهاد بصقلية في غزوة العباس بن الفضل بالصائفة، فسبى وغنم، وصالحه اهل قصر الحديد، بعد ان حاصرهم شهرين، بخمسة عشر الف دينار ، وصالحه اهل حصن شلفودة على ان يخرجوا منه ويهدمه ، ففعل ذلك .

وفي سنة ٢٤٤ غزا العباس صاحب صقلية ارض الروم ، فغنم غنائم كثيرة، وخرج اخوه في مراكب في البحر الى جزيرة اقريطش، فقتل وسبى وغنم، ثم دارت على المسلمين جولة فقُتل منهم ، وأُخذت لهم عشرون مركباً .

وفي سنة ٢٤٥ اخرج ابو ابراهيم بن الاغلب صاحب افريقية مالاً كثيراً لحفر المآجل وبنيان المساجد والقناطر لكلمة كانت منه على سكر .

وفي سنة ٢٤٦ كان حفر المأجل الكبير على باب تونس . وفيها توفي ابو خلف الزاهد، واسمه مطروح بن قيس ، وكان عابداً زاهداً .

وفي سنة ٢٤٧ كان بالقيروان سيل عظيم كسر القنطرة ، فأمر صاحب افريقية باصلاحها . وفيها توفي عبد الرحمن بن عبد ربه ، وكان مستجاب الدعوة . وفيها توفي العباس بن الفضل صاحب صقلية في جمادى الاولى لثلاث خلون منها، وولي عمه احمد صقلية، ولاه أهلها و كتبوا بذلك الى صاحب افريقية ابي ابراهيم احمد بن محمد بن الاغلب، فجاء كتابه باثباته .

وفي سنة ٢٤٨ كمل بناء مأجل باب تونس الكبير ، وتمت الزيادة في جامع القيروان ، و كمل اصلاح قنطرة باب ابي الربيع. وفيها كانت غزوة رباح ، فاصاب وغنم ، ثم دارت عليه وقيعة

اخذت فيها طبوله واعلامه ، ثم اسر قوم من اصحابه ، ثم تراجع وافتتح مدينة جبل ابي مالك وسبى جميع ما كان فيها واحرقها، وبث سرايا كثيرة فاصابت وغنمت .

وفي سنة ٢٤٩ توفي ابو ابراهيم احمد بن محمد بن الاغلب صاحب افريقية يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، فكانت ولايته سبع سنين وعشرة اشهر ونصفاً، ومات وهو ابن ثمان وعشرين سنة .

ولاية زيادة الله بن محمد بن الاغلب

ابن ابراهيم بن الاغلب افريقية

ولي يوم وفاة ابي ابراهيم في ذي القعدة، فكتب الى خفاجة بامضاء ولايته وخلع عليه، وكان هذا ابو محمد زيادة الله عاملاً حليماً حسن السيرة جميل الافعال ذا رأي ونجدة وجود وشجاعة، وهو الثاني ممن اسمه زيادة الله في بني الاغلب ، ولم تطل مدته في الملك فتكون له اخبار تؤثر ، وتوفي ليلة السبت لعشر بقين من ذي القعدة من سنة ٢٥٠، فكانت دولته سنة واحدة وسبعة ايام .

وفي سنة ٢٥٠ ولى ابو الغرانيق

محمد بن احمد بن محمد بن الاغلب

وهو ابن اخي زيادة الله المتوفى قبل، ولي يوم السبت لعشر بقين من ذي القعدة، ولقب بابي الغرانيق لانه كان يهوى صيدها، حتى بنى قصراً يخرج اليه لصيدها انفق فيه ثلاثين الف مثقال من الذهب، وكان مسرفاً في العطاء مع حسن سيرة في الرعية، ثم غلبت عليه اللذات والاشتغال بها، فلم يزل كذلك طول مدته، ولم تكن له همة في جمع مال. فلما مات لم يجد اخوه في بيت المال شيئاً يذكر، وكانت ولايته حروباً أكثرها على ما يأتي ذكره.

وفي سنة ٢٥١ كانت غزوة السرية المعروفة بسرية الف فارس، وذلك ان خفاجة صاحب صقلية غزا قصر يانه، فأفسد زروعها، وسار الى سرقوسة فقاتل اهلها، ثم رحل عنهم وأخرج ابنه محمداً اليهم في سرية، فكمن لهم وقتل منهم الف فارس، فسميت تلك السرية: سرية الف فارس.

وفي سنة ٢٥٢ بنى محمد بن حمدون الاندلسي المعافري الجامع الشريف بالقيروان المنسوب اليه، بناه بالآجر والجص والرخام، وبنى فيه جبابا للماء.

وغزا خفاجة صاحب صقلية ارض الروم وافتتح حصوناً كثيرة، ثم مرض مرضاً شديداً فانصرف في محمل الى بلرم.

وفي سنة ٢٥٣ قال ابن القطـان : عريت هذه السنة من اخبار افريقية فلم يكن فيها خبر مشهور يجتلب .

وفي سنة ٢٥٤ غزا خفاجة صاحب صقليـة الى بطريق ، وصل من القسطنطينة ، في جمع كبير في البر والبحر ، فانهزم البطريق بعد قتال شديد، وقتل من اصحابه آلاف كثيرة واخذ لهم سلاح وخيل، ودخل خفاجة الى سرقوسة وغيرها، فغنم غنائم كثيرة ورجع الى بلرم قاعدته اول يوم من رجب .

وفي سنة ٢٥٥ خرج خفاجة صاحب صقلية للغزو ، فلقيـه العدو في جمع كبير ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل شجاع من شجعان المسلمين فانكسروا لقتله، فسار خفاجـة الى سرقوسة، فامتنعت منه فاقام عليها وافسد زرعها .

وفيها توفي خفاجة، وذلك انه لما اكمل غزاته المذكورة قفل من سرقوسة يريد بلرم ، فادلج ليلاً ، فاغتاله رجل من عسكره وطعنه طعنة مات منها، وذلك اول يوم من رجب، وهرب الذي طعنه الى سرقوسة، وحمل خفاجة الى بلرم فدفن بها ، فولى أهل صقلية ولده محمداً ، وكتبوا بذلك الى الامـير محمد بن احمد ابن الاغلب ابي الغرانيق، فكتب اليه بالولاية وخلع عليه .

وفي سنة ٢٥٦ توفي محمــد بن سحنون التنوخي ، وكان فقيهاً ورعاً .

وفي سنة ٢٥٧ ولي القضاء بافريقية عبد الله بن احمد بن طالب صارفاً لسليمان بن عمران .

وفيها توفي صاحب صقلية محمد بن خفاجة ، قتله خدمه نهاراً لثلاث خلون من رجب وكتموا امره ، فلم يعرف قتله الا بعد يوم لهروب الخدم ، فأخذوا وقُتل بعضهم ، فولي صقلية احمد بن يعقوب بتقديم ابن الاغلب اياه ، وولي على الارض الكبيرة عبد الله بن يعقوب ، فكانت لهما في هذا العام غزوة اوقعا فيها بالمشركين . ولم يكن بافريقية في سنة ٢٥٧ خبر يؤرخ .

وفي سنة ٢٥٨ توفي احمد بن يعقوب صاحب صقلية وولي ابنه الحسين مكانه ، واقره صاحب افريقية عليها .

وفي سنة ٢٥٩ ولي سليمان بن عمران قضاء افريقية ، وعزل عبد الله بن احمد بن طالب التميمي عنها .

وفيها غزا صاحب صقلية سرقوسة ، فصالحه اهلها على ان اخرجوا اليه من اسرى المسلمين الذين كانوا عندهم ثلاث مائة وستين اسيراً .

وفي سنة ٢٦٠ كانت المجاعة العامة بالمشرق والمغرب والوباء والطاعون .

وفيها توفي محمد بن ابراهيم بن عبدوس الفقيه العالم ، الذي دوّن المجموعة ، وكان مجاب الدعوة .

وفي سنة ٢٦١ توفي ابو الغرانيق محمد بن احمـــد بن الاغلب ليلة الاربعاء لست خلون من جمادى الاولى من هذه السنة ، فكانت ولايته عشر سنين وخمسة اشهر ونصفاً في دولة المستعين بالله والمعتز والمهتدي والمعتمد في بعض ايامه .

ولاية ابراهيم بن احمد بن محمد بن الاغلب

وصفة ولايته ان ابا الغرانيق كان عهد لابنه ابي عقال واستحلف اخاه ابراهيم بن احمد ألا ينازعه في ملكه بخمسين يميناً ، فلما مات ابو الغرانيق اتى أهل القيروان الى ابراهيم بن احمد، وهو اذ ذاك والٍ على القيروان ، فقالوا له : قم فادخل القصر فانت الامير . وكان ابراهيم قد احسن السيرة فيهم ، فقال لهم : قد علمتم ان أخي قد عقد البيعة لابنه واستحلفني خمسين يمينا ألا انازع ولده ولا ادخل قصره . فقالوا له : تكون اميراً في دارك بالقصر القديم ولا تنازع ولده ، فنحن كارهون لولايته ومبايعون لك، وليس في اعناقنا له بيعة. فركب من القيروان ومعه اكثر اهلها، فحاربوا اهل القصر حتى دخل ابراهيم داره ، فبايعه مشايخ اهل افريقية ووجوهها وبايعه جماعة بني الاغلب.

وفي سنة ٢٦٢ توفي ابو زيد شجرة بن عيسى القاضي بتونس، وكان من خيار القضاة له مناقب كثيرة ، وهو ابن تسع وتسعين سنة .

وفيها اسست قلعة مدينة تنس ، اسسها البحريون من اهل الاندلس .

وفي سنة ٢٦٣ ابتدأ ابراهيم بن احمد بن الاغلب ببناء مدينة رقادة .

وفي سنة ٢٦٤ كمل بناء القصر المعروف بالفتح، وانتقل اليه ابراهيم بن احمد، وكان قتله للموالي بالقصر القديم لانهم ثاروا عليه.

وفيها فتحت سرقوسة يوم الاربعاء لاربع عشرة خلت لرمضان، وقتل فيها اكثر من اربعة آلاف علج، واصيب فيها من الغنائم ما لم يصب بمدينة من مدائن الشرك، ولم ينج من رجالهم احد. وكان مقام المسلمين بصقلية عليها، الى ان فتحت، تسعة اشهر، واقاموا بعد فتحها شهرين ثم تهدمت.

وفيها قتل صاحب صقلية جعفر بن محمد، قتله غلمانه مع الاغلب بن محمد بن الاغلب، الملقب بخرج الرعونة، وابي عقال الاغلب بن احمد، وكانا محبوسين عنده، فتولى خرج الرعونة بلرم وضبطها، فوثب اهلها عليه وعلى ابي عقال ومن اتصل بهما فاخرجوهم من صقلية الى افريقية، وولي الحسين بن رباح صقلية.

وفي سنة ٢٦٥ غزا صاحب صقلية الحسين بن رباح بالصائفة الى طبرمين ودارت بينه وبين مشركي صقلية حرب «قتل» فيها من المسلمين، ثم كانت لهم الكرة على المشركين، فهزموهم وقتلوهم وقتلوا بطريقهم.

وفي سنة ٢٦٦ كان القحط العظيم والغلاء المفرط بافريقية.

وفيها اغزى صاحب صقلية الروم، فالتقى في البحر بمراكبهم، وهم في نحو مائة وأربعين مركباً، فدارت بينهم حرب شديدة

حتى أسلم المسلمون مراكبهم وأخذها الروم، وانصرف من كان في تلك المراكب الى بلرم ، فاقاموا بها شهوراً يبثون السرايا ويغنمون أرض الروم المجاورين لهم .

وفي سنة ٢٦٧ ولي عبد الله بن احمد بن طالب التميمي القضاء صارفاً لسليمان بن عمران عنه .

وفيها ولي الحسن بن العباس جزيرة صقلية .

وفيها كانت فتنة ولد ابن طولون حين أراد التغلب على افريقية. وها أنا اذكر قصته إلى ان هزم: وذلك ان العباس بن احمد بن طولون، ولد صاحب مصر، قدم في هذه السنة في ثماني مائة فارس وعشرة آلاف راجل، من سودان ابيه، على خمسة آلاف جمل الى مدينة برقة في ربيع الآخر يريد افريقية والتغلب عليها واخراج بني الأغلب عنها، وحمل مع نفسه من بيت مال مصر ثمانمائة حمل دنانير ذهباً، فاعطى اصحابه الارزاق بها،وقيل ان مبلغ ما حمل من المال الف الف دينار ومائتا الف دينار ، ومعه ابو عبد الله احمد بن محمد الكاتب مكبلاً ،لانه اظهر الامتناع من الخروج معه، وكان اشار عليه بان يؤخر التقدم الى اطرابلس حتى يصانع البربر ، فقال : اخشى ان تقدم العساكر من الشام قبل احكام هذا الامر،يعني عساكر ابيه لانه كان ثائراً على ابيه، ويكون ايضاً في ذلك فسحة لابراهيم بن احمد،

فيتمهل في الاستعداد؛ ولكني امضي على فوري هذا فآتي لبدة
واطرابلس فجأة ، ثم آخذ في استمالة البربر بعد ذلك بالعطاء
والافضال ، وابعد من مصر فـــلا يقوم لاحمد بن طولون ،
يعني اباه، أمل في مطالبتي ابعدي عنه. وخرج يريد لبدة، فاتصل
خبره بابراهيم بن احمد، فاخرج اليه احمد بن قرهب في الف وستمائة
فارس، خيلاً مجردة لا رجل فيها، باغذاذ السير والسرى بالليـل
حتى دخل اطرابلس قبل وصول العباس بن احمد بن طولون
الى لبدة، ثم حشد ابن قرهب من امكنه من جند اطرابلس
وبربرها،ثم بادر الى لبدة ودخلها،واقبل العباس بن طولون وقد
صنع له ببرقة خمسة آلاف بند، فحمل له على كل جمل راجلاً
ببنده، وزحف بثماني مائة فارس وخمسة آلاف راجل،فالتقى به
احمد بن قرهب على خمسة عشر ميلاً من لبدة ، وقـد تأخرت
الجمال بالرجالة اصحاب البنود،فلم يكن بينهم الا مناوشة يسيرة
حتى انهزم احمد بن قرهب، وهو يظن ان من ناوشه القتـال
من اصحاب ابن طولون كانوا مقدمة للجيش ، ووصل احمد بن
قرهب الى اطرابلس منهزماً ، وركب العبـاس بن طولون اثره
حتى نزل اطرابلس ونصب عليها المجانيق ، وناصبهم الحرب واقام
محاصراً لهم ثلاثة وأربعين يوماً ، فتعدى بعض سودانه على بعض
حرم البوادي وهتكوا الحجب، فاستغاث اهل اطرابلس بابي

منصور صاحب نفوسة، فقام محتسباً وناصراً جيرانه من المسلمين، وزحف في اثني عشر الفاً من رجال نفوسة الى العباس بن احمد بن طولون، فناشبوه الحرب، فقال العباس لابي عبد الله الكاتب: ما الرأي؟ فقال له ابو عبد الله: ببرقة خلفته. وألح اهل نفوسة في محاربة ابن طولون فانهزم وخرج الى برقة، بعد انتهاب اهل اطرابلس لجميع عسكره، ولم يتلبس النفوسيون منه بشيء بل تورعوا عنه، وكان ابراهيم بن احمد قد حشد الأجناد، وضرب حلى نسائه دنانير ودراهم، اذ لم يبق ابو الغرانيق مالاً. ثم خرج بنفسه يريد اطرابلس، فلقيه خبر هزيمة ابن طولون، فبحث ابن الأغلب عن الاموال، وأخذها ممن وجدت عنده، فكان الرجل من أهل العسكر يبيع مثاقيل ابن طولون سِراً بما أمكنه، خوفاً من أن تؤخذ منه.

وفي سنة ٢٦٨ كان فتك ابراهيم بن الاغلب بأهل الزاب، فقتلهم وقتل أطفالهم، وحُمِلوا على العجل الى الحُفَر، فألقوا فيها.

وفيها عُزل صاحب صقلية الحسين بن العباس، ووليها محمد ابن الفضل.

وفي سنة ٢٦٩ توفي سليمان بن حفص الفرّاء، وكان جهمياً. وكان يقول بخلق القرآن، ودعا الناس اليه، فهمّوا بقتله.

وفي سنـة ٢٧٠ توفي سليمان بن عمران القـاضي مفلوجاً . وتوفي حسين بن زيد بن عليّ . وتوفي أبو حاتم هشام بن حاتم الفقيه ، وكان مجاب الدعوة .

وفي سنـة ٢٧١ توفي الحسين بن أحمد صاحب صقليـة ، ووليها سوادة بن محمد بن خفاجة التميمي .

وفي سنة ٢٧٢ أغزى سوادة صاحب صقلية سراياه الى بلاد الروم ، فغنمت وانصرفت .

وفيها كانت وقائع بـين المسلمين وبين بطريق جاء من القسطنطينة ، يقال له نجفور ، في عسكر كبير ، فدخل مدينة سبرية ، وخرج منها المسلمون بأمان الى صقلية .

وفي سنة ٢٧٣ وثب أهل بلرم على سوادة بن محمد صاحب صقلية وعلى أخيه وبعض رجاله ، فوجهوهم مقيّدين الى افريقية . واجتمع أهل البلد على أبي العباس بن علي ، فولوه على أنفسهم .

وفي سنة ٢٧٤ كان وصول أحمد بن عمر بن عبـد الله بن ابراهيم بن الأغلب المعروف بحبشي . وفيها توفي أحمد بن حدير بإفريقية ، وله سماع من سحنون .

وفي سنة ٢٧٥ كانت لأهـل صقلية على المشركـين صولة ، فقتل فيها من المشركـين أكثر من سبعة آلاف ، وغرق نحو من خمسة آلاف ، حتى اخلى الروم كثيراً من المدن والحصون

التي تجاور المسلمين . ووصلت سرايا المسلمين الى الأرض الكبيرة فسّبت وانصرفت .

وكانت بإفريقية هيجة تعرف بثورة الدراهم .

ثورة الدراهم

وذلك أنّ ابراهيم بن أحمد ضرب الدراهم الصحاح ، وقطع ما كان يتعامل به من القطع . فأنكرت ذلك العامة ، وأغلقوا الحوانيت ، وتألّفوا وصاروا الى رقادة ، وصاحوا على ابراهيم ، فحبسهم في الجامع . واتصل ذلك بأهل القيروان ، فخرجوا الى الباب ، وأظهروا المدافعة . فوجه اليهم ابراهيم بن أحمد وزيره أبا عبد الله بن أبي اسحاق ، فرموه بالحجارة وسبوه ، فانصرف الى السلطان ابراهيم بن أحمد ، فاعلمه بذلك . فركب ابراهيم الى القيروان ، ومعه حاجبه نصر بن الصمصامة في جماعة من الجند ، فناصبه أهل القيروان القتال . فتقدم ابراهيم بن أحمد الى المصلى ، فنزل وجلس ، وكفّ أصحابه عن قتالهم . فلما اطمأن له مجلسه ، وهدأ الناس ، خرج اليه الفقيه الزاهد أبو جعفر أحمد بن مغيث ، فكان بينهما جدال كثير . ودخل أبو عبد الله بن أبي اسحاق الوزير مدينة القيروان مع أحمد بن مغيث ، فشق سماطها وسكن أهلها . فرجع

ابراهيم بن أحمد الى رقادة وأطلق المحبوسين بالجامع .
وانقطعت النقود والقطع من افريقية الى اليوم ، وضرب ابراهيم ابن أحمد دنانير ودراهم سماها العاشرية ، في كل دينار منها عشرة دراهم .

وفيها عزل عبدالله بن أحمد بن طالب بن سفيان عن قضاء افريقية وحبسه ، ثم أرسل اليه بطعام مسموم ، أكله في الحبس فمات من فوره في رجب . واستقضى ابراهيم بن أحمد محمد بن عبدون بن أبي ثور ، وكان جده طحاناً ، وكان يكتب اسمه : محمد بن عبد الله الرُّعيني .

وفي سنة ٢٧٦ كان الجهاد بصقلية في غزوة سوادة بن محمد الى طبرمين ، فحاصرها .

وفيها حبس ابراهيم بن أحمد كاتبه محمد بن حيون المعروف بابن البريديّ ، فكتب اليه من السجن :

هبني أسأتُ فأين الفضل والكرم
إذ قادني نحوك الاذعان والندم ؟

ياخير من مُدت الايدي اليه ، أما
ترثي لمن قد نعاه عندك القلم ؟

بالغتَ في السخط فاصفح صفح مقتدر ،
ان الملوك اذا ما استرحموا رحموا

قال : فلما قرأ ابراهيم بن أحمد أبياته قال : يكتب الي : هبني أسأتُ ! وهو قد أساء . أما إنه لو قال :

ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهبنا للكرام الكاتبينا

لعفوت عنه . ثم أمر ، قبّحه الله ، به ، فجُعل في تابوت حتى مات ، رحمه الله تعالى .

وفي سنة ٢٧٧ قتل ابراهيم بن أحمد حاجبه نصر بن الصمصامة بأن ضربه خمسمائة سوط ، فلم ينطق بكلمة ، ولا تحرّك من موضعه ، ثم أمر بضرب عنقه ، فقال لمن حوله : لا تظنوا اني أجزع من الموت . ووعدهم أنه يفتح يده ويغلقها ثلاث مرّات بعد ضرب عنقه . ففعل . فأخبر إبراهيم بذلك ، فتعجّب ، وأمر بأن يشقّ بطنه شقّاً لطيفاً ، ويؤتى اليه بقلبه ، فنظر منه الى منظر عجيب ، وذلك أنه كان نابتاً في كبده ، ووجدت فيه شعرات نابتة في أكثر أجزائه .

وفي سنة ٢٧٨ كانت ولاية أبي العباس أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن الأغلب للمظالم ، وولاية محمد بن الفضل صقلية ، وعرض ديوان الخراج على سوادة النصراني على أن يسلِم ، فقال : ما كنت لأدَع ديني على رئاسة أنالها . فقُطع بنصفين وصلب .

وفي سنة ٢٧٩ كانت ولاية محمد بن الفضل صقلية ، ودخل حضرة بلرم لليلتين خلتا من صفر .

وفيها قتل ابراهيم بن أحمد من أهل افريقية مَن قتل «عدواناً» وشهوة. فممن قُتل في هذه السنة: إسحاق بن عمران المتطبّب المعروف بسم ساعة، قتله وصلبه، ومنهم حاجبه فتح، ضربه بالسياط حتى مات. وقتلَ فيها جميع فتيانه، وسبب ذلك أنه كان كثير الاصغاء الى قول المنجّمين والكهنة، وكانوا قالوا له إنه يقتله رجل ناقص الخلق، وإنه يمكن أن يكون فتىً، فكان إبراهيم إذا رأى أحداً من فتيانه، فيه حركة ونشاط وحدة، يتقلد سيفاً، قال: هذا صاحبي. فيقتله. فلما قتل منهم جماعة وقع بقلبه أنه قد استفسد اليهم، فضمّه الحذر منهم الى قتل جميعهم، فقتلهم في هذا العام، واستخدم عوضاً عنهم السودان. ثم عرض لهم منه ما عرض للفتيان الصقالبة، فقتل السودان أجمعين.

وفي سنة ٢٨٠ كان الايقاع برجال بلزمة، وقصتهم أن ابراهيم بن أحمد بن الاغلب كان قد حاربهم واستقدم منهم الى مدينة رقادة نحواً من سبعمائة رجل من أبطالهم، فأنزلهم، ووسع عليهم، وبنى لهم داراً كبيرة تشتمل على دور ترجع الى باب واحد، وأسكنهم فيها. فلما سكنوا واطمأنوا جمع ثقات رجاله لاخذ أرزاقهم، ثم أمرهم بمصابحة ابنه عبد الله لما أمره به. فلما اجتمعوا اليه ركب الى دار البلزميين في الجند، فقتلهم عن آخرهم، بعد ان دافعوا عن أنفسهم الى وقت العصر.

وكان ذلك من أسباب انقطاع دولة بني الاغلب ، اذ كان أهل بلزمة نحو ألف رجل من أبناء العرب والجند الداخلين الى افريقية عند افتتاحها وبعده ، وكان أكثرهم من قيس ، وكانوا يُذِلون كتامة . فلما قتلهم ابراهيم استطالت كتامة ، ووجدت السبيل للقيام مع الشيعيّ على بني الاغلب .

وفيها كان تمنع البلاد ومخالفتها على السلطان ابراهيم بن أحمد ، وانتزاء من انتزى عليه . وذلك ان أهل تونس والجزيرة والاربُس وباجة وقمودة خالفوا وقدّموا على أنفسهم رجالاً من الجند وغيرهم ، لان السلطان ابراهيم بن الاغلب أخذ عبيدهم وخيلهم ، وجار عليهم ، فصارت افريقية عليه ناراً موقدة ، ولم يبق بيده من أعمالها الا الساحل والشرق الى اطرابلس . فحفر حفيراً حوالي رقادة ، ونصب عليه أبواب حديد ، وجمع الى نفسه ثقاته ، وقرب السودان من قصره ، وقد كان جمع منهم خمسة آلاف أسود .

وفيها كانت وقائع انجلت عن فتح تونس عنوة ، وذلك ان اهل قمودة تحركوا لقتال ابراهيم بن الاغلب ، فأخرج اليهم ميموناً الحبشي ، فقاتلهم حتى انهزموا ، وقتل جماعة منهم ، ثم فعل ذلك أهل تونس ، فهزمهم ميمون أيضاً ، وهزم أهل الجزيرة وصطفورة ، وقتل منهم كثيراً ، حتى سِيق القتلى في

العجل الى القيروان . ثم دُخلت تونس بالسيف لعشر بقين من ذي الحجة ، فانتهبت الأموال ، وسبيت الذريّة ، واستحلّت الفروج .

ومما كان بافريقية في هذا العام ، دخول أَبي عبد الله داعية الشيعة ، فلنذكر هنا مبتدأ أمره مختصراً ، الى أن استقل بالملك .

ابتداء الدولة العبيدية الشيعية

قال الورّاق : لم تزل الشيعة مذ مات عليّ بن أبي طالب (رضه) تدعو الى إمام معصوم ، يقوم بالحقّ ، على زعمهم ، فترسل دعاة الى سائر النواحي ، فلا ينجح لهم سعي . ثم تفاوضوا وتراسلوا على ان يُرسلوا داعياً الى المغرب ، يدعو الناس الى التديُّن بحبّ أهل البيت ، وتكاتبوا بذلك من سائر الآفاق . فاختاروا منهم رجلاً ذا فهم ، وفصاحة ، وجدال ، ومعرفة ، يسمى أبا عبد الله الصنعاني ، وجمعوا له مالاً يتقوى به على سفره . فسار أبو عبد الله هذا الى موسم الحج ليجتمع به مع من يحج تلك السنة من أهل المغرب ، ويذوق أخلاقهم ، ويطّلِع على مذاهبهم ، ويتحيَّل على نيل المُلك بضعيف الحِيَل . فسبحان مقدِّر المقدور ومحكم الأمور كيف يشاء ، لا إله إلا هو . فلما وصل للموسم ، لا للحج ، لأن الحج ليس من مذهبهم الفاسد ، بل تكلَّف حضوره ليتسبَّب في مراده ، رأى في الموسم قوماً من أهل المغرب ، فلصق بهم وخالطهم . وكانوا نحو عشرة رجال من قبيل كتامة ، ملتفّين على شيخ منهم . فسألهم عن بلادهم فأخبروه بصفتها ، وسألهم عن مذهبهم فصدقوه عنه . فتكلم أبو عبد الله الداعي في المذاهب ، فوجد

الشيخ يميل في مذهبه الى مذهب الاباضيّة النكّارة ، فدخل عليه من هذه الثُلمة ، ولم يزل يستدرجهم ويخلبهم بما أُوتيَ من فضل اللسان والعلم بالجدل ، الى ان سلبهم عقولهم بسحر بيانه . فلما حان رجوعهم الى بلادهم سألوه عن أمره وشأنه ، فقال لهم : أنا رجل من أهل العراق ، وكنت أخدم السلطان ، ثم رأيت أن خدمته ليست من أفعال البرّ ، فتركتها وصرت أطلب المعيشة من المالَ الحلال ، فلم أرَ لذلك وجهاً إلا تعليم القرآن للصبيان ، فسألت اين يتأتى ذلك تأتياً حسناً ، فذُكر لي بلاد مصر . فقالوا له : ونحن سائرون الى مصر ، وهي طريقنا ، فكن في صحبتنا اليها . ورغبوا منه في ذلك ، فصحبهم في الطريق فكان يحدثهم ، ويميل بهم الى مذهبه ، ويلقي اليهم الشيء بعد الشيء ، الى ان أُشربت قلوبهم محبته ، فرغبوا منه أن يسير الى بلادهم ليعلم صبيانهم . فاعتذر لهم ببعد الشقة ، وقال : ان وجدت بمصر حاجتي أقمتُ بها ، وإلا فربما أصحبكم الى القيروان . فلما وصلوا مصر غاب عنهم فيها كأنه يطلب بغيته . ثم اجتمعوا به وسألوه ، فقال لهم : لم أجد في هذه البلاد ما أُريد . فرغبوه أن يصحبهم ، فأنعم لهم بذلك . فكانوا في صحبته الى أن وصلوا القيروان ، فراودوه على أن يصل معهم الى بلادهم ، وضمنوا له ما أراد من تعليم الصبيان . فقال لهم : لا بد لي من المقام

بالقيروان ، حتى أطلب فيها حاجتي . فان اتفق لي فيها غرضي ، وإلا نهضتُ اليكم . وكان شيخهم احرصهم عليه واكرمهم له ، فوصف له منزله وموضعه من قبيلة كتامة ، فأقام بالقيروان يتعرّف أخبار القبائل حتى صحّ عنده أن ليس في قبائل افريقية أكثر عدداً ، ولا أشدّ شوكة ، ولا أصعب مراماً على السلطان ، من كتامة .

فلما تقرر ذلك عنده نهض نحو صاحبه الشيخ الكتاميّ ، فاشترى بغلة شهباء ، ودخل الطريق مع الرفقة ، حتى قرب من موضع الشيخ صاحبه فعدل عن الطريق . ومرّ في الطريق بأندَر ، والبقر فيه تدرس الزرع ، ورجل كهل من كتامة جالس فيه مع ابنه ، فقرب منهما ، وسلم عليهما ، فقاما اليه ، ورحبا به ، ورغباه في النزول عندهما ، فأجابهما الى ذلك ، فأنزلوه وأكرموه . فقال الداعي للرجل : ما اسم ولدك هذا ؟ قال : تمّام . قال : وما اسمك انت ؟ قال : معارك . فقال في نفسه : تمّ أمرنا إن شاء الله ، لكن بعد معارك . ثم أراد الداعي الانصراف ، فصرفوه مع امرأة تدلّه على الطريق ، لأنّ الحرب كانت بينهم وبين بني عمّهم . فسار حتى نزل في منزل من منازل كتامة . فأتى المسجد وفيه معلم يعلّم الصبيان . فقام اليه المعلم ، وسلّم عليه ، وهو راكب على بغلة شهباء ؛

فجعل المعلم يطيل النظر اليـه ، فاستراب لذلك أبو عبد الله ، ونزل عن الدابـة ، ودخل المسجد . ثم دعا المعلم فقال له : لقد رأيتك تنظر اليّ كثيراً والى البغلة . فقال له : ذلك لسبب أنا أقوله لك : وذلك أنه كان في متقدم الزمان رجل من كتامة كاهن ، يقال له فيلق ، وكان إذا رأى تفاتنهم يقول لهم : إنما ترون الحرب اذا جاءكم الرجل الشرقي صاحب البغلة الشهباء . فلما رأيتك تذكرت قوله . فلما وقر ذلك في سمعه استبشر . وكان ذلك والذي قبله من الفـأل تقوية له على أمره ، وزيادة إقدام ، لولا هو ، لم يقدر أن يتجاسر على شيء منه . فسبحان مسبب الأسباب !

فسار أبو عبـد الله الداعي حتى وافى منزل الشيخ صاحبـه الكتامي ، فقصد الى المسجـد ، ونزل به ، وفيـه معلم يعلّم الصبيان ، وعنده أبناء الشيخ صاحبه . فلما حان وقت الظهر أذّن المعلم ، فسمع الشيخ الأذان ، فخرج الى المسجد ، فرأى أبا عبد الله ، فسلّم عليه وعانقه . فلما أراد المعـلم الدخول للمحراب أخّره عنـه الشيخ ، وقدّم أبا عبـد الله الداعي . فلما انقضت الصلاة قام معه الى منزله ، وبالغ في إكرامـه ، وتحدّث معه الى أن حانت صلاة العصر ، فخرج معه للصلاة . فاستراب معلم الصبيان بذلك ، فترك ذلك المسجد والتعليم فيه

وانصرف. وصار أبو عبد الله في ذلك المسجد يصلي ويعلم الصبيان. واجتهد في تعليم الأولاد، فجمعوا له أربعين ديناراً، وزاد عليها الشيخ وأتى بها الى أبي عبد الله فدفعها له واعتذر له من ذلك. فتركها أبو عبد الله أمامه، وردّ يده الى كيس كان عنده وصبّ منه خمسمائة دينار أمام الشيخ، وقال له: لست بمعلم الصبيان. إنما الأمر ما أُخبرك به، فاسمع! إنما نحن أنصار أهل البيت، وقد جاءت الرواية فيكم يا اهل كتامة إنكم انصارنا، والمقيمون لدولتنا، وان الله يُظهر بكم دينه، ويُعز بكم أهل البيت. وإنه سيكون إمام منهم انتم أنصاره، والباذلون مهجتهم دونه، وان الله يستفتح بكم الدنيا كلها، ويكون لكم أجركم مضاعفاً: فيجتمع لكم خير الدنيا والآخرة. فقال له الشيخ: أنا أرغب فيما رغبتني فيه، وأبذل فيه مهجتي ومالي، أنا ومن اتبعني، وأنا أطوع لك من يدك، فمُر بما شئت، أمتثله. فقال له: ادعُ الخاصة من بني عمك، الأقرب فالأقرب. فقال: نعم! فنظر الشيخ فيما قاله، وبث دعوته في أقاربه ومن يختص به.

وجاء شهر رمضان، فقال أبو عبد الله للشيخ: إن رمضان قد جاء، ومذهبنا أنه لا نصلي التراويح، لانها ليست من سُنّة النبي (صلعم) وإنما سنها عمر (رضه)، ونحن نطوّل القراءة في

صلاة العشاء الاخيرة ، ونقرأ بالسوَر الطوال ، فيكون ذلك عوضاً عن التراويح . فقال له الشيخ : انا طائع لك . فافعل ما تريده . وبلغ خبر هذه الصلاة ولُمَعٌ من أخبار هذا الداعي الى بعض من اتصل بمنزل الشيخ وبأخيه . فسار أخو الشيخ اليه وقال له : ما لك ولهذا المشرقيّ الذي أفسد دينك ، وغيّر مذهبك ؟ فلما فرغ من كلامه قال له الشيخ : أنا أدعوك للأمر الذي دخلتُ فيه ، فإما ان تتقلد ما تقلدته ، واما ان لا تلقاني بذَمٍّ مَنْ قد بلوت خيره وفضله ودينه . فانصرف عنه أخوه مغضباً . وانفرد الشيخ مع سائر الجماعة ، فوصف لهم أبا عبد الله بكل فضيلة ، حتى تمكنت محبته في قلوبهم ، وتقرر تعظيمه في نفوسهم ، وقال له : كلّمهم أبا عبد الله . فكلّمهم بلسانه ، وقال لهم : انتم أنصار أهل البيت وشيعته ؛ حتى خلب عقولهم بحلاوة لفظه ، فلم يبرحوا حتى دخلوا في دعوته .

ثم إن أخا الشيخ توجه اليه ، يفخر عليه بمعلم اولاده ، ويدعي أنه أعلم من ابي عبد الله ، ويطلب تناظرهما . فتواعدوا لذلك . ولما حان الوعد جاء اخو الشيخ بمعلمه وابنائه ، وبلغ اخاه مجيئه ، فأتى بجماعة من بني عمه ممن دخل في مذهبه ، وقال لهم : اذا نحن اجتمعنا اضربوا انتم على قيطون اخي كأنكم من اعدائه ، وأمر جماعة اخرى فكمنت له في طريقه .

فبينما اخو الشيخ مع معلمه واولاده ، اذ صرخت صارخة من نحو قيطونه ، فاسرع يركض الى ناحيته ، فخرج عليه الكمين فخبطوه باسيافهم ، وتركوه عقيراً . وبلغ الشيخ خبر قتل اخيه ، فبادر كأنه لا علم عنده من ذلك ، وجاءه بنو عمه يعزونه في اخيه ، فذبحت البقر وصنع طعام لبني عمه ، ونعى لهم اخاه ، واحتال على قوم من بني عمه ، واخذ عليهم العهود والمواثيق بطاعة الداعي ، فاجتمع له منهم خلق كثير .

وأقام هذا الشيخ في حرب مع قومه وبني عمه مدة سبعة اعوام ، الى ان وافاه اجله . فلما حضرته الوفاة جمع بني عمه وقرابته وقال لهم : أُوصيكم بهذا الرجل ألا تختلفوا عليه ؛ وأوصى ابا عبد الله على اولاده ، وقضى نحبه . فالتزمت كتامة الطاعة لابي عبد الله ، ودخلت قبائل كثيرة في دعوته ، فصير لهم ديواناً والزمهم العسكرية ، وقال لهم : انا لا ادعوكم لنفسي ، وانما ادعوكم لطاعة الامام المعصوم من أهل البيت ، الذي صفته كذا وكذا . ووصف لهم من كراماته ما تنكره العقول ، فكانت تصح عندهم ، ويقول لهم : هو صاحب هذا الامر ، وانا متصرف بين يديه اذا ظهر ، يعني عبيد الله . ولم يكن رآه قط ، انما كان يسمع اخباره من شيوخ الشيعة . وكان يعتقد ذلك اعتقاداً صحيحاً ، لا مرية فيه ، الى ان صفا له امر

البربر ، فنازل الحواضر ، وهزم ملك افريقية ، وانتزعها من يده .

وفي سنة ٢٨١ امر ابراهيم بن الأغلب صاحب افريقية ميموناً الحشميّ ان يسير الى تونس فيقتل بها جماعة من بني تميم وغيرهم ، فقتلوا وصلبوا على بابها . فوفد اكابر أهل تونس مع ميمون الحشميّ ، فكسا السلطان ميموناً بالخزّ والوشي والديباج ، وطوّقه بالذهب ، وحمله على فرس وصرفه الى تونس من غده .

وفيها خرج السلطان ابراهيم بن الأغلب الى تونس ، لثمان خلون من رجب ، فاستوطنها .

وفي سنة ٢٨٢ انعقد الصلح بين أهل صقلية والروم لاربعين شهراً على اخراج الف اسير من المسلمين ، وعلى ان تكون عندهم رهائن الاسلام في كل شهر ثلاثة من العرب وثلاثة من البربر . وفيها قدم ابراهيم بن الاغلب بنيه على بلاد افريقية .

وفي سنة ٢٨٣ رجع ابراهيم بن أحمد من تونس الى رقادة وخرج أبو منصور احمد بن ابراهيم الى اطرابلس . وخرج ابو بحر بن ادهم الى مصر . وفيها كانت وقعة نفوسة ، وذلك ان ابراهيم بن أحمد اعترضته نفوسة بين قابس واطرابلس ومنعته الجواز ، وكانوا في زهاء عشرين ألف رجل ، لا فارس

معهم . فناصبهم الحرب ، وقاتلوهم قتالاً شديداً حتى هزموهم وقتلوا اكثرهم . ثم تمادى الى مدينة اطرابلس ، فقتل بها أبا العباس محمد بن زيادة الله بن الأغلب ، وكان اديباً ظريفاً ، له تآليف ؛ وسبب قتله ان المعتضد بالله العباسي كتب الى ابراهيم ابن احمد يعنّفه على سوء فعله بأهل تونس ، ويقول له : إن انتهيت عن اخلاقك هذه ، وإلاّ فسلّم العمل الذي بيدك لابن عمّك محمد بن زيادة الله . ثم نهض من اطرابلس الى تاورغا فقتل بها خمسة عشر رجلًا ، وامر بطبخ رؤوسهم مظهراً انه يريد اكلها هو ومن معه من رجاله ، فارتاع اهل العسكر منه وقالوا : قد خولط ؛ فانفض الناس عنه . فلما رأى ذلك خشي ان يبقى وحده ، فرجع الى تونس ، فجعل عقوبة من انفض عنه غرم ثلاثين ديناراً ، فسمي غرم الهاربين .

وفي سنة ٢٨٤ كانت وقعة بنفوسة لابي العباس بن ابراهيم فقتل منهم مقتلة عظيمة ، واسر منهم نحو ثلاثمائة . فلما وصل بهم الى والده ابراهيم بن احمد دعا بهم ، فقرب اليه شيخ منهم ، فقال له ابراهيم : اتعرف علي بن ابي طالب ؟ فقال له : لعنك الله ، يا ابراهيم ، علي ظلمك وقتلك . فذبحه ابراهيم وشق عن قلبه ، واخرجه بيده ، وامر ان يفعل ببقية الاسرى كذلك ، حتى أُتي على آخرهم ، ونظمت قلوبهم في حبال ، ونصبت على باب تونس .

قصة ابن الاغلب مع الشيخ الصالح ابى الاحوص

وذلك ان ابا الاحوص احمد بن عبد الله المكفوف المتعبد من اهل سوسة ، كان زاهداً ورعاً . فلما اكثر ابراهيم بن احمد الجور والقتل ، دعا برجل من اهل سوسة ، واملى عليه رسالة الى ابراهيم ، كان في فصل منها : يا فاسق ، يا جائر ، يا خائن ! قد حدتَ عن شرائع الاسلام ، وعن قريب تعاين مقعدك من جهنم ، وسترد ، فتعلم ؛ وبعث به اليه . فلما قرأه غضب وبعث الى ابي الاحوص من قال له : عذرناك لفضلك ودينك ، ولكن ابعث اليّ الذي كتب الكتاب . وبالله لئن لم تفعل ، لاقتلن فيه من اهل سوسة كذا وكذا ، ويكون اثم ذلك في عنقك . فقال ابو الاحوص : لئن قتلت الفاً لا يكون اثمهم إلا عليك ، ولو عملت ما عملت ما اعلمتُك بالرجل . فتُب الى خالقك ، وارجع عن جورك ؛ فامسك عنه ، ومات أبو الأحوص في هذه السنة .

وفي سنة ٢٨٥ كانت فتنة بصقلية بين عربها وبربرها ، وفي خلال ذلك ورد كتاب ابن الاغلب يدعوهم الى الرجوع للطاعة ، ويؤمنهم اجمعين ، حاشا ابا الحسن بن يزيد وولديه والحضرمي ، فتقبض عليهم ، وبعث بهم الى ابن الأغلب . فأما

ابو الحسن فانه تناول سماً فمات من ساعته ، وصلبت جثته ، وقتل ولداه . وجعل ابراهيم من يضاحك الحضرمي ويهازله ، فقال له : ليس هذا وقت هزل . وامر بـه فقتل بالمقارع بين يديه .

وفي سنة ٢٨٦ سخط ابراهيم بن الأغلب على جماعة من فتيانه .

وفيها كانت وقعة بين أبي العباس بن ابراهيم بن احمد بن الاغلب وبين بني بلطيط ببسكرة ، ففرّق جموعهم ، وقتل عدداً كثيراً منهم ، واصلح ما كان التاث هنالك .

وفي سنة ٢٨٧ كانت بصقلية ملحمة كبيرة : وذلك ان ابا العباس عبد الله بن ابراهيم بن احمد اخرجه ابوه بالأسطول مصلحاً لها ، فاسرع الى بَلرم يؤمن اهلها ، فأتاه قاضيها في جماعة من اهلها ، فحبسهم عند نفسه وصرف القاضي . ثم وجّه اليهم ثمانية مشايخ من أهل افريقية ، فحبسوهم مكافأة لفعله في مشايخهم . ثم زحفوا اليه وحاربوه ، فانهزموا وقتل منهم عدد كثير ودقت لهم سفن ، وتمادت هزيمتهم الى بلرم . ثم زحف اليهم ، فحاربهم على باب بلرم ، وقتل منهم عدداً كثيراً ، وطلبوه بالأمان ، فأمنهم . ودخلها لعشر بقين من رمضان من السنة .

وفي سنة ٢٨٨ اخرج ابراهيم بن احمد ولده ابا عبد الله في جيش كبير الى الزاب .

وفيها ، أغزى ابو العباس صاحب صقلية ، فدخل مدينة زلة عنوة ، وغنم فيها غنائم كثيرة ، واستأمنت له حصون واعطوه الجزية .

وفي سنة ٢٨٩ اظهر صاحب افريقية ابراهيم بن احمد التوبة لما استقام امر ابي عبد الله الداعي بكتامة . فاراد ابراهيم ابن أحمد ان يُرضي العامة ، ويستميل قلوب الخاصة بفعله ، فرد المظالم ، وأسقط القبالات ، واخذ العشر طعاماً ، وترك لأهل الضياع خراج سنة ، وسمّاها سنة العدل ، وأعتق مماليكه ، وأعطى فقهاء القيروان ووجوه أهلها أموالاً عظيمة ليفرّقوها في الضعفاء والمساكين ، فاستؤكلت وأُعطِيَت من لا يستحقها ، وأُنفقت في اللذات ، وصرفت في الشهوات . وقدم ولده أبو العباس من صقلية مستدعىً ، فأسلم اليه أبوه المُلك ، فولى أبو العباس على الكُوَر من أحب .

ومن اخبار ابراهيم بن احمد

على الجملة ووفاته

كان مولده يوم اضحى سنة ٢٣٠ (?) . وتوفي يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة المؤرخة بأرض الروم ، وسيق ميّتاً الى جزيرة صقلية ، فدفن بها بعد ثلاثة وأربعين يوماً من موته . وكان عمره ٤٢ (?) سنة ومدة ولايته ٢٨ سنة وستة اشهر واثني عشر يوماً .

وأقام في أوّل ولايته ستة أعوام على ما كان عليه أسلافه من حسن السيرة وحميد الأفعال . ثم تغيرت أحواله ، وأخذ في جمع الأموال . ثم هو في كل سنة يزداد تغيُّراً وسوء حال . ثم اشتدّ نكره ، فأخذ في قتل أصحابه وحجّابه حتى أنه قتل ابنه المكنى بأبي الأغلب ، وقتل بناته ، وأتى بأمور لم يأتِ بها أحد غيره . وكان كثير الملل ، شديد الحسد . وكانت له في بدء أمره سيرة حسنة ، وأفعال محمودة ، ثم غلب عليه خلط سوداوي ، فتغير ، وساءت أخلاقه كما ذكرنا . فقيل انه افتقد منديلاً صغيراً ، كان يمسح به فمه ، وكان سقط من يد بعض جواريه ، فأصابه خادم له ، فقُتل بسببه ثلاثمائة خادم . وكان سبب قتله لولده ظناً منه به ، فضُربت رقبتُه بين يديه .

وقتل اخوته ثمانية : ضربت أعناقُهم بين يديه . وكانت امه، إذا ولدت له ابنـة ، اخفتها وربَّتها ، لئـلا يقتلها ، حتى اجتمع عندها منهنّ ست عشرة جارية ، كأنهن البدور ؛ فقالت له يوماً ، وقد رأت منه رِقة : يا سيدي ، قد ربّيت لك وصائف ملاحاً ، وأُحب ان تراهُنّ . قال : نعم . فلما رآهنّ قالت له : هذي بنتك من فلانـة ، وهذي بنتك من فلانـة ، حتى عدتهن . فلما خرج من عند أُمه قال لخادم له أسود : امضِ اليهنّ وجئني برؤوسهن . فوقف استعظاماً لذلك . فقال له : امضِ وإلا قدمتك قبلهنّ . فلما دخـل عـلى أُمه ، كبر ذلك عليها ، وعظم في قلبهـا ، وقالت له : راجعه . فقال لهـا : لا سبيل الى ذلك ؛ فقتلهنّ وأخذ رؤوسهن ، وجاء بها اليه معلقة بشعورهنّ ، فطرحها بين يديه ، قبّحـه الله ؛ وأدخل كثيراً من فتيانه الحمّام وأغلق عليهم باب البيت السخن ، فماتوا فيه جميعاً . وأخباره كثيرة في هذا المعنى ، ذكرها الرقيق وغيره .

وفي سنة ٢٨٩ المذكورة ، استرجع ابو العباس بن ابراهيم ابن احمد المـال الذي أخرجه أبوه الى الفقهاء ووجوه النـاس ليفرّقوه في المساكين ، فرجع معظمه ، وقال لمشايخ افريقية : اغتنمتم الفرصة في المال لمرض الأمير ابي ، ومغيبي عنه .

وفيها شخص أبو عبد الله الاحول ابن أبي العباس الى مدينة

طُبنة لمحاربة الشيعي. وفيها تساقطت النجوم لثمان بقين من ذي القعدة ، فسُمّيَت السنة سنة النجوم ، فلهذه السنة ثلاثة اسماء : سنة العدل ، وسنة الجور (سمّاها العامة بذلك) ، وسنة النجوم.

وفي سنة ٢٩٠ كتب أبو العباس بن ابراهيم الى العمال ليأخذوا له البيعة ، لان أباه فوّض اليه ، وتخلى له عن الملك ، واشتغل بالعبادة ، وذلك قبل أن يبلغه وفاة أبيه .

ولاية أبي العباس بن ابراهيم بن احمد

وذلك انه أظهر التقشف ، والجلوس على الأرض ، وإنصاف المظلوم ، وجالس أهل العلم ، وشاورهم . وكان لا يركب إلا الى الجامع ، فقال قوم : إن أهل النجوم أمروه بذلك . وقال قوم : ان به وَسْوَسة . وكتب الى ابنه زيادة الله يستحثّه في القدوم عليه من صقلية ، لأنه وُشي به اليه أنه يريد الانتزاء عليه . فقدم زيادة الله على أبيه لعشر بقين من جمادى الآخرة ؛ فقبض أبو العباس ما كان معه من الأموال والعدّة ، وحبس زيادة الله في بيت داخل داره وحبس ناس من أصحابه .

مقتل ابي العباس بن ابراهيم بن احمد

قتل يوم الأربعاء ليوم بقي من شعبان ، فكانت ولايته بعد أبيه تسعة أشهر وأحد عشر يوماً ، ومن يوم أفضى اليه أبوه الأمر سنة واثنان وخمسون يوماً . وكان قتله على ما أصفه :
وذلك أنه خرج من الحمّام الى دار خالية ، واستلقى على سرير خيزران ، ووضع تحت رأسه سيفاً ، ونام بعد أن أخرج كلّ من كان في الدار غير فتيين كان يثق بهما . فلما نام تآمرا على قتله وقالا : هذه فرصة في تقديم اليد عند زيادة الله ، فنطلقه من أسره، ويستريح من أبيه ، ويلي مكانه ، ونفوز بالحظوة عنده. فتقدّم أحدهما فاستلّ السيف الذي كان تحت رأسه ، وضربه به ضربة قطع عنقه ولحيته ، حتى نفذ الى السرير . ومضى الفتى الآخر الى ناحية من الدار ، فارتقى الحائط ، ونفذ الى زيادة الله ، وأعلمه أنّ أباه قُتِل ، فظنّ أنها مكيدة عليه ، فقال له : إن كنت صادقاً فأرني الرأس ؛ فانصرف مسرعاً ورمى اليه بالرأس ، فعند ذلك صدّقه .

ولاية زيادة الله بن أبي العباس عبد الله

ابن ابراهيم بن أحمد بن الأغلب

وذلك أن زيادة الله ، لما صحّ عنده قتلُ أبيه ، ورأى الرأس بين يديه ، كسر قيوده ، وبادر مخافة أن يشعر بالأمر أحد من أعمامه فيبدره ، فلما صار زيادة الله في الدار أرسل في عبد الله بن الصائغ وفي أبي مسلم منصور بن اسماعيل ، وهما ممن كان سُجن معه تهمة ، وفي عبد الله بن أبي طالب . فلما دخلوا عليه قال لهم : انظروا لي ولأنفسكم . فقالوا له : أرسِل في أعمامك على لسان أبيك ، وفي وجوه الرجال والقواد . فأرسل فيهم ، ودفع اليهم الصلات ، وأخذ عليهم البيعة ، وأمر أن يُنادى بتونس : من كان هاهنا من الجند فليوافِ باب الأمير . فركبوا بأسلحتهم ، فأمر بادخالهم واحداً واحداً : يدخل الرجل فيُبايع ، ويُعطى خمسين مثقالاً . ففعل ذلك بالوجوه . وكُتب ذلك اليوم كتاب بيعته ، فقُرىء بتونس على منبر جامعها . وأُخِذت له البيعة على العامة بها . وكتب الى العمال بالبلاد بان يأخذوا له البيعة على من قِبَلهم . فلما قرب العشاء نودي في الجند : أصبحوا لأخذ عطياتكم ! ومطّل عمومته بالانصراف عنه الى الليل . ثم كبلهم أجمعين وأدخلهم في شيني ، ووكل

بهم ثقاته ، وأمرهم أن يمضوا بهم الى جزيرة الكُرّاث ، وهي على اثني عشر ميلاً من مدينة تونس ؛ فضربت هناك رقابهم ليلة السبت لثلاث خلون لرمضان . وأصبح الجند والموالي من غد ذلك اليوم لأخذ الصلات . فلما مضى صدر من النهار قيل لهم : انصرفوا ، فإنه يوم شغل . ثم أتوا من الغد ، فدُفِعوا . فلم يزالوا يترددون الى أن بردت قلوبهم وملوا الاختلاف .

ولما كمل الامر لزيادة الله دعا بالفتيين اللذين قتلا أباه ، فأمر بهما فقُطِعت أيديهما وأرجلهما ، وصُلبا على باب القيروان وباب الجزيرة من أبواب تونس . وقتل أيضاً زيادة الله عمّه أبا الأغلب الزاهد الساكن بسوسة ، وقتل أخاه أبا عبد الله الأحول بعد أن استقدمه من طبنة .

وولى زيادة الله الوزارة والبريد عبد الله بن الصائغ ، وولى أبا مسلم منصور بن اسماعيل ديوان الخراج ، وولى قضاء القيروان حماس بن مروان بن سِماك الهمَداني ، وكان ورعاً ، عالماً بمذهب مالك واصحابه ، فعدل في احكامه ، ولم يكن يهاب أحداً في ولايته ونظره .

وفيها مات محمد بن محمد بن الفرج البغدادي ، مولى بني هاشم ، وكانت له عناية وطلب ، ومات محمد بن أبي المنهال ، وكانت له رئاسة بإفريقية .

وفيها قُتل ابن القيّاد إذ اتهمه زيادة الله بأنه أشار على أبيه بتأديبه وحبسه .

وفيها مات حسين بن محمد بن سليمان، وكان ثقة في الحديث والرواية ، وسمع أبوه من سفيان بن عيينة .

وفي هذه السنة أُسّست مدينة وهران على يدي محمد بن أبي عون بن عبدوس وجماعة من الأندلسيين .

وفيها مات عليّ بن الهيثم المحدّث، وإبراهيم بن عثمان القرشي التونسي ، وكانا من أهل الرواية والعلم .

وفي سنة ٢٩١ ولي محمد بن زيادة الله العهد ، وأُخذت البيعة له بذلك .

وفيها قُتل هذَيل النفطيّ ، صاحب ديوان الخراج ، وقُتل ابن المنبت الملقب بالعجل .

وفيها توفي محمد بن زرزور الفقيه الفارسي ، وكان على مذهب أبي حنيفة ، وكان حافظاً لبيباً ، ونظر في النجوم والحساب ، وخولط في عقله ، فكان إذا قيل له : يا زوّاغي ! يهيج وينشط . وولي عليٌّ بن أبي الفوارس التميمي عمالة القيروان ، ثم عزل عنها ، ووليها أحمد بن مسرور . وولي ابراهيم بن حبشي التميمي قتال أبي عبد الله الشيعي .

وفيها مات أبو جعفر أحمد بن داود الصوّاف ، مولى

ربيعة ، وكان فاضلاً ، من رجال سحنون ؛ وكان في حداثته يقول الشعر ، ثم تركه .

وفيها خرج الحسن بن حاتم الى العراق رسولاً من عند زيادة الله بهدايا وطُرَف . وولي الحسن ابن أبي العيش بن إدريس بن محمد ابن سليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب (رضه) عمل جراوة لوفاة أبيه أبي العيش . ورفع زيادة الله فقهاء افريقية الى مدينة تونس ، مستظهراً بهم على أبي عبد الله الشيعيّ ؛ فاجتمعوا عند عبد الله بن الصائغ صاحب البريد ، وتفاوضوا في أمره ؛ وقال لهم ابن الصائغ : ان الامير يقول لكم : هذا الصنعانيُّ الخارج علينا مع كتامة يلعن أبا بكر وعمر (رضهما) ويزعم أن أصحاب النبيّ (صلعم) ارتدّوا بعده، ويسمي أصحابه : المؤمنين ، ومن يخالفه في مذهبه : الكافرين ، ويُبيح دم من خالف رأيه ، فاظهر الفقهاء لعنه والبراءة منه ، وحرّضوا الناس على قتاله ، وأفتوهم بمجاهدته . وأرسل زيادة الله هدية للعبّاسيّ ، فيها عشرة آلاف مثقال ، في كل مثقال منها عشرة مثاقيل ، وكتب في كل مثقال هذين البيتين :

يا سائراً نحو الخليفة قُلْ له :
أن قد كفاك الله أمرك كلّه

بزيادة الله بن عبد الله سيف
الله من دون الخليفة سَلّه

وفي سنة ٢٩٢ قدم أبو مسلم منصور بن إسماعيل بن يونس لاصلاح مدينة رقّادة، ورفع ما وهى فيها، وأنشأ مركباً على مأجل القيروان، وسُمّي الزلاّج. وقدم زيادة الله من تونس في شهر ربيع الآخر، فنزل على المأجل الكبير بالقيروان.

وفيها ضرب الخال وطوّف بمدينة القيروان مخشّباً على بغل باكاف.

وفيها ظهر النجم ذو الذؤابة في الجدي بجهة الشمال، بقرب بنات نعش، وذلك في رجب.

وفيها كانت وقعة على عسكر السلطان، وذلك أن أبا عبد الله الداعي، لما علم بخروج العسكر اليه، وكثرة من معه من وجوه الرجال وأنجاد العرب والموالي، وما معه من العدة وآلات الحرب، ارتاع لذلك، وأخذ في حشد كتامة، وكان حشده بغير ديوان، إنما كان يكتب الى رؤساء القبائل فيحشدون من يليهم، طاعة له ورغبة فيه. وكان لا يزيدهم في كتابه اليهم على أن يقول: إنّ الوعد يوم كذا في موضع كذا؛ ويصرخ صارخ بين يديه: حرامٌ على من تخلّف، فلا يتخلّف عنه أحدٌ من كتامة، فاجتمع اليه منهم ما لا يحصى كثرة. وتأهّب لملاقاة إبراهيم بن حبشي، فالتقى مع ابراهيم بن حبشي أمير العسكر بكينونة

فكانت بينهما ملحمة عظيمة ، تطاعنوا فيها بالرماح حتى تحطمت وتجالدوا بالسيوف حتى تقطعت ، من أوّل النهار الى آخره . ثم انهزم ابراهيم ، ووقع القتل في أصحابه ، فذهب كثير منهم ونجا باقيهم في ظلمة الليل واشتغلت عنهم كتامة بالغنيمة والأموال والسلاح والسروج واللجم وضروب الأمتعة . وهي أول غنيمة أصابها الشيعيُّ وأصحابه ، فلبسوا أثواب الحرير ، وتقلدوا السيوف المحلاة ، وركبوا بسروج الفضة واللجم المذهبة ، وكثر عندهم السلاح ، وشرفت أنفسهم ، وتحققت آمالهم ، وصحّ عندهم ما كان الشيعي يعدهم به من النصر ، ويبسط لهم الآمال فيه من التأييد لهم والنصر والغلبة لعدوّهم . ووقع الوهي على اهل افريقية ، وداخلهم الوهن والجزع . وكتب أبو عبد الله الداعي الى عبيد الله الشيعي ، وهو يومئذ بسجلماسة ، يعلمه بالفتح ، ووجه اليه بمال كثير مع قوم من أهل كتامة سراً .

وذكر رجل من بني هاشم بن عبد المطّلِب ، يُسمى بأحمد ابن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن عليّ بن ركانة بن عبدون بن هاشم ، كان مع عبيد الله بسجلماسة ، قال : وصلني عبيد الله بمال كثير من دنانير لا توجد في ذلك البلد ؛ فكثُر تعجبي منها . فلما رأى مني ذلك ، وعلم مني ما أوجب

ثقته بي واستنامته اليّ ، قرأ عليّ كتاب أبي عبد الله بالفتح ، وأمرني بكتمان الخبر ، وألاّ أُبدل حالتي الاولى ، ولا أُغير حليتي وملبسي ؛ وقال لي : إن علينا عيوناً ورقباء ، فلا يطّلعوا منا على تبدُّل حال ، واستفادة مال .

وفيها مات أبو سهل فُرات بن محمد العبديّ الفقيه ، سمع من سحنون ، وعبد الله بن أبي حسان ، وموسى بن معاوية ، وغيرهم بافريقية ، ورحل الى المشرق ، فسمع من رؤساء أصحاب مالك ، وله لسان طويل ، ومعرفة بالانساب ، وكان أعلم الناس بالناس ، وأوقع الناس في الناس ، حتى نُسب الى الكذب .

وفيها ولد محمد بن يوسف الورّاق بالقيروان .

وفي سنة ٢٩٣ أخرج زيادة الله بن عبد الله بن الاغلب جيشاً الى الاربُس ، لمحاربة أبي عبد الله الشيعيّ ، وولى عليه مُدلج بن زكريا ، وأحمد بن مسرور الخال ، فخالفا عليه يوم الاثنين لعشر خلون من جمادى الآخرة ، ووافيا بالعسكر مدينة القيروان يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة ، فخرج اليهما الغوغاء من القيروان ، ودافعوهما . وكبا بمُدلج فرسه فقُتل من ساعته ، وقُتل معه ابن بربر ، وصُلبا على باب رَقّادة . وقد كان زيادة الله برز لقتال مدلج ،

حتى أتاه الخبر بقتل العامـــة له ، فكتب بذلك فتحاً قرىء بالقيروان وأعمالها . وكان سبب خلافه على زيادة الله انـه حكم عليه في منية له كانت تعرف بالجليدية ، وسجّل عليه فيها القاضي حمـاس بن مروان ، فاضطغن ذلك ، وجعلـه سبباً الى الخلاف عليه .

وفيها ورد كتاب المكتفي بالله ، يحثُّ اهل افريقيـة على نصرة زيادة الله ، ومحاربة الشيعي . وقرىء كتابه على الناس.

وفيها كسفت الشمس كلها ، وصلى القاضي حمـاس بن مروان بالناس صلاة الكسوف في الجامع .

وفيها خرج زيادة الله بن عبد الله الى مدينة الأربس ، فنزل بغربيّها ، واجتمعت اليه عساكر كثيرة ، وأعطى بها الأموال جزافاً بالصّحاف ، كيلاً بلا وزن ، لكل رجـل صحفة ، توضع له في كسائه دنانير ، ويحمل على فرس ، ثم يخرج الرجل فلا يُرى بعدهـا . فأنفق فيها أموالاً جسيمة ، وبـذل مجهوده في الاحسان الى الرجال ، والشيعي مع ذلك يريـد ظهوراً . ووجه عساكر الى باغاية ، وشك مدينة طبنة وشحنها بالرجال ، وقدم عليها حاجبه ابا المقارع حسن بن احمد بن نافذ مع شبيب بن ابي شداد القمودي وخفاجة العبسي ، وكانوا من اهـل البسالة ، وأمرهم بشن الغارات عـلى كتامة ، فـكانت بينهم وقائع قُتل فيهـا كثير من الفريقين .

وفيها ولي قضاء مدينة رقادة محمد بن عبد الله المعروف بابن جمال ، وكان مولى لبني امية ، ولم يكن عنده علم ولا ورع ، وانما عني به عبد الله بن الصائغ ، وكانت فيه غفلة شديدة وضعف ، وقيل انه باع نفسه في حداثته مرتين ايام الشدة ، ثم اثبت بعد ذلك حريته ، وانطلق . وشهدت عنده بينة بان امرأة وكلت ولدها ، فقال لهم : وكلته وهي بالغ ؟ قالوا له : هو ابنها ، اصلحك الله ! فكيف لا تكون بالغاً ؟ وضحكوا عليه ، فاستحيا .

وفيها قدم أبو يعقوب اسحاق بن سليمان الاسرائيلي المتطبب على زيادة الله من المشرق مع أبي الحسن بن حاتم ، فوصل اليه وهو بالاربُس . قال إسحاق : فدخلت على زيادة الله ساعة وصولي ، ورأيت مجلسه قليل الوقار ، كثير اللهو . فابتدأني بالكلام ابن خَنْبَش المعروف باليوناني ، فقال لي : تقول ان الملوحة تحلو ؟ فقلت له : نعم ! قال : وتقول ان الحلاوة تحلو ؟ قلت له : نعم ! فقال لي : فالحلاوة هي الملوحة ، والملوحة هي الحلاوة . فقلت : إن الحلاوة تحلو بلطافة وملاءمة ، والملوحة تحلو بعنف وقوة . فتمادى على المكابرة في ذلك حتى قلت له : تقول : انك حيّ والكلب حيّ ؟ قال : نعم ! قلت له : فأنت الكلب والكلب أنت ! فضحك زيادة الله ضحكاً شديداً . قال : فعلمت أن رغبته في الهزل أكثر من رغبته في الجدّ .

وفي هذه السنة تغلّب ابو عبد الله الداعي على مدينة بلزمة
وعلى مدينة طُبنة ، ودخلها بالامان في آخر ذي الحجة ، وبها
ابو المقارع حسن بن احمد والي زيادة الله وعامله عليها مع
صاحبيه المذكورين قبل هذا . وكان بها جباة على ضروب
المغارم ، فاتوه بما في ايديهم من الجباية ، فقال لاحدهم : من اين
جمعت هذا المال ؟ فقال له : من العشور . فقال ابو عبد الله:
انما العشور حبوب ، وهذا عين . ثم قال لقوم من ثقات طبنة :
اذهبوا بهذا المال ، فليرد على كل رجل ما اخذ منه ، واعلموا
الناس انهم امناء على ما يخرج الله لهم من ارضهم ، وسنّة
العشور معروفة في أخذه وتفرقته ، على ما ينصّه كتاب الله
عزّ وجل . ثم قال لآخر : من اين هذا المال الذي بيدك ؟
قال : جبيته من اليهود والنصارى جزية عن حول مضى لهم . فقال :
وكيف اخذته عيناً ، وإنما كان يأخذ رسول الله (صلعم)
من المَلِيءِ ثمانية واربعين درهماً ، ومن المتوسط أربعة
وعشرين درهماً ، ومن الفقير اثني عشر درهماً . فقال له :
أخذت العين عن الدراهم بالصرف الذي كان يأخذه عمر ، رحمه
الله . فقال ابو عبد الله : هذا مال طيب . ثم امر احد الدعاة بان
يفرقه على اصحابه ، وقال لمن اتاه بمال الخراج : هذا مال
لا خير فيه ، ولا خراج على المسلمين في اموالهم . ثم

امر ثقات اهل طبنة برده على اهله ، وقبض مال الصدقة من الابل والبقر والغنم ، بعد ان قيل له انها قبضت الانعام على الاسنان الواجبة في الصدقات ، ثم بيعت وجمعت اثمانها . فرضي بذلك وجوزه . فلما نظر اهل طبنة الى فعله سروا بـه ورجوا ان يستعمل فيهم الكتاب والسنة . وانتشر فعلـه في جميع نواحي افريقية ، فتاقت انفسهم اليه ، وكاتبوه ، ودخلوا في طاعته . وبلغ ذلك زيادة الله ، فاغتم به غماً شديداً ، وأخذ في حشد الرجال والاستكثار منهم ، وأمر بلعنة الشيعي على المنابر .

وفيها قدم على زيادة الله ابن الطبني من بغداذ .

وفيهـا توفي ابو جعفر محمد بن الحسين المروزي بجزيرة صقلية ، وكان فقيهاً ، واتهم بالكذب . وتوفي فيها محمد بن المنيب الازدي الفقيه ، وكان مذهبه مذهب اهل العراق ، وكان من اهل الخير ، وعرض عليه القضاء فلم يقبله .

وفيها مات محمد بن نصر المتعبد ، وكانت له رواية ، ومحمد بن ابي حُميد السوسي ، وزيدان ابن اسماعيل الازدي ، وكانا من الثقات في العلم .

وفي سنة ٢٩٤ خرج ابراهيم بن حبشي بن عمر من الاربس بالعسكر لملاقاة ابي عبد الله الشيعي بمدينة طبنة ، في النصف من المحرم .

وفيها عزل عبد الله بن محمد بن مفرج المعروف بابن الشاعر عن قضاء قسطيلية ، ورفع الى زيادة الله ، وهو بالاربس، مخشباً ، فامر بضربه وتقييده ، وحبس بحبس الاربس، وذلك ان وجوه قسطيلية رفعوا عليه الى زيادة الله ، وتظلموا منه ، وكتب الى عامله بعزله وتخشيبه ورفعه الى بابه ، فقدم الكتابُ ، والعامل غائب ، وتبادر بعض القوم الذين رفعوا عليه الى مجلس القضاء الذي كان فيه ، فسبوه وهموا بالبسط اليه ، فأمر غلمانه باخذهم وضربهم وقيدهم وحبسهم ، ثم قدم العامل ، وقد نفذ فيهم كل ما أحب ، فاوثقه حديداً ، وخشبه ، ووجهه الى زيادة الله ، فضربه بالدرة وحبسه ، وذلك للنصف من المحرم .

وفيها انصرف زيادة الله من الاربس الى رقادة واستخلف على الجيش بالاربس ابراهيم بن احمد بن ابي عقال . وبنى زيادة الله سور مدينة رقادة بالطوب والطوابي ، والتزم التنزه على البحر وغيره ، واتباع اللذات ، ومنادمة العيّارين والشطار والزمامرة والضرّاطين . وكان اذا فكر في زوال ملكه وغلبة عدوه على اكثر مواضع عمله ، يقول لندمائه : املأ واسقني من القرن يكفيني . واشتدّ كلفه بغلام له يسمى بخطاب ، فكتب اسمه في سكة الدنانير والدراهم ، ثم وجد عليه فحبسه وقيّده ، فغنّت له جارية تستعطفه على خطّاب :

يا ايها الملك الميمون طائره ،
رفقاً فان يد المعشوق فوق يدك

كم ذا التجلد والاحشاء خافقة ،
أعيذ كفك ان تسطو على كبدك

فرضي عن خطّاب ، واعاده الى منزلته . وكان اذا اظهر الغم بأمر الشيعي ، اخذوا له في التسلي ، فغنت جارية له يوماً

اصبر لدهر نال منـ ـك فهكذا مضت الدهور
فرح وحزن مرة ، لا الحزن دام ولا السرور

فقال لها : صدقتني ، وامر لها بصلة .

وفيها استعفى حماس بن مروان عن القضاء بالقيروان ، فعوفي ، وولى زيادة الله مكانه محمد بن جمال ، فلم يزل قاضياً الى ان هرب زيادة الله .

وفيها دخل أبو عبد الله الشيعي مدينة باغاية بالأمان ، في شعبان ، فعظم غم زيادة الله بذلك واستشار ابن الصائغ في أمره ، فقال له : ارحل الى مصر سرًّا واستخلف على افريقية قائداً تجعل اليه امر العساكر ، وتترك له الأموال . فنظر في ذلك ، وأمر بشراء خمسمائة جمل لرحيله . ثم ظهر له خطأ هذا الرأي ، وخشي قيام الناس عليه وثورتهم به ، فامسك .

وشعر ابراهيم بن حبشي بن عمر بما كان همّ بـه زيادة الله من الهرب ، فتعرض له حتى أدخله قصر البحر ، واراه ما زخرفه له فيه ، وقال : يا سيدي اين هذه البنية من قصر جدك القديم ، الذي صبر فيه على الحصار اعواماً كثيرة ، وقد أبغضه جل اهل بلده ، وقام عليه رؤساء جنده ، فبقي مقيماً فيه وضابطاً له حتى اظهره الله عليهم ، ومكنه منهم ، فكيف بك وقد كثر مالك ، واحبك رجالك ، واهل افريقية معك ? وانما خرج عليك شيخ لا يعرف مكانه في البربر ، وانت في حصن منيع ، والله يدفع عنك ؛ فدع ما يقال لك ، فانك الظافر بحول الله وقوّته ان شاء الله . فاصغى زيادة الله الى قوله ، وسر بما سمع منه ، وجعل يرسل الرجال والاموال الى الاربس ، وهي اقصى ثغوره . فكانت خيل ابي عبد الله الشيعي تغير على الاربس من باغاية ، وخيل زيادة الله تغير على باغاية من الاربس .

وفيها قدم حبشي وابن أبي حجر وابن عبّاس من بلد الروم ومعهم رسول صاحب القسطنطينية . وكساهم زيادة الله ، وأنزل الرسول في الملعب ، بقرب رقادة ، وجمع الناس للمباهاة بهم ، فكان جمعاً عظيماً .

وفيها ضربت القباب والأخبية حوالي مدينة رقادة ، وأخذ أهل مدينة القيروان بالعسس حولها والمبيت في الأخبية المضروبة

جوارها . وجدّد زيادة الله الحشد، ورغب الناس بالأموال .

وفيها توفي محمد بن أبي الهيثم اللؤلؤي الفقيه .

وفيها ولي قرهب الحجابة في شعبان .

وفي سنة ٢٩٥ خرج زيادة الله الى مدينة تونس في شهر محرم ليحاول اموره فيها .

وفيها استسقى القاضي أبو العباس بن جمال بالناس ، يوم الاثنين لست خلون من شهر ربيع الآخر .

وفيها عزل ابن ابي الوليد عن الصلاة ، وولي مكانه ابن يزيد للنصف من شهر ربيع الآخر .

وفيها توفي ابوالحسن بن حاتم الرسول الى بغداد في شوال .

وفيها توفي ابو موسى عيسى بن مسكين القاضي ، فصلى عليه ابو جعفر أحمد بن خالد السهمي في قريته بالساحل .

وفيها توفي أبو عياش احمد بن موسى بن مخلد الفقيه ، وكان ينتمي الى غافق ، وكان من اصحاب سحنون بن سعيد ، وكان زاهداً ، ورعاً ، متعبداً ، فاضلاً ، وعالماً بما في كتبه ، كثير الحكاية ، سمع منه بشر كثير من اهل القيروان ، ودفن بباب سلم .

وفيها مات سعيد بن اسحاق الفقيه ، مولى كلب ، وكان من رجـــال سحنون بن سعيد ، وسمع من جماعة من شيوخ

افريقية ، وكان كثير الرباط والرواية والجمع للحديث ، وكان مولده سنة ٢١٢ .

وفي سنة ٢٩٦ وصلت خيل أبي عبد الله الشيعيّ الداعي الى قسطيلية ، وانهزم أبو مسلم منصور بن اسماعيل ، وشبيب ابن أبي الصارم ؛ وانقبضا الى مدينة توزر ، وانبسطت الخيل هنالك ، وأحرقت القرى ، وأفسدت ما مرّت بـه من النعم . وكان أبو عبد الله قبل ذلك قد أمر أصحابه بالكفّ عن الغارات وألا يريموا مكانهم ، فأقاموا نحو شهرين لم تظهر لهم حركة ، حتى قيل فيه انه مريض ، وقيل : بل مات . ولما وصل الخبر بانبساط جيوش أبي عبد الله الى زيادة الله ، هاله وراعه ، وارتجت الحاضرة ، واضطربت أحوال الجند ، ويئسوا من البلد ، وخافوا على ذراريهم وأهليهم السبي والاسترقاق . وجعل عبد الله بن الصائغ يقول لزيادة الله : هذا من تضييع الشيخ السوء أبي مسلم ومن سوء نظره . وكان ابن الصائغ كاتباً لأبي مسلم في أيام ابراهيم بن أحمد ، ففسدت الحال بينهما ، ولم يزل يوفع على أبي مسلم يومئذ حتى عُزل . ثم لما دارت هذه الدائرة بقسطيلية وانهزم عنها أبو مسلم ، نسب ذلك ابن الصائغ اليه ، وأوقد زيادة الله عليه وأغراه به ، حتى كتب الى شبيب بن أبي الصارم يأمره بضرب عنق أبي مسلم وصلبه يوماً وليلة ، ثم يدفنه .

وبعث اليه من ثقاته من يحضر تنفيذ ذلك فيه . فلما وصل الكتاب الى شبيب اغتمّ ، ولم يجد بدّاً من التنفيذ ، فدفع الكتاب الى أبي مسلم ، وهو معه يومئذٍ بتوزر ، وقال له : عزّ عليّ ما وردني فيك . فلما قرأه أبو مسلم قال : إنّا لله وإنّا اليه راجعون ! خُدع الصبيّ الأحمق ، وذهب ملكه . ثم قبض بيده اليسرى على لحيته ، وصفع باليمنى قفا نفسه صفعات ، وقال : هذا جزاء من عصى الله وأطاع الآدميّين ، وسفك الدماء المحرّمة . أما والله لو تركته ، ولم أشِر عليه بقتل عمومته وإخوته ، وشغلته بهم ، ما دار عليّ من قِبَله ما دار. ثم قال لشبيب : امهلني أتوضّأ وأصلي ركعتين أختم بهما عملي ، ففعل وصلى ودعا وبكى ؛ ثم قدم فضربت عنقه وصلب ، ودفن في اليوم الثاني ، وذلك في النصف من صفر .

وفيها توفي أبو العباس بن أبي خداش صاحب المظالم أيام ابن عبدون .

وفيها مات أبو عقال بن خير الفقيه ، وكان يذهب مذهب أهل العراق ، وكتب لابن عبدون أيامه على القضاء .

ذكر خروج بني الاغلب من افريقية

وهرب زيادة الله من رقادة

وفيها زحف أبو عبد الله الشيعي الى الأربس ونازلها ، وبها ابراهيم بن أبي الأغلب في عساكر افريقية وجمهور أجنادها ، فقاتلها حتى أخذها عنوة ودخلها بالسيف لست بقين من جمادى الآخرة ، فهرب ابراهيم بن أبي الأغلب واليها ، ونجا في جماعة من القوّاد والجند . ولجأ أهل الأربس ومن كان اجتمع فيها من فلال العسكر الى جامعها . وركب بعض الناس بعضاً، وقتلهم الشيعي أجمعين ، حتى كانت الدماء تسيل من أبواب المسجد ، كما يسيل الماء من وابل الغيث . وقيل انه قتل داخل المسجد ثلاثين ألف رجل . وكان قتلهم من بعد صلاة العصر الى آخر الليل . فلما أصبح ، وقد فرغ من القتل والنهب والسبي، نادى بالرحيل ، وانصرف الى مدينة باغاية ، اذ خشي أن يحاشد عليه أهل افريقية .

هروب زيادة الله من رقادة

واتصل الخبر بزيادة الله في اليوم الثاني ، وهو يوم الأحد لخمس بقين من جمادى الآخرة ، فسقط ما بيده ، وعلم أنه

خارج عن ملكه . وجعل ابن الصائغ يطفىء الخبر ويكذبه له ، ويظهر ان الفتح كان لهم على الشيعي . وبرح على أبواب مدينة رقادة : من أراد اللحاق وجزيل العطاء ، للفارس عشرون ديناراً ، وللراجل عشرة دنانير ، فليلحق بقصر الامير . فلما سمع الناس ذلك بدر اليهم سوء الظن ، وعلموا أن الدائرة كانت على أصحاب زيادة الله ، وماجوا فيما بينهم . وجعلت الخاصة وأهل الخدمة يفرّون من رقادة . فلما رأى ذلك زيادة الله أخذ في شد الاحمال بما خف من الجوهر والمال ، وحرك خاصته للخروج معه . فلما كان وقت صلاة العتمة من ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة ، ركب فرسه وتقلد سيفه ، وقدّم الاجمال تمر بين يديه ، هارباً على عيون أهله وحرمه وولده . فأخذت جارية من جواريه عوداً ، ووضعته على صدرها ، وغنّته لتحركه على حملها معه ، فقالت :

لم أنس يوم الوداع موقفها ،
وجفنها في دموعها غَرق

وقولها ، والركاب سائرة :
« تتركنا سيّدي وتنطلِق

استودعُ الله ظبية جزعت
للبين ، والبين فيه لي حُرَق ! »

فدمعت عينا زيادة الله عند سماعها ، وشغله سوء الموقف وضيق الحال عن حملها معه . وخرج عن مدينة رقادة متوجهاً الى مصر في ثلث الليل الأول ، ومعه وجوه رجاله وفتيانه وعبيده ، وأخذ طريق الجادّة حتى لحق بمدينة إطرابلس . وكان عبد الله بن الصائغ يتقلد جميع أموره ، وينظر على أهل خدمته ، فواطأ خزّان الأموال على اقتطاع ثلاثين حملاً من المال ، في كل حمل ستة آلاف مثقال ، فواعدهم موضعاً يجتمع فيه معهم ، فأخطأوه في الليل وخرجوا الى مدينة سوسة ، فقبض عليها ابن الهمداني عاملها ، وخزنها في قصر الرباط بسوسة ، حتى صارت الى الشيعة .

وأصبح الناس ، من ليلة خروج زيادة الله هارباً الى مدينة رقادة ، فانتهبوها وأخذوا من بقايا أموال بني الأغلب ومتاعهم ، وصنوف الآنية من الذهب والفضة ما لا يحيط به وصف. ورجع القوي يأخذ من الضعيف ما سبقه اليه.

والهارب أبو مضر زيادة الله بن عبد الله بن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب ، المعروف بخزر ، ابن ابراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي . وكانت ولايته بإفريقية خمس سنين وأحد عشر شهراً وأربعة أيام . وكانت إمارة بني الاغلب بإفريقية مائة سنة وإحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر .

ثم إنّ ابراهيم بن أبي الأغلب، المنهزم من الأربس، أقبل الى القيروان فيمن بقي معه من القوّاد، فنزل بدار الامارة، وبعث في وجوه الناس، وجعل يظهر عندهم عتب زيادة الله، ويأخذ في انتقاصه، وأنه اسند أمر المسلمين الى من كان يسعى في زوال ملكه. وقال للناس: إنّ كتامة مفسدون في الأرض. ناصِحوا الله ولهذا الدين، وأمِدُّوني بالرجال والأموال. وحضر صلاة الظهر، فسلم على رأسه بالامارة، ثم اجتمع اليه الناس، وقالوا له: بلدنا لا يعرف الفِتن، ونحن لا نقوم بالحرب، وأنت لم تستطع دفع كتامة بالعساكر والسلاح والمال، فكيف نقوى نحن على دفعهم بأموال الرعية؟ ثم صاح الناس به: لا طاعة لك علينا، ولا بيعة في أعناقنا، فاخرج عنّا؛ فركب فرسه وشهر سيفه ودفع الفرس، ونجا هارباً حتى خرج من باب أبي الربيع ولحق بزيادة الله.

وركب عبد الله بن الصائغ في البحر يريد المشرق، فألقاه البحر بمدينة اطرابلس، وبها زيادة الله. فاتي اليه به، فقرّبه وأدناه، وعاتبه في فراره عنه، فاعتذر اليه ابن الصائغ بما أخذه من الحيرة والخوف، فهمّ زيادة الله باستحيائه، فأشار اليه كل من معه من أهله وقوّاده بقتله، فامر راشداً الاسود بضرب عنقه، فقتله. وكان يحكي عليّ بن اسحاق بن عمران

المتطبّب أن عبد الله بن الصائغ كان ، إذا رأى راشداً الاسود قبل ذلك ، اربدّ وجهه ، واذا ذُكِر له تنكـّر سروره ، حتى يعرف ذلك كل من حضره . قـال : فسألته يومـاً عن ذلك ، فقـال لي : تحدّثني نفسي أن ملك الموت يقدم عليّ في صورة راشد الاسود ، عند قبضه لروحي ، فاذا رأيته لم أملك من الصبر شيئاً .

ذكر دولة الشيعة

وبلغ أبا عبد الله الشيعيّ هروب زيادة الله، فتحرك من الاربس يريد القيروان. فهال الناس أمره وخافوه على أنفسهم، وخرج اليه الفقهاء ووجوه الناس، فقطع بهم محبوب بن عبد ربه الهواري بموضع يُعرف بفحص باروقَس، بين مدينة جلولا وحمام السُّرادق، وذلك يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة، فانصرفوا أقبح انصراف، وكتبوا الى أبي عبد الله يذكرون ما دار عليهم، ويعتذرون بذلك اليه، ويسألونه أن يحد لهم موضعاً يلقونه، فأجابهم: موعدكم ساقية مَمْس يوم السبت. وبعث أبو عبد الله غرويه بن يوسف الملوسيّ بقطيع من الخيل لضبط مدينة رقادة، وتحصين ما أدرك بها من الاموال؛ فنزل عليها يوم الجمعة لانسلاخ جمادى الآخرة، فألفى الناس بين داخل وخارج، فأمر الخارج ألا يعود، والداخل بالخروج فارغاً. ولم يكن منه الى الناس إلا خير.

وفيها أقبل الى مدينة رقادة في سبعة عساكر، وعدد من فيها على ما ذكر ثلاثمائة ألف بين فارس وراجل، فوصل اليها يوم السبت غرّة رجب، فخرج اليه أهل القيروان من الفقهاء والوجوه وجلة التجّار، فالتقوا به على ساقية ممس، وسلموا

عليه ، وأظهروا له الرغبة في دولته ، وسألوه الأمان ، فأمّنهم وصوّب فعلهم ، ووعدهم بالاحسان والعدل فيهم ، وكان قد وعد قبل ذلك قوّاد كتامة ورجالها بأن يوكّلهم القيروان ، ويسلط أيديهم فيها ، ويقطعهم جميع أموال أهلها . فلما سمعوا بأمنته للقوم ساءهم ذلك وكلموه فيه ، وذكروه ما كان وعدهم به ، فتلا عليهم : وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها . وقال لهم : هي القيروان . فقبلوا قوله ، وسلموا لأمره . ثم تقدّم بانزال عساكره حوالي مدينة رقادة فدخلها ، وقارىء يقرأ بين يديه : هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشْر، الى آخر الآية ، ويقرأ : كم تركوا من جنات وعيون ، الى آخر السورة . ونزل بالقصر المعروف بقصر الصحن . وبعث غرويه بن يوسف الى مدينة سوسة ، فأمّن أهلها ، وأتاه بالثمانية والعشرين الحمل من المال التي كانت مخزونة بقصر الرباط المتقدّم ذكرها ، وأمّن من ألفى بالقيروان من بني الأغلب وقوّادهم الذين تخلفوا عن زيادة الله ، وأمر بقتل السودان من موالي بني الأغلب ، وقتل ابراهيم بن بربر بن يعقوب التميمي المعروف بالقوس ، فقُتل خنقاً ، إذ كانوا هموا بالوثوب عليه . وقال أبو عبد الله : ما أمنتُ بإفريقية حتى قتلت القوس . وبعث أبو عبد الله الشيعي الى إطرابلس ، فأتى

منها بأخيه أبي العباس المخطوم ، وكان بها محبوساً ، وبأبي جعفر الخزري ، وبأم عبيد الله الشيعي ، وكانت هنالك مع الخزري ، فقدموا عليه . وكان أبو العباس المخطوم عجولاً ، كثير الكلام ، ضعيفَ العقل ، فأراد ان ينفي من القيروان كل من يذهب من الفقهاء مذهب أهل المدينة ، فلم يجبه أخوه ابو عبد الله الى ذلك . وولى ابو عبد الله الشيعيُّ على مدينة القيروان الحسن بن أحمد بن عليّ بن كُليب المعروف بابن أبي خنزير ، وأمره بقتل من خرج ليلاً أو شرب مسكراً ، أو حمله أو وُجد عنده . وولى على مدينة القصر القديم خلف بن أحمد ابن عليّ بن كليب ، أخا ابن أبي خنزير ، وامره بمثل ذلك .

وامر بأن يُزاد في الاذان بعد «حيّ على الصلاة» «حيّ على خير العمل» ، واسقط من اذان الفجر «الصلاة خير من النوم» . وأمر بجمع ما انتهب من الاموال بمدينة رقادة ، وضمّ عبيد زيادة الله ، ووقّف جواريه ، وولى النظر في ذلك أحمد بن فرّوخ الطّبنيّ الاحدب . وولى على السكة أبا بكر الفيلسوف المعروف بابن القموديّ ، ونقش فيها : الحمد لله رب العالمين ، وسُميَت السيّدية . وكان نقش خاتم أبي عبد الله : فتوكل على الله ، انك على الحق المبين ! وفي الخاتم الذي يطبع به السجلات : وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو

السميع العليم . ووسم في أفخاذ الخيل : المُلك لله ، وكتب في بنوده : سيُهزم الجمع ويولون الدُّبر ، وقُل : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ، وآيات كثيرة من القرآن في هذا المعنى . وأمر بالصلاة على عليّ بن أبي طالب في الخُطب بإثر الصلاة على النبي (صلعم) وعلى فاطمة ، والحسن ، والحسين . وأظهر التشيُّع في عليّ ومعاذة من قدّم عليه من أصحاب النبي عليه السلام .

وفيها ولى ابو عبد الله على قضاء مدينة القيروان محمد بن عمر بن يحيى بن عبد الأعلى المروزي من جند خراسان ، يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان ، فقعد في الجامع ، وأمر بإسقاط صلاة الاشفاع في شهر رمضان ، واحتجّ في ذلك على الفقهاء ، وانكر عليهم الاقتداء بفعل عمر بن الخطاب في القيام ، وتركهم الاقتداء بفعل عليّ بن أبي طالب في زيادة حي على خير العمل في الأذان ، وقال لهم : اعملوا بمذهب أهل البيت واتركوا الفضول . فلما كان في أول يوم من شهر رمضان أقبل المروزي الى المسجد الجامع ، فوجد في حائط المسجد في القبلة ، في موضع جلوسه ، مكتوباً : ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ، وسعى في خرابها ، الى آخر الآية . فلما رآه سأل القوم هل رأوا من جلس في

ذلك الموضع، فقالوا : لا. فأمر بمحوه ، وانتقل عن الجلوس بذلك الموضع . ووقف يوماً على المروزي رجلٌ محمق خليع ، والناس حوله ، فقال له : قد لطفتَ لنا ، أصلحك الله ، في قطع قيام شهر رمضان . فلو احتلت لنا في ترك صيامه لكفيتنا مؤونته كلها . فقال له المروزي : اذهبِ عني يا ملعون! وأمر بدفعه . وأمر أبو عبد الله الشيعي وجوه كتامة بدعوة الناس الى مذهبهم من التفضيل لآل عليّ والبراءة ممن سواه ، فدخل في ذلك معهم كثير من الناس ، فلذلك سميت دعوتهم التشريق ، لاتّباعهم رجلاً من أهل المشرق .

ذكر توجه الداعي الى سجلماسة

واجتماعه بعبيد الله الشيعي

ونظر أبو عبد الله في إقامة الجيوش والاستعداد للغزو الى سجلماسة . وكان بها عبيد الله الشيعي وابنه أبو القاسم محبوسين . وكان أبو عبد الله الداعي يدعو الى عبيد الله الشيعي ويزعم أنه الامام من آل عليّ . فلما كمُل له ما أراد من جيوشه وجهازه وعدده وآلات سفره ، استخلف على إفريقية أخاه أبا العباس ، وأبا زاكي تمام بن معارك الاجابي . ثم خرج من رقادة يوم الخميس للنصف من شهر رمضان ، في جموع كالدبى المنتشر ومعه وجوه رجاله وأهل دعوته ، وفيهم ابراهيم بن محمد الشيباني المعروف بأبي اليسر الكاتب ، وزياد بن خلفون المتطبّب مولى بني الأغلب . وغزا معه أحمد بن محمد بن سيرين ، الفقيه بمذهب أهل العراق ، راجلاً ، يرى أنه محتسب للثواب في طلب الامام ؛ وبهذا السبب ولي قضاء مدينة برقة بعد ذلك . فسار أبو عبد الله حتى حلّ بمدينة تاهرت ، فدخلها بالامان ، وقتل بها من الرُستُمية يقظان ابن أبي اليقظان وجماعة أهل بيته ، وبعث برؤوسهم الى أخيه أبي العباس ، وأبي زاكي خليفته برقّادة ، وطوّفت بالقيروان ، ونُصبت على باب مدينة رقادة . وانقضت دولة بني رستم بتاهرت وكان لها مائة وثلاثون سنة .

ثم ولى أبو عبد الله على تاهرت أبا حميد دوّاس بن صُولات اللهيصيّ ، وإبراهيم بن محمد اليماني المعروف بالهوّاريّ ، وكان يُلقب السيد الصغير . ثم نهض حتى احتلّ على مدينة سجلماسة يوم السبت لست خلون من ذي الحجة ، فأحاط بها في جموعه وجيوشه ، وحاربها يوم الاحد لسبع خلون منه ؛ ففتحها في هذا اليوم ، وأخرج منها عبيد الله الشيعي وابنه أبا القاسم ، وكانا محبوسين في غرفة عند مريم بنت مدرار . فلما بصر به أبو عبد الله الشيعيُّ ترجل له وخضع بين يديه وبكى من فرط سروره به . ثم مشى أمامه راجلًا حتى أنزله في الفازة وسلّم اليه الأمر ، وقال لمن معه : هذا مولاي ومولاكم ، قد أنجز الله له وعده ، وأعطاه حقه ، وأظهر أمره . وانتهب أبو عبد الله الشيعي ورجاله سجلماسة ، وأُحرقت . وهرب منها اليَسَع صاحبُها في جماعة من بني عمه ليلًا ، فطلبه أبو عبد الله الشيعي فلم يقدر عليه .

وفيها مات ابراهيم بن عيسى بن محمد بن سليمان بن عبد الله ابن حسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، ودُفن في داره بآرسقوال .

وفيها مات أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سهر بن أبي اسماعيل ، وهو زناتيّ ، في شوال بقلعة ابن حمّة ، بجوفي

مدينة تاهرت، وبها كان مولده ومنشأه ، وصلى عليه موسى بن الفارسي الفقيه ، وهو يوم مات ابن ست وتسعين سنة ، ورحل بكر الى المشرق في سنة ٢١٧ وهو حدث السن ، فسمع من الفقهاء وجلة العلماء ، وكان عالماً بالحديث وتمييز الرجال ، وشاعراً مفلقاً ، ومدح المعتصم ، ووصله بصلات جزيلة ، واجتمع بحبيب وصريع ودِعبل وعلي بن الجهم وغيرهم من شعراء العراق ؛ وله أبيات الى المعتصم يحرّضه فيها على دِعبل :

أيهجو أمير المؤمنين ورهطه ،
ويمشي على الارض العريضة دعبل ؟

أما والذي أرسى ثبيراً مكانه ،
لقد كادت الدنيا لذاك تَزلزلُ

ولكن امير المؤمنين بفضله
يهمُّ فيعفو ، أو يقول فيفعل

فعاتبه حبيب فيه ، وقال له : قتلته ، والله ، يا بكر ! فقال في قصيدته هذه :

وعاتبني فيه حبيب وقال لي :
لسانك محذورٌ ، وسمك يقتلُ

واني ، وان صرّفت في الشعر منطقي ،
لأنصفِ فيما قلت فيه ، وأعدلُ

وفيها مـــات محمد بن الحسن المعروف بابن ورصيد من قسطيلية، وكانت له رحلة وسماع من الفقهاء، ومات محمد بن يزيد الفارسي من اهل القيروان ، له سماع من سحنون ومن ابنه محمد .

وفي سنة ٢٩٧ غدر قوم من البربر يعرفون ببني خـالد باليَسع بن مِدرار واستأمنوا به الى ابي عبد الله الشيعي فأمنهم ، وذلك في مستهل المحرم .

وفيها ولى عبيد الله على مدينة سجلماسة ابراهيم بن غالب المزاتي ، وترك معـه خمسمائة فارس من كتامة ، ورحـل بالعساكر الى افريقية .

وفيها قتل بالقيروان ، في صفر ، ابراهيم بن محمد الضبي المعروف بابن البرذون ، وابو بكر بن هذيل ، الفقيهـان ، وكانت عندهما رواية وآداب وتصرُّف في فنون من العلم. وكان محمد الكلاعي واصحابه على مذهب أهل العراق ، وهو الجائز عند الشيعة لما فيه من الترخيص ، فسعوا بهـمـا الى أبي العبّاس المخطوم ، وذكروا عنهما انهما يطعنـان في الدولة ، ويشوبان عليّ بن ابي طالب بأبي بكر وعمر وعثمان (رضهم) ، فحبسهما المخطوم ، ثم أمر ابن أبي خـنزير بقتلهما ، بعـد ان ضرب ابراهيم بن البرذون خمسمائة سوط ، اذ كان القول فيه

أشنع ، والسعي عليه اعظم ، فغلط ابن أبي خنزير فيهما ، وضرب ابن هذيل ثم قتله، وقتل ابن البرذون دون ان يضربه، وذلك في صفر ، وطيف بهما في سماط القيروان مجرورين مكشوفين ، ثم صلبا بعد ذلك . وكتب أبو العباس الى أخيه بالخبر ، فعنّفه عليه ولامه فيه ، وقال : قد أفسدت علينا من امر البلد واهله ما كانت بنا حاجة الى صلاحه .

وفيها خالف على أبي عبد الله الشيعي محمد بن خزر بن صيلات الزناتي . وأقبل الى مدينة تاهرت وطمع بأخذها واخراج دوّاس بن صولات منها، وان يقطع بأبي عبد الله وبمن معه في انصرافهم من سجلماسة . وباطنه على ذلك قوم من أهل تاهرت يعرفون ببني دلوس ، فاستدعوه ، فوشى بهم الى دواس عامل الموضع ، فحبسهم في حصن بزفجانة المعروف بتاهرت القديمة . وحارب محمد بن خزر تاهرت ، وتغلب على بعض ارباضها . فلما رأى ذلك دوّاس هرب الى ابن حمة صاحب القلعة ، ووثب أهل حصن بزفجانة على بني دلوس عندهم فقتلوهم، ودفع أهل تاهرت محمد بن خزر ، وحاربوه حتى قتلوه ، ثم كاتبوا دوّاس فانصرف اليهم . وولى عبيد الله على مدينة سجلماسة ابراهيم بن غالب المزاتي ، وخلف معه ألفي فارس من كتامة . وتوجّه عبيد الله وأبو عبد الله نحو افريقية ، ومعهم

بنو مدرار واهلهم مكبلين . فلما بلغوا مدينة أرفـــا اتصل بهم خبر محمد بن خزر، فساروا نحوه، فهرب ودخل الرمال . وامر عبيد الله بقتل اليسع بن مدرار ، فقتل ، وهو مريض .

وفيها ثار اهل سجلماسة بابراهيم بن غالب المزاتي عاملهـا ، فقتلوه ومن كان معه من الشيعة ومن كتـامة ، وذلك يوم الاثنين لثلاث خلون من شهر ربيع الاول ، وولوا على انفسهم واسول ابن الامير ابن مدرار .

التعريف بامر سجلماسة من حين ابتدائها

الى هذه السنة المؤرخة

كان ابو القاسم سمغون بن واسول المكناسي صاحب ماشية كثيرة ، ينتجع موضع سجلماسة ويتردد اليها ، وكان براحاً يجتمع الناس فيه من قبائل البربر المجاورين له ، يتسوقون فيه . فاجتمع قوم من الصفرية على ابي القاسم ، وسكنوا معه هنالك في خيمات . ثم شرعوا في البناء في حدود الاربعين ومائة . ثم قدموا على انفسهم عيسى بن يزيد الاسود ، وولوه امرهم . ثم انكروا عليه اشياء ، فأخذوه وشدوا وثاقه ، وربطوه الى شجرة في رأس جبل ، وتركوه حتى مات . ثم ولي ابو القاسم سمغون المتقدم ذكره ، قيل انه ابن واسول ، وقيل : ابن مدلان ، فلم يزل والياً عليهم الى ان مات سنة ١٦٨ .

ثم ولي الياس بن أبي القاسم ، وسمي أبا الوزير ، فبقي سنتين ، وقام عليه أخوه . ثم ولي اخوه اليسع بن سمغون ابن مدلان المكناسيّ في سنة ١٧٠ ، وسُمي بالمنتصر ، وكان جباراً عنيداً ، فظفر بمن عانده من قبائل البربر ، وقهرهم واذلهم وأظهر الصفرية ، وأخذ خمس معادن درعة . وعظم قدره في ذلك الوقت . وموضع سجلماسة قد عُمّر بالديار دون

سور . ثم زاد ملك اليسع المذكور ، وأمر ببناء السور ، أسفله بالحجارة ، واعلاه بالطوب . فقيل ان بناءه كان من ماله ، لم يشاركه فيه احد . فسكن سجلماسة ، وتوفي سنة ٢٠٨ ، فكانت مدّته بها نحو اربع وثلاثين سنة . ثم ولي ابنه مدرار ابن اليسع ، وهو المنتصر بن سمغون المتقدم ذكره ، فلم يزل والياً عليها الى ان اختلف الامر بين ولديه ميمون ، المعروف بابن أروا (وهي أمه ، بنت عبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت) ، وابنه المعروف بابن بقية . فتنازعا في الأمر بينهما ، وتقاتلا ثلاثة اعوام . فمال مدرار والدهما مع أبنه ميمون بن الرستمية ، واخرج اخاه ابن بقية من سجلماسة . فولي ميمون ابن مدرار ، وخلع ابوه له نفسه ، ثم قام عليه أهل سجلماسة فخلعوه ، وأرادوا خلع ابيه وتقديم أخيه ابن بقية ، فأبى ان يتأمر على أبيه ، فأعادوا اباه مدراراً بعد خلعه ، ثم سمع أهل سجلماسة انه استدعى ابنه ابن الرستمية فيمن اطاعه من درعة ، فتوجّهوا الى مدرار وحصروه ، ثم خلعوه ايضاً وقدّموا ابن بقية ، فولي امرهم ، فلم يزل والياً عليها الى ان مات سنة ٢٦٣ . وفي دولته مات ابوه مدرار . ثم ولي اليسع بن ميمون ابن مدرار بن اليسع بن سمغون بن مدلان المكناسيّ في صفر سنة ٢٧٠ ، وتلقّب بالمنتصر على اسم جد له ،

وهو الذي سجن عبيد الله بسجلماسة حين عرف عنه أنه هو الذي قام بدعوته للشيعي . ثم زحف اليه الشيعي من افريقية ، وفر امامه ، وخرج عبيد الله من سجلماسة من سجنه واستولى على المملكة . ثم ظفر به في سنة ٢٩٦ فقتله ، فكانت مدة اليسع بن مدرار المذكور بسجلماسة سبعاً وعشرين سنة . وانقرضت دولة بني مدرار بسجلماسة وما والاها ، فكانت مائة سنة ونحو ستين سنة ؛ فولى عليها الشيعي عامله ، فوثب عليه اهلها فقتلوه ، فكانت مدته بها خمسين يوماً .

ذكر وصول عبيد الله الشيعي الى رقادة

ونبذ من اخباره وما قيل في نسبه

وفيها وصل عبيد الله الى مدينة رقادة ، ومعه ابنه أبو القاسم ، وجعفر بن علي الحاجب ، وأبو الحسن طيّب بن اسماعيل المعروف بالحاضِن . ولقيه الفقهاء ووجوه أهل القيروان فدعوا له ، وهنأوه وأظهروا له السرور بأيامه ، وسألوه تجديد الأمان لهم ، فقال لهم : أنتم آمِنون في أنفسكم وذراريكم . ولم يذكر الأموال ، فعاوده بعضهم ، وسألوه التأمين لهم في الأموال ، فأعرض عنهم ، فخافه أهل العقل من ذلك الوقت. ودخل مدينة رقادة وعليه ثوب خزٍّ أدكن ، وعمامة مثله ، وتحته فرس . وورد وأبو القاسم ابنه خَلْفه ، عليه ثوب خزّ خلوقي ، وعمامة مثله ، وتحته فرس أشقر ، وأبو عبد الله أمام عبيد الله ، وعليه ثوب توتي ، وظهارة كتّان ، وعمامة ، ومنديل إسكندراني ، وتحته فرس كُمَيت ، وبيده سبنية يمسح بها العرق والغبار عن وجهه ، والناس حواليه وبين يديه أقواط يسلّمون عليه . فنزل عبيد الله في القصر المعروف بالصحن ، ونزل ابنه بقصر أبي الفتح . وتسمى عبيد الله بالمهدي .

واختُلف في نسبه : فادَّعى هو أنه عبيد الله بن محمد بن

اسماعيل بن جعفر بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضه) وهو مذهب الحكَم المستنصر بالله الأموي . وقال سائر الناس إنه دعيّ ، وان انتسابه للطالبيّين دعوة باطلة ، وذكروا عن القاسم بن طباطبا العلوي أنه قال : والله الذي لا إله إلا هو ، ما عبيد الله الشيعي منا ، ولا بيننا وبينه نسب . وقال مقاتل : هو عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن البصري . وقد فضح القاضي أبو بكر بن الطيّب الباقلاني نسبه في كتاب كشف الأسرار ، وهتْك الأستار ، وذكر أنهم قرامطة ، وأن أبا عبد الله الشيعي أحدث لهم هذا المذهب ونسبهم هذا النسب.

وحكى بعض المؤرخين أن جعفر بن علي كانت له جارية ، فغشيها رجل من القرامطة ، وقيل من اليهود ، دفعَت له مالاً ، فكان يهواها وتهواه ، وقتلت جعفراً مولاها ، فولدت جدّ عبيد الله هذا . فمن خَفِيَتْ عليه هذه القصة قال إنه علويّ ، ومن علمها علم دعوته وكَذِبه . والله أعلم . هكذا ذكر ابن القطان في نسبه .

ونقش في خاتمه : أفمن يهدي الى الحق احق ان يُتّبع امَّنْ لا يهدي إلاّ أن يُهدى ، فما لكم كيف تحكمون . واستحجب أبا الفضل جعفر بن علي ، وأبا أحمد جعفر بن عبيد ، وأبا الحسن طيّب بن إسماعيل المعروف بالحاضن ، وأبا سعيد

عثمان بن سعيد المعروف بمُسلم السجلماسيّ . واستكتب أبا اليسر ابراهيم بن محمد البغداديّ الشيبانيّ . وولى على بيت المال أبا جعفر الخزريّ ، وعلى ديوان الخراج أبا القاسم بن القديم ، وعلى السكة أبا بكر الفيلسوف المعروف بابن القموديّ ، وعلى العطاء عبدون بن حباسة ، وعلى قضاء مدينة رقادة أفلح بن هارون الملوسيّ . وأقرّ على عمالة القيروان الحسن بن أبي خنزير ، وعلى القضاء بها المروَزيّ . وامر أن تُقلع من المساجد والمآجل والقصور والقناطر أسماء الذين بنوها ، وكَتب عليها اسمه . وأظهر عبيد الله التشيُّع القبيح ، وسبّ أصحاب النبي (صلعم) وأزواجه ، حاشا عليّ بن أبي طالب ، والمقداد بن الاسوَد ، وعمّار بن ياسر ، وسلمان الفارسي ، وأبي ذَرّ الغِفاريّ ، وزعم ان اصحاب النبيّ (عم) ارتدُّوا بعده غير هؤلاء الذين سمّيناهم . ومنع المروَزي الفقهاء أن يفتي أحدُهم إلا بمذهب زعم أنه مذهب جعفر بن محمد ، منه سقوط الحِنْث عمّن طلق بالبتة ، وإحاطة البنات بالميراث ، وأشياء كثيرة يطول ذكرها . ومدحت الشعراء عبيد الله بالكفر ، فاستجازه . وكان فيما مُدح به شعر لمحمد البديل ، كاتب أبي قضاعة ، وفيه :

حلّ برقّادة المسيح ، حلّ بها آدم ونوح
حلّ بها أحمدُ المصفّى ، حلّ بها الكبش والذبيح
حلّ بها الله ذو المعالي ، وكل شيء سواه ريح

لعنه الله ، وغضب عليه ، وأخزى القائل والمقول فيه ! وكانت أيمان كتامة أوّل دخولهم إفريقية : وحقّ عالم الغيب والشهادة مولانا المهدي الذي برقّادة ! حتى كتب بعض أحداث القيروان هذين البيتين ، وتلطفوا في وصولهما الى عبيد الله من حيث لا يعلم ، وهي :

الجورَ قد رضينا ، لا الكفر والحماقه !
يا مدّعي الغيوب ، مَنْ كاتبُ البطاقه ؟

فاشتدّ ذلك عليه لمّا وصل اليه ، وكشف سرّاً عن كاتب ذلك ، فلم يقع له على خبر .

وفيها خالف ببلد كتامة بباب مع قبائل من البربر ، واجتمع اليه عدد عظيم ، فكتب عبيد الله الى من تمسك بطاعته من كتامة يأمرهم بمحاربتهم ، فقُتل أكثرهم ، وأُخذ بباب أسيراً وقرىء كتاب الفتح بمدينة القيروان . ورجعت قبيلة زناتة الى تاهرت ، وحاصروا دوّاس بن صولات فيها ، فأخرج اليهم عبيد الله قائداً يعرف بشيخ المشايخ ، فهزم زناتة ، وقتل كثيراً منها .

وفيها خرج أبو القاسم يوم الفطر الى المصلّى بمدينة رقادة ، وصلى بالناس وخطبهم ، وخرج معه أبو عبد الله الشيعي وجماعة قوّاد كتامة ، وهو أوّل عيد صلى فيه بإفريقية ، وقُرىء بذلك كتاب عبيد الله على منبر القيروان وأعمالها .

وفيها خرج أبو عبد الله الشيعي مع جماعة من قواد كتامة ودعاتهم الى أرض المغرب ، لما ظهر فيه من الالتياث ، وفساد الطرق ، وقيام القبائل على عمالهم ، فافتتح المدن وقتل وسبى . ووردت له كتب كثيرة بالفتوح ، فقرئت بافريقية .

وفيها مات جبلة بن حمود بن جبلة الصدفيّ ، مولى الامام عثمان بن عفان (رضه) ، وكان فقيهاً زاهداً ، من رجال سحنون وممن نبذ الدنيا وتركها ، وكان أبوه من خدمة السلطان وأهل الأموال ، فنابذه في حياته ، ثم تبرّأ من تركته بعد وفاته ، وكانت تركته نحو ثمانية آلاف مثقال .

وفيها مات دعامة بن محمد الفقيه ، وكان من رجال سحنون وولي القضاء بصقلية في أيام بني الأغلب .

وفيها مات محمد بن عبدون القاضي ، وأحمد بن محمد بن الأغلب التميميّ ، وعبد الله بن أبي المنهال .

وفيها صلى أبو القاسم يوم الأضحى بالناس ، وخطب ، وقُرىء بذلك كتاب عبيد الله بالقيروان .

وفيها مات محمد بن خالد القيسيّ المعروف بابن الطرزي ، وكان من رجال سحنون ، ومات أبو السُّميدع المؤدّب النحويّ .

وفيها قُتل بمدينة رقادة أحمد بن يحيى بن طيّب المُتطبّب الفقيه بقول أهل العراق .

وفي هذه السنة وصل أبو عبد الله الشيعيُّ الى مدينة تنس ونزل بالموضع المعروف بالثور ، وذلك يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي الحجة ، فجمع الى نفسه وجوه كتامة ، وتكلم معهم في أمر عبيد الله ، وعمل معهم على خلعه ، وقال لهم : إن أفعاله ليست تشبه أفعال المهديّ الذي كنت أدعو اليه . وأخشى أن اكون قد غلِطتُ فيه ، وعرض لي ما عرض لابراهيم الخليل (عم) إذ جنَّ عليه الليل ، فرأى كوكباً ، فقال : هذا ربي . ويجب عليَّ وعليكم امتحانه وكشفه عن العلامات الموجودة في الامام ، المعروفة عند النقباء . وزعم لهم بان الرواية أتت أن بين كتفي المهديّ مكتوباً : المهديُّ رسول الله ، كما بين كتفي النبي (صلعم) خاتم النبوَّة ، وأن المهديّ يأتي بالآيات البيِّنات ، ويطبع بخاتمه في الجندل . فعقد مع جماعة كتامة على امتحانه إذا انصرفوا نحوه الى رقادة ، ودخل معهم في هذا العقد غرويه بن يوسف ، وتعاهدوا على ذلك .

وفي سنة ٢٩٨ تجوَّل أبو عبد الله الشيعي في بلاد البربر ، وحارب صدينة وزناتة ، وقتل الرجال وأخذ الأموال وسبى الذرّية ، وأحرق بعض المدن بالنار ، و كتب بالفتوحات الى عبيد الله ، فقُرئت كتبه على الناس . ثم قفل أبو عبد الله الى مدينة رقادة ، بعد أن تجوَّل بالغرب شهوراً كثيرة . فلما

توصل ابو عبد الله الى مدينة رقادة أخبر غرويه بن يوسف عبيد الله الشيعي بما كان من أبي عبد الله في جانبه وقت وصوله الى مدينة تندَس ، وما عمل عليه مع جماعة كتامة من خلعه ، فالتزم عبيد الله الاحتراس منه في شرّ أمره .

وفيها ولي أبو جعفر البغدادي ديوان الكشف ، مشتركاً مع عمران بن أبي خالد بن أبي سلام .

وفيها مات من الفقهاء المدنيّين ، من أصحاب سحنون ، يحيى بن عون بن يوسف ، وعبد الله بن الوليد المعروف بابن الفندقي ، وكان فقيهاً من أهل الانقباض والخير .

وفيها مات أبو اليسر ابراهيم بن محمد الشيباني البغدادي المعروف بالرياضي ، يوم الأحد لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى ، ودفن بباب سالم ، وكان ظريفاً ، أديباً ، مرسلاً ، شاعراً ، حسَن التأليف ، وقدم الأندلس على الامام محمد بن عبد الرحمن، رحمه الله ، بكتاب اخترقه اليه على ألسنة أهل الشام ، فتقبّله الامام محمد وأنزله ، ووسّع عليه ووصله ، واطُّلِع على أنّ الكتاب مخترق مصنوع ، فلما أراد أبو اليسر الانصراف دُفع اليه كتاب مختوم ، جواباً عن كتاب أهل الشام فيما أرى . فلما جاز البحر فكّ أبو اليسر الكتاب ليقرأه ، فاذا هو بياض ، ليس فيه إلا : بسم

الله الرحمن الرحيم . فعلم أن تمويهه لم يجُزْ ، وأن الذي أعطى وحبا عن تكرم وفضل وعَظُم في عينه ملوك الأندلس ورجاله، وحدّث بما عرض له ، وعجب الناس منه . وكتب أبو اليسر لبني الأغلب حتى انصرمت أيامهم ، ثم كتب لعبيد الله حتى مات . وله مؤلفات حسان في فنون من العلم ، ومُسنَد في الحديث ، وكتاب في القرآن سمّاه سراج الهدى . وله كتاب لقيط المرجان ، ورسالة الوحيدة والمؤنِسة ، و قُطب الأدب ، وغير ذلك من الأوضاع . وفيها استكتب عبيد الله أبا جعفر محمد بن أحمد بن أحمد بن هارون البغداديّ ، بعد أبي اليسر ، وقرّبه وأدناه ، واستعان به على أمر ابي عبد الله وابي العباس وجماعة كتامة ، فكان منه في ذلك رأي جميل ونفع عظيم . وكان أبو جعفر ذا دهاء وفهم حسن ، ودخل الأندلس في أيام الامام عبد الله، رحمه الله، فصحب الناس وجالس أهل الأدب، وكان بعد ذلك يحافظ من جاز بـه ، قاصداً الى الحجّ ، من خلطائه بقرطبة ، ويكرمهم .

وفيها خالفت هوّارة باطرابلس ، وقدّموا على أنفسهم أبا هارون الهوّاريّ ، وزحف أيضاً جماعة من زناتة ولماية وغيرهم من القبائل الى مدينة إطرابلس محاصرين لأهلها ، فأخرج اليهم عبيدالله الشيعيّ أبا زاكي تمام بن مُعارك الاجابي ، وكان يذهب

مذهب أبي عبد الله في الغـدر بعبيد الله والخلع له . فأراد أن يبعده لمـا كان يحاوله عبيد الله من قتل أبي عبد الله ، وجيَّش مع أبي زاكي جيشاً عظيماً ، فحاربهم أبو زاكي حتى هزمهم وفرق جموعهم وقتـل كثيراً منهم ، وبعث برؤوس كثيرة وآذان مقرطة لمن قتل ، فنُصبت برقادة .

ذكر قتل عبيد الله الشيعي

لأبي عبد الله الشيعي وابي زاكي

ثم انّ عبيد الله كتب الى ماقنون بن دبّارة الاجابي عامله باطرابلس ، يأمره بقتل أبي زاكي تمام بن معارك الاجابي على بنيةٍ بناها ونيّةٍ نواها في قتله وقتل أبي عبد الله الشيعيّ بعده . فبعث عامل إطرابلس في أبي زاكي ، وكان عمه ، ثمّ عرض عليه كتاب عبيد الله اليه يأمره بقتله .

فلما قرأه أبو زاكي قال له : يا عمّ ، نفّذ ما أُمِرْتَ به . فقدّمه فضرب عنقه ، وكتب الى عبيد الله بخبر قتله مع حمام وصل الى رقادة من ساعته ، وذلك يوم الثلاثاء غرّة ذي الحجة سنة ٢٩٨ . فلما وصل الخبر الى عبيد الله الشيعي أمر غرويه ابن يوسف الملوسي ، وجبر بن نماسِب الميلي أن يكمنا خلف قصر الصحن ، فإذا مرّ بهما أبو عبد الله الشيعي وأخوه أبو العباس ، طعنوهما بالرماح حتى يموتا . فكمنا هما هناك مع جماعة من كتامة . وبعث عبيد الله في أبي عبد الله وابي العباس ليحضُرا طعامه على جاري عادتهما معه . فلما مرّا بالموضع الذي فيه الكمين حملوا عليهما ، فصاح أبو عبد الله بغرويه : لا تفعل يا ولدي . فقال له غرويه : أمرني بقتلك من أمرتني

بطاعته ، وانخلعتْ له من الملك بعد توطئته . ثم طعنه بيده طعنة واحدة خرّ منها ميتاً ، ووقعت في أبي العباس تسع عشرة طعنة ، وذلك يوم الثلاثاء وقت الزوال ، مستهل ذي الحجة . ومكثا صريعين على صف الحفير المعروف بالبحر الى بعد الظهر ، ثم أمر عبيد الله بدفنهما ، فدفنا في الجنان ، وقال: رحمك الله أبا عبد الله ، وجازاك في الآخرة بقديم سعيك . ولا رحمك الله أبا العباس فانك صددته عن السبيل ، وأوردته موارد الهلاك . ثم قرأ : ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً ، فهو له قرين ، وانهم ليصدّونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون . وكتب الى الشيعة بالمشرق في أمرهما : اما بعد ، فقد علمتم محلّ أبي عبد الله وأبي العباس من الاسلام ، فاستزلهما الشيطان ، فطهرتهما بالسيف ، والسلام .

وحدّث الثقة أن أبا عبد الله نام يوماً بحضرة أصحابه ، وعنده جماعة من دعاة كتامة ، فتحرك في نومه ، فانكشفت سوءَته ، فنظر بعضهم الى بعض ، ولم يقدموا أن يستروه . فمدّ غرويه ابن يوسف يده الى الملحفة التي كانت عليه ، فستره بها . وانتبه أبو عبد الله ، فقال : من سترني إذا انكشفت ؟ فقالوا له : غرويه . فقال : هو والله قاتلي ! فجعل غرويه يبكي بين يديه ، ويقول له : يا سيدي ، مُرْ بقتلي . فقال له : لا سبيل الى ذلك ، لكنك والله قاتلي . فكان الأمر كما ذكر .

واحتجب عبيد الله عن كتامة أياماً ، ثم أمّنهم وأدخلهم على نفسه مفترقين على حذَر منهم ، ثم عمل في قتل جماعة منهم فقتلهم بأصناف من القتل .

وفيها خرج سي ابن دوقان ورجاء بن أبي قنّة الى لواتة في عسكر ضخم ، فقتلوهم وغنموا أموالهم وسبوا ذراريهم ، وقرىء بذلك كتاب عبيد الله بالقيروان وأعمالها .

وفي سنة ٢٩٩ أخرج عبيد الله الى المغرب جماعة من قواده لمحاربة زناتة في عساكر عظيمة ، فكانت بينهم وبين زناتة وقعة عظيمة بموضع يعرف بفلك مديك ، قُتل فيها من زناتة عدد لا يحصى .

وفيها فُتحت مدينة تاهرت ، وكان أهلها قد ثاروا على دوّاس عاملها ، وأرادوا قتله ، فهرب منها الى تاهرت القديمة وتحصن بها . وقُتل فيها أكثر أصحابه ، وكانوا في نحو ألف فارس . واستدعوا محمد بن خزر ، فقدم عليهم ، وأدخلوه البلد وولوه ، وبرزوا اليه بأم دوّاس وعياله وأكثر سلاحه ، ثم خذلوه وخذلهم ، فزال عنهم وانصرف الى موضعه . ثم أخرج عبيد الله العساكر الى تاهرت في اعداد عظيمة وخلق لا يحصى كثرة ، فنزلت عليها يوم الجمعة لانسلاخ المحرم ، وحورب اهلها ثلاثة ايام ، ثم أخذوا بالكيد ، ودخلت العساكر

تاهرت يوم الثلاثاء لأربع خلون من صفر ، فقتلوا الرجال ، وسبوا النساء والذرية ، وانتهبوا الاموال ، وحرقوها بالنار . وبلغ عدد القتلى بها ثمانية آلاف رجل . ثم ولى عبيد الله تاهرت مصالة بن حبوس بن منازل بن بهلول المكناسي . وانصرف دواس بن صولات الى مدينة رقادة ؛ وقتله عبيد الله بعد ذلك .

وفيها كانت بالقيروان زلازل وهدات ، وخسف بقرية في الساحل تعرف بالباس .

وفيها كانت وقعة كتامة بالقيروان يوم الثلاثاء لعشر بقين من شعبان ، فقتل منهم في الازقة والاسواق أكثر من الف رجل ، وذلك ان كتامة كانوا يسألون عبيد الله ان يطلق ايديهم على نهب القيروان ، فكان يسوفهم في ذلك ، ويعلق اطماعهم به ، وهم يتحاملون على اهل القيروان بالتطاول والاذى ، حتى شرق الناس بهم ، فقاموا عليهم في بعض الايام بسبب استطالة رجل من جند كتامة على رجل من تجار القيروان . فلما دافعوه عنه شهروا عليهم السلاح وارادوا نهب الحوانيت ، فصاح اهل الاسواق : النفير ، النفير ! فقتل من كتامة أكثر من الف رجل . وركب احمد بن ابي خنزير ، صاحب مدينة القيروان ، فسكن الناس وامر بتغييب القتلى ، فطُرحوا في

المراحيض . ولحق من كان حوالى رقادة من كتامة ببلادهم واظهروا الخلاف على عبيد الله ، وقدموا على انفسهم حدثاً يعرف بالمارطي ، واسمه كادو بن معارك ، وجعلوه قبلة يصلون اليها ، وكتبوا كتاباً فيه شريعة زعموا انها أُنزلت على عبد الله ، وزعموا انه المهدي المنتظر ، فتغلب على جميع الزاب ، وقوي أمره ، واشتدّت شوكته . فأخرج اليه عبيد الله قواداً حاربوهم ، وهرب اليهم أحد القواد ، وهو صولات ابن جندة، في نحو مائتي رجل. ثم أخرج عبيد الله ابنه أبا القاسم الى بلد كتامة لمحاربة المارطيّ ، ففصل من رقادة يوم السبت لخمس بقين من شهر رمضان ، فافتتح مدينة القسطنطينة من أرض كتامة وغيرها . وكانت له على المارطيّ وقائع . وهرب من قوّاد أبي القاسم الى المارطي رجال ؛ ثم آمنهم أبو القاسم ولاطفهم حتى انصرفوا اليه .

وفيها قتل بالقيروان قوم اتهموا بالميل مع أبي عبد الله الشيعي ، إذ نوى الغدر بعبيد الله ، منهم محمد بن أبي سعيد الميلي صاحب السوق ، وعبد الله بن محمد المعروف بابن القديم ، ومحمد بن أبي رجّال البغائي ، وابو الوهب بن عمرو بن زرارة العبدري ، وجماعة من بني الأغلب وقوادهم .

وقتل أبو ابراهيم المعروف بابن البجاوي القرشي الفهري ، وهو القائم على ابراهيم بن أحمد بن الأغلب مع أهل تونس .

وفيها ولد أبو الطاهر اسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله الشيعي وولي افريقية سبع سنين .

وفيها مات زيادة الله بن عبدالله بن ابراهيم بن أحمد بن الأغلب الهارب من افريقية الى مصر ؛ ودفن ببيت المقدس . وكان ، لما فرّ عن القيروان بعياله وماله والف صقلبي ، ترك جارية ، فغنّت له ، محركة على حمل نفسها :

لم أنس يوم الوداع موقِفَنا، وجفنها ، في دموعها ، غرقُ
وقولها ، والركاب واقفة : تتركني سيدي وتنطلق !

فحط حمل مالٍ ، وحملها في مكانه ، كذا قال الطبري . فاما عريب فقال : انه دمعت عيناه ، واشتغل عنها بما هو فيه ، فتركها . ووصل الى مصر ، فبقي عند عيسى النوشري صاحبها ثمانية أيام ، ورحل الى الرقة ، فمنع الدخول الى بغداد وأُمر بالانصراف الى مصر ، فسمه بعض عبيده .

وفيها مات من الفقهاء المدنيين ، واهل العلم باللغة والنحو وفصاحة اللسان ، عبد الله بن محمد التميمي المعروف بالبيدي وهو من ولد عبّاد بن كثير ، مات ابن سبع وثمانين سنة .

وفي سنة ٣٠٠ خالف اهل مدينة اطرابلس على عبيد الله الشيعي ، اذ كان قد استعمل عليهم ماقنون بن دبّارة الاجاني فبسط أيدي بني عمه من كتامة على الناس ، وتطاولوا الى

الحرم ، فتحرك السواد ، ومدوا ايديهم الى من لقوا من كتامة فقتلوهم . وهرب ماقنون واغلق اهل اطرابلس ابواب المدينة، وقتلوا من كان داخلها من كتامة ، وقدموا على انفسهم محمد ابن أسحاق المعروف بابن القرلين ، ولحق ماقنون بعبيد الله فاخرج اليهم جيشاً وحاربهم شهوراً .

وفيها صدر ابو القاسم الشيعي من بلد كتامة الى رقادة ، ومعه المارطي مع اصحابه أسرى ، فطوفوا بالقيروان على الجمال ، وعليهم القلانس الطوال المشهرة بالقرون والمصافع ، فقتلوا بمدينة رقادة .

وفيها خالفت جزيرة صقلية ، وثاروا بالحسن وعلي ابني احمد بن ابي خنزير العاملين عليها ، وطردوهما ، وانتهبوا دورهما . واراد اهل صقلية أن يقدموا على انفسهم احمد بن زيادة الله بن قرهب ، فامتنع عليهم وهرب منهم وتوارى عنهم في غار ، فاجتمع وجوه أهل البلد اليه وسألوه التأمّر عليهم ، واوثقوه من انفسهم أنهم لا يخذلونه . فتولى امرهم وكتب الى المقتدر ببغداد بان يكون داعياً له ، وقائماً بامره بجزيرة صقلية ، فانفذ المقتدر ذلك له ، وبعث اليه بالوية سود، وخلع سود ، وطوق ذهب ، ووصل ذلك الى احمد بن زيادة الله بن قرهب ، فسر به ، واظهر الحزم والجد في امره .

وفيها خرج أبو القاسم بن عبيد الله لمحاربة إطرابلس . وفصل من رقادة يوم الأحد لليلتين خلتا من جمادى الأولى . ووجّه اليها عبيد الله في البحر خمسة عشر مركباً حربية . فلما وصلت الى اطرابلس أخرجوا اليها مراكبهم ، فحرّقوا الاسطول ، وقتلوا من فيه . وسار أبو القاسم في البر نحو اطرابلس ، فاوقع بأهل هوارة ، ثم نزل على اطرابلس ، فحاربها وحاصرها حتى أكلوا الميتة ، فرغبوا الى أبي القاسم في الأمان ، فأمنهم إلا ثلاث أنفس اشترط التحكم فيهم ، وهم: محمد بن إسحاق القرشي ، ومحمد بن نصر ، ورجل يعرف بالحوحجه . فدخل اطرابلس وتحكم فيها . ثم قفل بالعسكر الى رقادة ، وبين يديه الثلاثة الذين تقدم ذكرهم ، فطوفوا بالقيروان على الجمال بالقلانس ، ثم قتلوا .

وفيها قتل أبو القاسم بمدينة إطرابلس ، عند افتتاحه لها ، من كان معه من بني الأغلب وقوادهم .

وفيها خرج عبيد الله من مدينة رقادة الى تونس وقرطاجنة ونواحي البحر ، يرتاد موضعاً ليتخذه دار مملكته . فوقع اختياره على جزيرة جمّة ، فابتدأ بنيانها ، وهي التي تسمى المهدية .

وفيها ولي أبو جعفر محمد بن أحمد بن هارون البغدادي ديوان البريد ، فلم يزل يتولى ذلك الى ان هلك .

وفيها قتل بالقيروان محمد بن أبي أيوب المعروف بأبي العاهة ، وكان ممن رفع عليه أنه يحاول القيام على عبيد الله ، فاختفى ، وهدمت بسببه دور ، ثم خرج بنصيحة أظهرها لعبيد الله في اهل القيروان ، فغفل عنه أياماً ، ثم قتله .

وفيها قتل من التجار أبناء الأندلسيين بالقيروان أبو جعفر ابن حبرون ، صاحب المسجد الشريف والفنادق المجاورة للسجن ، بسعي كان للقاضي المروزي عليه ، وشهادة شهد بها أن قبله وديعة كبيرة ، فطولب بها ، وعذّب حتى مات .

وفي سنة ٣٠١ أخرج عبيد الله الشيعي حباسة بن يوسف بالجيوش الى المشرق ، فدخل مدينة سرت بالأمان ، وهرب من كان فيها من جند بني العباس ، وقرىء بذلك كتاب في الجوامع بإفريقية . ودخل حباسة مدينة أجدابية بالأمان أيضاً . وهرب من كان فيها لبني العباس . ودخل مدينة برقة . وكان عبيد الله يمدّ حباسة بن يوسف بالجيوش ، فكلما دخل مدينة قتل أهلها وأخذ أموالهم وعاث فيهم وتعلل على أهل العافية منهم ، حتى لقد أخذ ببرقة جماعة كانوا يلعبون بالحمام ، فأضرم لهم ناراً ، وأجلسهم حواليها ، وأمر بأن تقطع لحومهم وتشوى ثم يطعمونها ، وقذفهم بعد ذلك في النار ، وقال : إن هذه الحمام كانت تأتيهم بالأخبار من قبل بني العباس . وبرّح ببرقة

من أراد العطاء والرزق الواسع فليأتِ . فاكتتب عنده جماعة ، وأمر العرفاء من كتامة بأن يعرفوهم بأعيانهم ، ويرقب كل واحد منهم رجلاً من اولئك المكتتبين عنده ، ثم أمرهم أن يحضروا بالغداة لأخذ الأرزاق . فلما حضروا قتل جميعهم ، وكانوا نحواً من ألف رجل ، فأمر بجمع جثثهم ، ووضع عليها كرسيّاً وجلس فوقه ، ثم أدخل وجوه أهل البلد ، فنظروا الى ما هالهم من كثرة القتلى ، ومات منهم ثلاثة من الخوف والرعب . فلما مثل أهل البلد بين يديه سبَّهم ، وقال : إن لم تحضروني غداً مائة ألف مثقال ، قتلتُكم أجمعين . فأحضروه إياها . ووردت على حباسة عساكر عظيمة من مصر لمحاربته ، فدارت بينهم حرب عظيمة كانت فيها ردعات على حباسة ، ثم انهزمت جيوش مصر ، واتبعهم حباسة وقتل كثيراً منهم .

وفيها قتل حباسة بن يوسف حارثاً ونزاراً ابنَي حمّال المزاتي ، في نفر من ابنائهم وبني عمّهم ، بمدينة برقة ، وباع نساءهم ، واخذ جميع أموالهم ، إذ كان عبيد الله الشيعي قد خطر بهم في حين قدومه من مصر ، فادّعى أنهم سرقوا له حمل مال ومتاع . فلما طالب ذلك عندهم قام اليه رجل منهم فشتمه ولطمه ، فكان ذلك سببَ قتل حُباسة لهم ، على ما أمره به عبيد الله وحدّه له . ثم ان اهل برقة كتبوا الى عبيد الله بما دار عليهم

من حُباسة ، وقتله رجالهم ، وتشتيته نساءهم، وأخذه أموالهم ؛ فجاوبهم يعتذر اليهم ، ويحلف أنه مـا أمر بشيء مما ذكروه إلا في النفر الثلاثة . وكتب الى حُباسة يأمره بالرحيـل عنهم ، فتوجه بالعساكر نحو مصر ، فنزل بخيل معه ، وحارب الحصون التي تجاوره حتى أخذهـا ، وقتل أهلهـا وأخذ أموالهم وسبى ذراريهم .

خروج أبي القاسم الشيعي لمحاربة مصر

وفيها خرج أبو القاسم بن عبيد الله من مدينة رقادة ، غازياً الى مصر في حشود عظيمة .

وفيهـــا أحرق محمد بن أحمد بن زيادة الله بن قـُرهب أسطول عبيد الله الشيعيّ بمرسى لمطة ، وقتل قائده الحسن بن أحمد بن أبي خنزير ، قتله محمد بن قُرهب ذبحاً بيده ، وقطع يديه ورجليه ، وأسر من أصحابـه نحو ستمائة رجـل ، وأحرق جميع الأسطول . وبلغ عبيد الله ذلك ، فبعث جيشاً للمدافعة عن الأسطول ، إذ ظن أنه لم يحرق . فخرج أصحاب ابن قرهب اليهم ، وقاتلوهم حتى هزموهم ، وغنموا ما كان في العسكر .

وفيها مات بالقيروان أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن الحسن البصريّ القُرَشيّ .

وفيها مات بقصر الطوب، وهو موضع رباط بجانب سوسة، أبو يونس الزاهد ، ونفر أهل القيروان لشهود جنازته .

وفي سنة ٣٠٢ دخل ابو القاسم بن عبيد الله الشيعيّ مدينة الاسكندرية ومعه حباسة القـائد ، فألفاها خالية ، قد هرب أهلها في البحر بما خفّ من أموالهم ، وأسلموا سائر أثقالهم . فاحتوى أبو القـاسم وحباسة على جميـع ذلك . ووصل أبو

القاسم الى الفيّوم ، فعسكر بها حتى قدم مؤنس الفتى من العراق لمحاربته . ثم ان حباسة بن يوسف هرب من مصر الى أرض المغرب ، وكان سبب هربه أنّ أبا القاسم بعث اليه من الفيُّوم أبا فريدن (?) القائد ، وأمره أن يستخلفه على الجيوش ويلحق حباسة به في الفيوم ، فأغضبه ذلك وقال : لمّا أشرفت على أخذ البلد ، يفوز أبو فريدن بخيره وذكره . فركب حباسة في نحو ثلاثين فارساً من بني عمه ، وخرج هارباً الى جهة المغرب .

فكتب أبو القاسم الى عمّال الطريق بخبره ، وأمرهم بارتصاده وأخذه إن مرّ بهم . وكتب الى أبيه عبيد الله بذلك . ونزل مؤنس الفتى مصر يوم الاثنين للنصف من شهر رمضان ، فرحل أبو القاسم من الفيوم ، منصرفاً الى افريقية بما خفّ من الأموال والكسي والسلاح . فضربت جيوش مصر في ساقته ، فأخذت مضاربه وسلاحاً كثيراً وأثاثاً . ووصل حباسة الى حوز برقة ، ثم الى نفزاوة ، فعثر عليه وعلى أصحابه ، فهرب اصحابه ، وأُخذ حباسة وقيّد وحمِل الى عبيد الله ، فحبسه ، وحبس جميع اهله .

وفيها حاول غرويه الهرب من تاهرت ، إذ بلغه خبر حباسة وهربه ، وقيل إنّ حباسة كاتبه ، وانه كان يرجو اللحاق به

والاعتصام بكونه معه . فلما أُخذ حباسة نفر غرويه وخاف فهرب بماله . فظُفر به بجبل أوراس ، فقتل وبعث برأسه الى عبيد الله . فلما وصل الرأس اليه ، وعلم التواطؤ الذي كان بين حباسة وبين غرويه ، أمر بقتل حباسة وجميع قرابته ، فأخرجوا من السجن ، وقطعت رؤوسهم ، وكتبت أسماؤهم في بطائق ، وعلّقت من آذانهم ، وأُدخلت الى عبيد الله ، فنظر اليها والى رأسَي حباسة وغرويه فيها فقال : ما أعجب أمور الدنيا ! هذه الرؤوس ضاق بها المشرق والمغرب، وحملتها هذه القفة . وأمر بطرحها بجامع الاسكندرية سرّاً .

وفي هذه السنة مات سعيد بن محمد بن صُبيح الغساني الفقيه ، وكان قد صحب سحنون بن سعيد وحمل عنه علمه .

وفيها خالفت مدينة برقة ، وكان أبو القاسم ، لما مرَّ بهم في انصرافه من مصر ، قد هنأوه بالسلامة ، فزعم لهم أنه إنما كان طلب حباسة ليعاقبه على فعله بهم ، وأمرهم ببنيان ثلم مدينتهم ، واستخلف عليهم رجالاً من كتامة . فلما ولى عنهم أبو القاسم ، وعلموا الحال التي انصرف عليها من مصر ، بدر الغوغاء الى من كان خلف عندهم من كتامة ، فقتلوهم . ووصل أبو القاسم الى مدينة رقادة منصرفه عن الفيُّوم يوم الأحد لعشر خلون من ذي القعدة .

وفي سنة ٣٠٣ مات زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب بالرملة ، وترك من المال ، فيما ذكر من كان بحضرته ، ألف مثقال من ضرب سكته . وكان بافريقية وما والاها في هذا العام وباء كثير ، فمات بها من قريش القيروان أبو المصعب ابن زرارة العبدريّ . ومات حماس القاضي ابن مروان بن سماك الهمداني ، وكان فقيهاً زاهداً ورِعاً . ومات محمد بن عبّاد السوسيّ . ومات خلف بن معمر بن منصور من الفقهاء العراقيين ، وكان يروي عن أبيه ، عن أسد بن الفرات ، وكان قد تشرق أول دخول الشيعة افريقية ، ليعتصم بذلك من مطالبة الشيعة لولده بمال كان غمس يده فيه عند هرب زيادة الله من رقادة ، وكان والده معمر بن منصور قد سمع من ابن فَرُّوخ ، ومن أسد بن الفرات ، وكان أصحّ أصحابه سماعاً عنه ، وكان معمر يقول بتحليل المُسكر ما لم يُسكر منه .

وفيها مات القاضي المروزي ، وهو محمد بن عمر ، في العذاب برقادة ، ودُفن بباب سالم ليلاً ، وطولب أهل القيروان بماله ، فامتحن بذلك جماعة من وجوه أهل القيروان وفضلائهم وتجارهم .

وفيها أخرج عبيد الله الجيوش الى مدينة برقة مع أبي مدين ابن فروخ اللهيصيّ .

وفيها ولى عبيد الله بافريقية الخراج أبا معمر عمران بن أحمد ابن عبد الله بن أبي محرز القاضي، فتولى بوظيف التقسيط على ضياع افريقيـة ، بعد ان وزّع جميعها، ونظر الى اوفر مال ارتفع من العشور في سنة وأقلّه ، ثم جمـع المالَين ووظف الشطر على كل ضيعة .

وفيها اضطرب أمر جزيرة صقلية على ابن قرهب ، وأجمع بعضهم على خلعـه ، وكاتبوا عبيد الله في أمره ، فـداراهم ابن قرهب ، وذكّرهم بأيمانهم له ، فلم يلبّن ذلك منهم ، حتى صارت بسببه فتنة بصقلية من طائفة كانت معه وطائفة كانت عليه . فأراد ابن قرهب جواز البحر الى الأندلس ، واكترى مراكب وشحن فيهـا متاعاً كثيراً . فحال أهل صقلية بينه وبـين ما أراد ، وانتهبوا ما كان له في تلـك المراكب ، وأسروا ابن قرهب وابنــه وقاضيه المعروف بابن الخـامي ، وقيّدوا أجمعين وبُعثوا الى عبيد الله . وكتب أهل جزيرة صقلية أن يوجّه اليهم عاملاً وقاضياً ، وانهم لا يحتاجون الى رجـال ولا مدد ، واشترطوا في كتابهم اليه اشتراطاً اغضبه عليهم ، وأغراه بهم ، وحرّك منـه لمحاصرتهم ، على مـا سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى .

وفي سنة ٣٠٤ في المحرّم منها وصل ابن قرهب وأصحابه

الى مدينة سوسة مصفَّدين في الحديد . وكان عبيد الله الشيعي بها . فأوصل ابن قرهب الى نفسه وقال له : ما حملك على الخلاف علينا وجحد حقّنا ؟ فقال له : أهل صقلية ولّوني وأنا كاره ، وخلعوني وأنا كاره . فانصرف عبيد الله بهم الى رقادة وأمر بابن قرهب وأصحابه ، فضُربوا بالسياط ، وقُطعت أيديهم وأرجلهم على قبر الحسن بن أبي خنزير بباب سالم ، وصلبوا هناك .

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة كمل سور المهديَّة ونُصبت أبوابها .

وفيها اخرج عبيد الله الجيوش والأساطيل الى صقلية ، وقدّم عليها أبا سعيد المعروف بالضيف . فحاصرهم شهوراً ، وقتل منهم جُمَلًا ، وأجال كتامة على من ألفى في أرباض المدينة من النساء والذريّة ، فعبث بهم ، وافترع الجواري الأبكار . وكتب أبو سعيد الضيف الى عبيد الله بالفتح فيهم ، فأمدّه بمراكب ورجال كثيرة . فلما رأى ذلك أهل صقلية رغبوا اليه في الأمان، على أن يدفعوا اليه مَن كان شايع في ما أحدثوه . فأمّنهم ، وهدم سور المدينة ، وأخذ سلاحهم وخيلهم ورفيعهم ، وفرض عليهم مغرماً ، وبعث بمن أُخذ منهم الى عبيد الله في مراكب فانكفأ بهم في البحر . وولى أبو سعيد الضيف على جزيرة صقلية

سالم بن أبي راشد ، وأبقى معه جماعة من كتامة ، وانصرف الى القيروان .

وفي هذه السنة فُتحت مدينة برقة على يدي أبي مدْين الموجه اليهم بعد أن أفنت الحرب اكثر أهلها مدة ثمانية عشر شهراً ، حوصروا فيها ، وأُحرق قوم منهم بالنار ، واستصفى أبو مدْين أموالهم ، وبعث بجماعة منهم الى عبيد الله ، فأمر بقتلهم .

وفيها مات محمد بن أسود بن شُعيب القاضي الصديني ّ .

وفيها مات ميمون بن عمر الفقيه ، ومحمد بن أحمد الصدفي ّ الزاهد .

وفيها خرج مصالة بن حبوس من تاهرت لمحاربة سعيد بن صالح بن سعيد بن إدريس ، صاحب نكور ، فدارت بينهم حروب كثيرة .

وفي سنة ٣٠٥ افتتح مصالة بن حبوس ، قائد عبيد الله الشيعي ّ ، مدينة نكور ، وقتل بها سعيد بن صالح رئيسها ، وذلك يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم . وانتهب مصالة مدينة نكور ، وسبى النساء والذرّية ، ثم انصرف الى تاهرت ، وكتب بالفتح الى عبيد الله ، وبعث اليه برأس سعيد بن صالح ورؤوس أصحابه ، فطوّفت بالقيروان . ثم ان بني صالح

خرجوا فارّين بأنفسهم الى الأندلس ، معتصمين بما تناهى اليهم من فضل أمير المؤمنين الناصر (رضه) وحسن مذهبه في كل نازع اليه ومعتصم به ؛ فنزلوا بمرسى مالقة ، وعهد بانزالهم والتوسع عليهم ، وبعث اليهم بضروب الكسوة وكل ما احتاجوا اليه من المرافق ، وخُيِّروا في القدوم الى قرار السلطان أو المقام في ذلك المكان ، فاختاروا المقام على برّه وحبائه .
وكان مصالة قد استخلف على نكور رجلاً يقال له ذلول ، وانصرف الى تاهرت ، فافترق عن ذلول من كان معه ، وبقي في فلّ من المشارقة . فقصده صالح بن سعيد بن صالح من مرسى مالقة ، فقتله وقتل أصحابه ولزم نكور ، وهادى أمير المؤمنين بالخيل والجمال .

تلخيص اخبار امراء مدينة نكور

من حين بنائها على الجملة الى هذه السنة المؤرخة

وذلك أنّ صالح بن منصور ، المعروف بالعبد الصالح ، كان دخل أرض المغرب في الافتتاح الأول زمن الوليد بن عبد الملك ، فنزل في بني تمسامان ، وعلى يديه أسلم بربرها ، وهم صنهاجة وغمارة . ثم ارتدّ اكثرهم لما ثقُلت عليهم شرائع الاسلام ، وقدّموا على أنفسهم رجلاً يسمّى داود ويعرف بالمزيدي ، وكان من نفزة ، وأخرجوا صالحاً من بينهم . ثمّ أفاء الله بالاسلام عليهم ، وتابوا من شِركهم ، وقتلوا داود المزيدي ، وردّوا صالحاً ، فبقي ذلك الى ان مات بتمسامان ، وكان له من الولد ثلاثة : المعتصم ، وإدريس : أُمهما صنهاجية ، وعبد الصمد ، فولوا المعتصم ، ومكث فيهم يسيراً ومات ، فولوا على انفسهم إدريس ، ثم مات . وولي سعيد بن إدريس ، وهو الذي بنى مدينة نكور . ومنها الى مدينة زواغة ، التي كانت للحسن بن ابي العيش ، مسيرة خمسة أيام . وكان لها أربعة أبواب : منها باب سليمان ، وباب بني ورياغل ، وباب المصلّى ، وباب اليهود . وبها جامع كبير . وأكثر خشبهم الأرز . وبها حمّامات كثيرة ، وأسواق عامرة ممتدّة . وهي

بين نهرين ، احدهما اسمه نكور ، وبه سمّيت المدينة . ودخلها المجوس سنة ٢٤٤ ، وتغلبوا عليها ، وانتهبوا من كان فيها إلا من خلّصه الله بالفرار ، وأقام المجوس بها ثمانية أيام ، وخرجوا منها . وبينها وبين البحر خمسة أميال . وقامت البرانس على سعيد بن ادريس ، فأظفره الله عليهم وهزمهم ، وقتل رئيسهم ثم رجع من بقي منهم الى الطاعة . ومات سعيد بن ادريس بعد أن ملكهم سبعاً وثلاثين سنة .

وولي ابنه صالح بن سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور ، وكان لسعيد من الولد منصور ، وحمّاد ، وصالح ، وزيادة الله ، والرشيد ، وعبد الرحمن الشهيد ، ومعاوية ، وعثمان ، وعبد الله ، وإدريس . وكان عبد الرحمن فقيهاً بمذهب مالك ، وحج أربعاً ، وعبر البحر الى الأندلس برسم الجهاد ، فقتل الثائر ابن حفصون كل من كان معه ، وتخلص هو بنفسه الى مُرسية ، وحضر غزوة أبي العباس القائد ، واستشهد فيها . وقام على صالح أخوه إدريس في بني ورياغل و كزناية ، فالتقوا بجبل جرناية ، فانهزم صالح ، وانتهب إدريس عسكره ، واستمرّ الى مدينة نكور ليدخلها ، فامتنع أهلها الى ان أتاهم صالح صاحبها في خاصته ، فدخلها في جوف الليل ، ولم يعلم أخوه إدريس بذلك ، وكان قد نزل عليها وطمع فيها . فلما كان في غد أقبل إدريس

على فرسه ، وهو لا يعلم بأمر أخيه ، فأدخلوه المدينة ، وأرجله فتيان صالح عن دابته ، وأتوا بـه الى أخيه ، فأمر بحبسه . ثم أشار عليه قـاسم الوسنانيّ بقتله ، فأمر فتى من فتيانه يقـال له عسْلون فقتله .

وامتنعت مكناسة على صالح ، وحبسوا مغارمهم . فكتب اليهم يتوعدهم ، وختم الكتاب ، وأدخله في مخلاة ، وشدّها على حماره ، وبعثه مـع ثقته وقـال له : اذا توسطـتَ مكناسة فاترك الحمار بما عليه وانصرف . ففعل ، فوجد مكناسة حمار صالح ، وقرأوا كتابه ، فتمادوا على امتناعهم عليه . ثم انصرف رأيهم الى جمع ما كان عليهم ، فجمعوه ، وجللوا الحمار بملحفة وأتوا صالحاً بالحمار وبمغـارمهم ، واستعفوا فعافـاهم . وتوفي صالح بن سعيد بعـد ان ملك أزيـد من عشرين سنة .

وتولى ابنه سعيـد بن صالح . فلمـا توطد الأمر له دخـل عليه عبيدهم الصقالبـة فسألوه العتق ، فقـال لهم : انتم جندنا وعبيدنا ، لا تدخلون في ورثنا ، فما طلبكم للعتق؟ فألحوا عليه في ذلك ، وناله جفاء منهم ، وخلعوه وقدّموا أخاه عبيد الله وعمه الرضى المكنى بأبي علي ، وزحفوا بهما الى القصر ، فحاربهم سعيد من أعلى القصر بمن كان معـه وبالنساء . وقامت عليهم العامّة فأخرجوهم من البلد وهزموهم ، فتحصّنوا بغرفة سبعة .

أيام ، ثم ظفر بهم سعيد . وكان عمه الرضى صهره ، فحبسه مع أخيه عبيـد الله ، وقتل من خرج معهما من بني عمـه ، منهم الأغلب ، وأبو الأغلب . فقام سعادة الله بن هارون ، وهو ابن عم الأغلب ، فقال : قتل ابن عمي وأبقى عمه وأخاه ؛ فألّب عليه بني يصـلاتن ، وعقد أمره معهم ، وسعادة الله مـع سعيد بمدينة نكور . ثم خذله سعادة الله ، وانحاز الى بني يصلاتن بمن معـه ، فانهزم سعيد ، وأُخذت بنوده وطبوله ، وقُتـل من مواليه نحو ألف رجل ، وأتوا مع سعادة الله حتى حاصروا سعيد ابن صـالح بنكور . ثم كانت الكرة لسعيد عليهم ، فهزمهم وأسر ميمون بن هارون أخا سعادة الله ، وسار الى تمسامان ، فأحرق دياره وخربهـا وانصرف الى نكور . وخرج سعادة الله بعد ذلك الى بطوية وبني ورتدي ، وزحف بهم الى زناتة ، فحاربهم وهزمهم ، وانقادت له جميع تلك البلاد . ثم انصرف الى مدينة نكور ، فأقام بها مصافياً لسعيد المذكور .

ولما تغلّب عبيد الله الشيعي كتب الى اهل المغرب يدعوهم الى الدخول في طاعتـه والتدين بإمامته . وكتب بمثـل ذلك الى سعيد بن صالح ، وفي أسفله أبيات كثيرة ، منها :

فـإن تستقيموا أستَقِم لصلاحكم ،
وإن تعدلوا عني ارى قتلكم عدلا

وأعلو بسيفي قاهِراً لسيوفكم ،
وأدخلها عفواً وأملؤها عدلا

فأجابه شاعرهم ، فقال :

كذبتَ ، وبيتِ الله لا تعرف العدلا ،
ولا عرف الرحمن من قولك الفضلا

وما أنت الا كافر ومنافق ،
تميل مع الجُهّال في السُنّة المثلى

وهمّتُنا العليا لدين محمد ،
وقد جعل الرحمن همتك السفلى

فكتب عبيد الله الشيعي الى مصالة قائده على تاهرت يأمره بالنهوض الى مدينة نكور ، ويأمره بمحاربة سعيد بن صالح المذكور . فخرج مصالة من تاهرت في غرة ذي الحجة من السنة الفارطة عن هذه المؤرخة ، فنزل من مدينة نكور على مسيرة يوم . فخرج اليه سعيد فحاربه ثلاثة أيام مكافئاً له . وكان مع سعيد رجل من أعلام البربر ، يقال له أحمد بن العباس من بني يطوفت ، دعته نفسه الى أن يقصد محلة مصالة في سبعة فوارس ، واقتحم على مصالة ، فتصايح الناس ، وأُخذ أحمد أسيراً ومن معه ، فأمر مصالة بضرب أعناقهم ، فقال له احمد : ليس مثلي يُقتل . فقال مصالة : لِمَ ؟ قال : لانك لا تطمع في

سعيد إلا بسببي . فاستبقاه وقرّبه حتى أنِس به ، ثم أعطاه جيشاً ، فقصد به جانباً كان يعلم الغرة منه ، حتى دخل عسكر سعيد من حيث لا يُظن به ، ففرق جمعه ، وغشي سعيداً ما لم يتأهب له ، وترادفت عليه العساكر ، ونظر أمراً لا يُستطاع المُقام معه ، فبعث الى مدينة نكور ، فأخرج كل من كان في قصره وما معهم ، وساروا الى جزيرة في مرسى نكور ، ومعهم صالح بن سعيد ، وإدريس ، والمعتصم . وقاتل سعيد حتى قُتِل واستُبيح عسكره . ودخل مصالة مدينة نكور ، فقتل رجالها ، وسبى النساء والذراري . وفي ذلك يقول بعض الشعراء :

لما طغى الأرذل وابن الأرذل
في عصبة من الطغاة الجُهّل

مال الى نكور دون معقلي
أتاه محتوم القضا بالفيصل

من الإله المتعالي الاعدل
حطم أهل كُفرها بالكلكل

وجاء رأسُ رأسها المبدّل
على قنا من الرماح الذُّبّل

ذا لمة شاعثة لم تفتل
ولحية غبراء لم ترجل

وركب من نجا من ذرية سعيد البحر الى مالقة ، فاستقروا بها لقربها من بلدهم ورجائهم العودة اليه . وبقي مصالة في نكور نحو ستة اشهر ، ثم استخلف عليها ذلول ، فكان من امره ما تقدم ذكره، وذلك انه لما افترق عن ذلول اصحابه سمع بذلك بنو سعيد بمالقة ، فعبروا البحر في مراكب مختلفة ، في ليلة واحدة ، واتفقوا على أن من وصل اليها قبل ، فالولاية له ، ثقة منهم برعيتهم . وكانوا ادريس والمعتصم وصالح بني سعيد . فوصل صالح من ليلته ، فتسامع البربر بقدومه ، فتسارعوا اليه وعقدوا له الامرة ولقبوه باليتيم ، وزحفوا الى ذلول واصحابه فقتلوهم اجمعين . وكتب صالح بالفتح والنصر الى الناصر ، فأمر بامداد صالح بالاخبية والآلات والبنود والطبول ، فتوطد الملك بالمغرب لصالح بن سعيد . وبقي اخوته في البحر شهرين يترددون فيه الى ان وصلوا بعد ذلك الى نكور ، وهي في وقتنا هذا مدينة المزمّة او قريباً منها .

وفي هذه السنة تم شأن القاسمية بالقيروان ، وانتقل اليها التجار واهل الصناعات ، وذلك في شهر ربيع الاول .

وفيها مات ابو جعفر احمد بن محمد القرشي المعروف بالمغرباني من ولد عقبة بن نافع الفهري ، وكان من اهل الزهد والعبادة ، وله سماع كثير من سحنون وغيره .

وفيها مات القاضي بقفصة ، وهو مالك بن عيسى بن نصر ، وكانت له رحلتان في طلب الحديث ، اقام فيهما عشرين سنة ، وكان به بصيراً ، وفي علمه نافذاً .

وفيها مات بمدينة رقادة من قريش افريقية ابو الفضل محمد ابن عبد السلام بن اسماعيل بن عبد السلام ، من ولد عبد الملك ابن مروان ، رحمه الله . وكان قد تولى جباية اطرابلس وتونس ليلج مع القوم ويبقى معهم، فتوصل بذلك الى اخذ نعمته ، ومات في عذاب الشيعة .

وفيها أُخذ اهل الضياع باعمال افريقية بمغرم سُمّي التضييع ، وزعموا انه من بقايا التقسيط .

وفي سنة ٣٠٦ خرج أبو القاسم بن عبيد الله الشيعي الى مصر في سفرته الثانية ، وذلك يوم الاثنين مستهل ذي القعدة ، بعد أن حشد من كتامة جُملًا كثيرة ، ومن عرب افريقية وبربرها ؛ وخرج معه خليل بن إسحاق ، وابو غانم الكاتب ، وغيرهما من رجال أبيه . وعزل عبيد الله عن القيروان منّ الله ابن الحسن بن ابي خنزير ، وأخرجه مع ابنه ابي القاسم الى مصر ، وولى عمل القيروان ابا سعيد الضيف .

وفيها وقعت النار بالقيروان في سوقها ، ليلة الاربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة .

وفيها توفي أبو سعيد محمد بن محمد بن سحنون ، وله سماع من أبيه ؛ وغلبت عليه الزهادة والعبادة .

وفيها مات ابو الأسود موسى بن عبد الرحمن بن جندب المعروف بموسى القطان ، وكان من رجال محمد بن سحنون ، وولي قضاء مدينة إطرابلس في ايام عيسى بن مسكين ؛ وعزله ابراهيم بن احمد عن القضاء وحبسه ، وله اثنا عشر جزءاً ألفها في أحكام القرآن .

وفيها مات بمدينة برقة ابو مدين بن فروخ اللهيصي ؛ وكان قائد الشيعة بها .

وفي سنة ٣٠٧ كان بافريقية وما والاها الى مصر طاعون شديد وغلاء سعرٍ مع الجور الشامل من الشيعة ، والتعلل على اموال الناس في كل جهة .

وفيها قدّم ابو القاسم بن عبيد الله الشيعي سليمان بن كافي ، صاحب مقدّمته ، الى الاسكندرية في جملة من رجال كتامة وغيرهم ، فوجد اهلها غافلين ، فلما احسوا بالخيل ، وتلاحق بهم أبو القاسم بجيوشه ، اخلوا المدينة وتركوها ، فدخلها أبو القاسم الشيعي وانتهب اموال اهلها ، وكتب الى ابيه بالفتح . ثم قدم سليمان بن كافي بالجيوش الى الفيّوم ، فدخلها بالسيف وقتل اهلها ، وانتهب اموالها ، وسبى الذّرية ، وجبى الخراج .

واقبلت العساكر من افريقية يتلو بعضها بعضاً ؛ فاجتمع الى ابي القاسم عدد يجلُّ عن الاحصاء . فتنقل من محلته عن الاسكندرية الى الفيوم ، ونزل بالاشمونين في رجب . وألفى الاطعمة في الانادر لم تخزن ، فانتهبها العساكر . وغلت الاسعار بمصر وبالعسكر ، ووقع الوباء في الناس ، وجلا كثير منهم . وكانت مصر في ذلك الحين خالية من الجند ، فاجتمعوا وتشاوروا في امرهم ، فردوه الى محمد بن علي المادرائي وأخيه ابي زنبور ، فكتبا الى ابي القاسم سراً يعرفانه بغيبة الجند وضعف البلد ، واظهرا له المسارعة الى طاعته ، وسألاه الاستثناء عليهم لما يتوقعونه من العوام . وكان مذهبهما ان يكتف عنهم حتى تأتيهم الرجال من بغداد . وكتب المادرائي الى المقتدر بنزول العساكر عليهم .

وفي هذه السنة أقبل ثمل الفتى بالمراكب الشامية مغيثاً لاهل الاسكندرية، فألفى للشيعي بها اسطولاً ، فحاربه ثمل حتى تغلب على الاسطول بمن فيه، وذلك يوم الاحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال، وأسر جملة من رجال كتامة، ثم نهض ثمل بالاسرى الى الفسطاط ، فطوفهم على الجمال مشهرين ، وفيهم جماعة من قواد الشيعي المشهورين بالبأس .

وفيها مات القاضي محمد بن محفوظ القمودي بافريقية ،

وكان ضعيف الرأي ، جائر الحكم . وولي القضاء بالقيروان اسحاق بن ابي المنهال .

وفيها هبت بالقيروان ريح مظلمة صفراء ، دامت اياماً ، وسدت الافق حتى كان الرجل لا يرى جليسه ، واتبعها الوباء الذي تقدم ذكره .

وفيها مات احمد بن علي بن دودان الفقيه ، وكانت له رحلة سمع فيها من يونس والمزني . ومات محمد بن احمد بن يحيى ابن مهران الفقيه ، من رجال محمد بن سحنون . ومات ابو سليمان داود بن مسرور الغساني ، وكان متزهداً فاضلاً. ومات محمد بن عبد الله ابن القاضي احمد بن محرز . ومات بمدينة تونس من قريش محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن خالد ابن عبيدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان (رضه) ، وكان يلقب بالبعرة ، وكان طرأ على ابراهيم بن احمد من المدينة ، ودخل الاندلس مرتين .

وفي هذه السنة قتل بالقيروان عبدوس المؤذّن بمسجد ابن عيّاش الفقيه ، بعد ان ضرب بالسياط وقطع لسانه ، اذ شهد عليه قوم من المشارقة بانه أذّن ولم يقل : حيّ على خير العمل ! وكان من المتزهدين ، يطحن بيده ويعمل الحلفاء ، ويتعيش من ذلك .

وفيها مات من الفقهاء بالقيروان عبد الله بن محمد بن يحيى الرعيني من أصحاب سحنون ، ومحمد بن موسى التميمي من شيوخ العراقيين ، وإسحاق بن ابراهيم بن أبي عاصم الفارسي ، وأبو جعفر احمد بن منصور مولى بني تميم ، وكان يُعرف بابن المقرعة الغاسل ، وسمع بمكة ومصر . ومات جماعة من التجار ومن خدم السلطان ومن الاطباء ، ممن يطول الكتاب بذكره .

وفي سنة ٣٠٨ سار مصالة قائد عبيد الله الشيعي نحو المغرب بالجيوش . فلما بلغ قريباً من نكور خرج صالح بن سعيد عن مدينة نكور وتحصن بجبل هناك يعرف بجبل أبي الحسين . ودخل مصالة المدينة وضبطها . ثم سار منها الى جهة فاس . وكان بها حينئذٍ يحيى بن ادريس بن عمر بن إدريس ، في اهله ورجاله . فلما قرب منهم أرادوا مدافعته . فحاربهم أياماً حتى هزمهم . ودخل مصالة مدينة فاس وضبطها . قال شاعرهم :

دخلت فاساً ولي شوقٌ الى فاسِ
والحينُ يأخذُ بالعينينِ والراسِ

فلست أدخلُ فاساً ما حَييتُ ولو
أُعطيتُ فاساً بما فيها من الناس

وفيها قتل ابو سعيد موسى بن أحمد بمدينة القيروان زياد ابن خلفون المتطبِّب ، مولى بني الأغلب ، وكان عالماً بالطب ،

حسن الذهن فيه ؛ وكان عبيد الله قد احتاج الى زياد ، وقرّبه من نفسه ، وحذّره من أبي سعيد لاختلاف كان وقع بينهما ، وأمره أن لا يدخل القيروان إذا كان أبو سعيد بها ؛ فالتزم زياد ذلك الى ان بات ليلة بالقيروان ، وابو سعيد برقادة ؛ وكانت له عيونٌ عليه ؛ فبعث اليه من دخل عليه داره وقتله بها .

وفي هذه السنة انتقل عبيد الله الشيعي بعياله وأمواله وثقله الى المهدية ، يوم الخميس لثمان خلون من شوال ، بعد أن كمل قصره بها ، وقصر ولده أبي القاسم ، وسور المدينة ، وبعض دور رجاله ، ولم يكمل الكل . وكانت في هذه السنة بالقيروان ورقادة أمطار كثيرة هدمت المباني ، فاضطرّ عبيد الله الى استعجال التنقل . فقالت شعراء إفريقية في انتقاله واستيطانه من الشعر ما ذكرنا أبياتاً منها ليستدل بما فيها على ما كان يستحلّه ويجوز عنده من الأشعار :

ليهنك ايها الملك الهمام	قدوم فيه للدهر ابتسام
حططت الرحل في بلد كريم	رعته لك الملائكة الكرام
لئن عظم الحرام وما يليه	كما عظمت مشاهده العظام
لقد عظمت بأرض الغرب دارٌ	بها الصلوات تقبل والصيام
هي المهدية الحرم الموقّى	كما بتهامة البلد الحرام
كأنّ مقام إبراهيم فيه	ثرى قدميك إن عدم المقام

وإن لثم الحجيج الركن أضحى لنا بعراص قصركم التثام
لئن شاب الزمان وشاب ملك دعائمه اذا عجمت حطام
لملكك أيها المهديُّ ملك غلام والزمان به غلام
لك الدنيا ونسلك حيث كنتم فكلكم لها أبداً إمام

وفي هذه السنة قُتل بالقيروان من قريش تَيْم عليّ بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هاشم بن عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رحمه الله ، قتله أبو سعيد موسى بن احمد ، إذ اتّهمه برفع كتاب الى عبيد الله بأن أهل القيروان عقدوا مع ابي سعيد هذا على الخلاف ، فحكمه عبيد الله فيه وحبسه ، ثم خُنق حتى مات .

وفيها مات من قواد بني الأغلب أبو جعفر أحمد بن تميم ، ومن الفقهاء سعيد بن حكمون ، وكان زاهداً . وتوفي إبراهيم ابن يونس ، المعروف بابن الحسّاب ، مولى موسى بن نُصير ، وكان يلقب حارث حِسبةٍ ، وولي أحكام القيروان وقضاء مدينة رقادة . وتوفي من الفقهاء العراقيين أحمد بن عبد الرحمن اللخميّ ، سمع من محمد بن وهب وغيره . وتوفي منهم أحمد ابن عبدون بن وهب . وتوفي الربيع بن هشام التميميّ ، وكان من الزُّهّاد المتعففّين .

وفي سنة ٣٠٩ فتح مصالة بن حبوس مدينة سجلماسة ،

وانتهب أموالها ، وقتل بها أحمد بن مدْرار ، وولى عليها المعتز ابن محمد بن مِدْرار ، وانصرف .

وفيها أظهر منيب بن سليمان المكناسيّ الداعي التشريق بجانب تاهرت ، وتحليل المحرمات . وقيل إن عبيد الله وجّهه وغيره الى الأطراف ، وأمرهم باظهار التشريق ، فان وجدوا الناس محتملين له ومغضين عليه نشروه عند العامة ، وأظهروه . فلما كشف منيب بجبل أونشريش ما أمره عبيد الله به ، كان الرجل يدخل الى حليلة جاره ، فيطأها وزوجها ينظر اليه ، ثم يخرج فيبصق في وجهه ويصفع قفاه ، ويقول له : تَصَبّر ! فإذا صبر عُدّ كامل الايمان ، وسمّي من الصابرة . فقام عليهم الناس ، وقتلوا بعضهم ، فكفّوا .

وفيها وصل أبو القاسم الشيعيّ الى المهدية يوم السبت مستهل رجب ، منصرفه من الفَيُّوم ؛ وكانت سفرته هذه سنتين وثمانية أشهر .

وفيها أمر عبيد الله بحبس نحو مائتي رجل أظهروا التشريق بالقيروان وباجة وتونس ، وجاهروا بتحليل المحرّم ، وأكلوا الخنزير ، وشربوا الخمر في رمضان جهاراً . وعلم بذلك الخاص والعام حتى عُيِّر به أبو القاسم أيام كونه بالفيوم ، وكثر القول من الناس في هذا ، فكتب عبيد الله الى عماله بهذه

المواضع بأن يرفعوهم الى بابه مقيدين ، ثم حبسوا فمات أكثرهم بالسجن، وكلهم مشهور بإفريقية، منهم : احمد البلوي النخاس بالرقيق ، كان يصلّي الى رقادة أيام كون عبيد الله بها ، وهي منه في الغرب ، فلما انتقل عبيد الله الى المهدية ، وهي في الشرق ، صلى اليها . وكان يقول: لست ممن يعبد من لا يُرى. وكان يتصدّى لعبيد الله ويقول له : ارقَ الى السماء ! كم تقيم في الأرض وتمشي في الاسواق ؟

وكان يقول لأهل القيروان في عبيد الله : انه يعلم سركم ونجواكم . فتقرّب اليه رجل يوماً ، وهو يقول ذاك ، فأخذ أذنه ونطق فيها : عبيد الله الذي تقول زانٍ ، ابن الزانية . فإن كان يعلم ما قلتُ لك فلينتصر . فصاح صيحة عظيمة وقال : يا مسكين ، انه حليم لا يعجل .

ومنهم إبراهيم بن غازي ، وكان يأكل في شهر رمضان جهاراً ، ويركب الكبائر ، وكان في أيام بني الأغلب من المتزهدين المرابطين بقصر الطوب المجاور لسوسة ، وقد كان أهل سوسة أرادوا تقديمه لصلاة الجماعة .

وفيها تصدى جماعة من أهل القيروان بالنساء والذرية لأبي القاسم ، وشكوا اليه سرّاً جور ابي سعيد وأصحاب المحارس ، ووصفوا إفسادهم وغارتهم على أموالهم ، فاستأذن لهم على أبيه ،

فدخلوا كافة وشكوا اليه بما شكوا به الى أبي القاسم ، وأبو سعيد جالس عنده ، فحلف لهم عبيد الله أنه ما علم بظلمهم ، وأمرهم بالانصراف ووعدهم بالانصاف ، وأمر أبا سعيد برفع كاتبه وقوم من أصحاب المحارس اليه ؛ فحبسهم عبيد الله وأطلق كاتبه .

وفيها أمر عبيد الله بان يكون طريق الحاج على المهدية ، لاداء ما يجب عليهم من المغارم في الشطور ، وألاّ يتعدّى هذا الطريق أحد . وكان من أمثال أهل القيروان في أيام بني الأغلب ، عند مطالبة شيء ممتنع : إذا أردت الحجّ فخذ على بندون ! وبندون هذه قرية في طريق جمّة ، والطريق القصدة إنما هي على مِصر . فلما عهد عبيد الله بأن تكون طريقهم على المهدية صار المثل القديمُ حقاً .

وفيها أمر عبيد الله بقتل أبي عليّ حسن بن مفرّج الفقيه ، ومحمد الشذوني الزاهد ، إذ رُفع عليهما اليه بتفضيل بعض الصحابة على عليّ .

وفيها مات بمدينة سوسة أبو الغصن نقش الفقيه ، سمع من سحنون ومن عون بن يوسف وغيرهما ، وتوفي محمد بن هيثم ابن سليمان بن حمدون القيسي الفقيه ، ومحمد ومحمد ابنا عبد السلام بن اسماعيل من بني عبد الملك بن مروان رحمه الله .

وفي سنة ٣١٠ قدم مصالة بن حبوس الى المهدية على عبيد الله ، فأقام بها اياماً ، ثم صرفه الى تاهرت ، فخرج اليها في شعبان .

وفيها قُرىء كتاب لعبيد الله الشيعي في جامع القيروان ، بوقعة كانت بين فلاح بن قمون وبين جند مصر بذات الحمام .

وفيها قُتل بجبل أوراس أبو معلوم فحلون الكتاميّ ، من قواد عبيد الله ، وكان قد أخرجه الى هذا الجبل ، فكلّف أهله فوق وسعهم ، وأمرهم برفع عيالاتهم الى المهدية ، فأظهروا الطاعة له وشرعوا فيما أمرهم به . فلما كان في بعض الليالي وثبوا عليه وعلى جند كتامة الذين كانوا معه فقتلوهم أجمعين .

وفيها خالفت نفوسة على عبيد الله ، وقدّموا على أنفسهم أبا بطة ، فاجتمع اليه عدد كثير ، واشتدت شوكته . فأخرج اليهم عبيد الله عليّ بن سلمان الداعي في جمع كثير . فلما قرب منهم بيّتوه ، فقتلوا كثيراً من أصحابه ، وانهزم الباقون ، وتفرقوا عن عليّ بن سلمان ، فسار عليّ الى إطرابلس ، وكتب الى عبيد الله بذلك ، فكتب عبيد الله الى عليّ بن لُقمان عامِلِه على قابس بأن يقتل كل من مرّ به من المنهزمين ، فقتل منهم جماعة ؛ وأمدّ عبيد الله علي بن سلمان بالجيوش ، وأخذ في حصار نفوسة بعزم .

وفيها غزا مسعود الفتى بـلد الروم في البحر ، في عشرين شينيّاً ، فافتتح مدينة أغاثي وسباها ، وانصرف الى المهدية .

وفيها توفي محمد بن سلام بن سيار البرقي الهمداني ، وكان متفقّهاً على مذهب الشيعة . وتوفي من قريش أحمـد بن يحيى ابن خالد السّهمي ، بعد ان جاوز التسعين ، وكانت له رحلة ، وسمع من أبي سنجر مسنده . وقام حسن بن علي الحسني مـع البربر ، فأتى الى فاس .

وفيها أقبل الكتامي قائداً عليها من قِبل عبيد الله الشيعي، فأخرجه منها واستبدّ بها ، ثم غدره حامد بن حمدان ، وأدخل ابن أبي العافيـة ، وكان يتولى لبني أميّة ، فبقي بهـا الى أن أرسل الشيعي قائديه مسروراً وجوهراً ، ففرّ أمامهما . وبقي فيها قائد الشيعي الى أن أخرجه بنو إدريس ، ورجع ملكها لهم، حتى حاربها عسكر الناصر الأموي صاحب الأندلس وملكها.

وفيها مات أبو جعفر الطبري رحمه الله .

وفي سنة ٣١١ عزل عبيـد الله إسحاق بن أبي المنهـال عن قضاء مدينـــة القيروان ، يوم السبت لعشر بقين من جمادى الآخرة ، وأخرج اليـه عبيد الله من قـال له : لم نعزلك عن حرجة ، وانما عزلناك للينك ومهانتك . وولي قضاء مدينـة القيروان محمد بن عمران النفطي ، وكان قبـل ذلك على قضاء

مدينة إطرابلس ، فجمع بها أموالاً كثيرة من الرشى والأحباس ورفعها الى عبيد الله ، فكانت له وسيلة اليه .

وفيها اوقع عليّ بن أبي سلمان بأهـــل نفوسة ، ودخل حصنهم وهدمه ، وقتل الرجال وسبى الذرية ، وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان .

وفيها ضُرب محمد بن العباس الهذلي الفقيه بالدرّة في الجامع عرياناً ، وصُفع قفاه حتى جرى الدم من رأسه ، وبُرّح عليه في اسواق القيروان إذ شهد عليه قوم من المشارقة بأنه يطعن على السلطان ويفتي بقول مالك .

وفيها دخل مسرور بن سليمان بن كافي الواحات من صعيد مصر ، وهما حصنان في قفار ورمال ، وكان عليها عامل لصاحب مصر يعرف بالكرمازي ، فهزمه مسرور وأسر ولده وابن أخيه ، واستحوذ على الموضع ، ثم وقع الطاعون في أصحاب مسرور ، فأخرب الحصنين ، وقلع ثمارهمـــا ، وانصرف الى برقة .

وفي هذه السنة مات بالقيروان من العدول وأهل السُّنّة والخير محمد بن شيبة بن حسان ؛ وكان شيبة من القواد الداخلين افريقية مع يزيد بن حاتم .

وفيها مات بتونس أبو جعفر محمد بن تميم التميميّ ، وكان

من قواد زيادة الله ؛ فهرب الى أبي عبد الله الشيعي ودخل معه افريقية .

وفيها مات أبو الفضل أحمد بن جعفر بن موسى الصمادحي .

وفي سنة ٣١٢ خرج مصالة بن حبوس من تاهرت الى زناتة فاداخ بلدهم ، وقتل وسبى ؛ وأخرج خيلاً الى بعض نواحي ابن خزر ؛ وكان فيها أكثر حماته ووجوه رجاله ؛ وبقي مصالة في نفر من أصحابه . فبلغ ذلك ابن خزر ، فقصد نحو مصالة ، ودارت بين الفريقين حرب عظيمة قُتل فيها مصالة وانهزم أصحابه ، وذلك يوم الجمعة لعشر بقين من شعبان .

وفيها خرج جعفر بن عبيد الحاجب في أُسطول كبير الى صقلية ، يريد غزو الروم ؛ فشتّى بصقلية تلك السنة ، ولم يلق العدو .

وفي هذه السنة مات بالقيروان القاضي محمد بن عمران النفطي ، في شهر ربيع الأول ؛ وكان يرتشي على الأحكام ، ويستهتر في ضروب من المنكر . فولى عبيد الله القضاء مكانه إسحاق بن أبي المنهال مرة ثانية ، وكتب في عهده : وإنما كنا عزلناك للينك ومهانتك ، ورددناك لدينك وأمانتك .

وفيها مات محمد بن حفص الفهم ؛ وكان من أهل الفضل والدين ، وأمّ بالناس الأشفاع بجامع القيروان في أيام بني الأغلب ،

ثم ولي صلاة جامع رقادة ؛ وكان يرتزق في كل شهر عشرة مثاقيل ؛ فأحضره المروزيّ عند نفسه وقال : لا يؤمُّ بنا إلا ولي من أولياء أمير المؤمنين . فادخل الى بعض الدُّعاة يأخذ عليك البيعة وتبقى على خطتك . وإنما أراد أن يتشرّق معهم ويدخل في الكفر مدخلهم . فقال له : أنظرني اليوم أُشاور نفسي . فأنظره ؛ ثم أتاه من الغد ، وقد كره الدخول معهم في شيء مما هم عليه ، فعزل عن الصلاة .

وفيها قرىء كتاب عبيد الله بالقيروان وأعمالها بدخول مسرور بن سليمان بن كافي الواحات ، وملكه لها وتاريخه يوم الخميس لثماني ليال بقين من المحرّم .

وفي سنة ٣١٣ غزا أبو أحمد جعفر بن عبيد الحاجب بلد الروم من صقلية ، فافتتح أماكن كثيرة ، منها مدينة واري ، وقتل بها ستة آلاف مقاتل ، وأخرج منها عشرة آلاف سبيَّة ، وأسر بها بطريقاً صالحه عن نفسه ومدينته بخمسة آلاف مثقال ، وانصرف الى صقلية ، فوصل اليها لأربع بقين من شهر ربيع الآخر ، وكتب الى عبيد الله الشيعي بالفتح . ثم قدم جعفر بعد ذلك الى المهدية ، وأوصل جميع الغنائم الى عبيد الله الشيعيّ ، فذكر بعض رجاله أنه دخل عليه ، وبين يديه جوهر كثير وديباج سني وأموال ، فقال له : يا مولاي ، ما رأيت كاليوم

منظراً . فقال له عبيد الله : هذا من الغنائم التي أُصيبت بواري .
فقال له الرجـل : إنّ من أَدّى هذا لأمين . وأراد أن يثـني
بذلك على جعفر الحاجب . فقال له عبيد الله مبـادراً : والله ،
ما اعطاني من الجمل الا اذنيه .

وفيها ولي أحمد بن بحر بن علي بن صالح ، المعروف بابن
أخي كرام ، مظالم القيروان ، وجلس للنظر يوم السبت لاحدى
عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة .

وفيها مات بمدينة سوسة محمد بن بسطام بن رجـاء الضبي
الفقيه ، وكانت له رحلة سمع فيها من ابن عبد الحكم وغيره .
ومات عبد العزيز بن شيبة ، وكانت له رحلة أيضاً سمع فيهـا
من بنـدار ، وأبي موسى الزمن ، وأبي حفص القـلاس ، ولم
يخلف هذا المتوفى وارثاً ، فورثه عبيد الله ، وكان له مسجـد
يجاور داره وفندقه ، فاغلق الناظر في المواريث لعبيد الله باب
المسجد ، ووصله بالدار والفندق .

وفيها ابتدأ عبيد الله الشيعي ببناء مدينة المسيلة ، وسمّاهـا
المحمدية ، على يدي علي بن حمـدون الجذامي المعروف بابن
الأندلسي ، في وسط أرض بني برزال وبني كهلان ، على قرب
من هوّارة. وكانت على واد ، ولها سوران يليهما ساقية من
هذا الوادي .

وفي سنة ٣١٤ عزل عبيد الله الشيعيّ عن عمالة القيروان نسيماً فتاه ، وضمه الى المهدية ؛ وحُبس عند جوذر الفتى ، وقُبض على أمواله. وكان نسيم سريع الغضب والضرب بالسوط. وولى عبيد الله عمالة القيروان صابراً الفتى ، مولى ابن قُرهُب.

وفيها زحف ابن خزر الى تاهرت وحاربها ، فانهزم عنها ، وأخرج عبيد الله في أثره موسى بن محمد الكتاميّ في جماعة من القواد . فلما صاروا بطبْنة دخل محمد بن خزر الصحراء ، وأبقى أخاه عبد الله مع وجوه رجاله بوادي مطماطة ؛ فدارت بينه وبين جند الشيعيّ حرب عظيمة كان الظفر فيها والغلبة لابن خزر . ثم أخرج عبيد الله اليه إسحاق بن خليفة وأصحابه. وخالفت على الشيعيّ لماية وما جاورها من القبائل ، واستمدّوا بابن خزر ، فكتبوا الى عبيد الله مستمدين ، فأمدّهم بجيش كثير ؛ فهزموه . وأرسلت هذه القبائل الى محمد بن خزر ، فولى عليهم أخاه عبد الله ، ودارت بينه وبين جيوش الشيعي وقائع كثيرة .

وفيها مات مؤنِس البغدادي المغني ، مولى موسى بن بُغا ، بالمهدية فجأة .

وفي سنة ٣١٥ خرج أبو القاسم بن عبيد الله الشيعي من المهدية، يريد المغرب ، يوم الخميس لتسع ليالٍ خلون من صفر،

وكانت طريقه على القيروان . ثم نزل الاربُس فأقام بها أياماً ، حتى اجتمعت اليه العساكر ، فسار الى باغاية ، ثم الى كتامة ، وتقدم الى جبل فيه بنو برزال وقوم من مكلاتة ، فامتنعوا عليه ، فحاربهم حتى فُتح له عليهم ، وتوجه الى مدغرة ، ثم الى سوق إبراهيم ، فأقــام في تلك الجهة أكثر من شهر ، لكلب الشتاء وكثرة الوحل . فحكى بعض رجال عبيد الله أنـه كان قاعداً بين يديه ، هو وطائفة من خدمته وصحبه ، وقد توقفت كُتُب أبي القاسم عن الورود ، حتى ساءت الظنون من جهته ، فورد كتابه عــلى أبيه بحضرهم . فلما فتحه وقرأه بكى . قــال : فخفْنا أن يكون حدث أمر ، وهممنا بالبكاء معه حتى افتتح الكلام فقال : اللهمّ إنك تعلم أني ما أردتُ باخراجه الى المغرب إلا رضاك ، ونصرة دينك ، وإذلال أعدائك ! وما يسهل عليّ أن أُفارقه يوماً واحداً . قال : ثم التفت الينـا فقال : هذا مولاكم يذكر في كتابه أنه أقام في مناخ واحد شهراً كاملًا ، عليه المطر كل يوم بالغدو والآصال ، وأنه مشى عقاباً كثيرة راجلًا إذ لم يستطع الركوب فيها لوعرها ، ويقتات كل يوم ببيضة او نحوها لكثرة الذباب في العسكر .

وفيها خرج صابر الفتى الى صقلية لغزو بلد الروم ، في اربعة واربعين مركباً ، فاصاب في غزاته هذه ، وسبى وقتل .

وفيها قُتل برملة المهدية مُعلى بن محمد الملوسي الداعي، بعثه أبو القاسم من المغرب مقيداً ، فأمر عبيد الله بضرب عنقه .

وفيها قتل بمصمودة السّاحل ، من احواز طنجة ، حاميم المفتري ، ابن مَنّ الله . وكان قد تنبأ بالجبل المنسوب اليه، واجابه بشر كثير من البربر الجهال ، وشهدوا له بالرسالة . وقد كان سن لهم صوم يوم الخميس ، فمن اكل فيه غرم خمسة اثوار ، وصوم يوم الاثنين ، فمن اكل فيه غرم ثورين ، ونحو هذا من الحماقات . ومما قيل فيه :

وقالوا افتراء إنّ حاميم مرسل
اليهم بدين واضح الحق باهر

فقلت : كذبتم ! بدد الله شملكم !
فما هو إلا عاهر وابن عاهر

فان كان حاميم رسولاً ، فانني
بمرسل حاميم لأول كافر !

رووا عن عجوز ذات إفك بهيمة
تجاوز في اسحارها كل ساحر

أحاديث افك حاك ابليس نسجها
يسرونها والله مبدي السرائر

وفي هذه السنة توفي محمد بن سلمون القطان بافريقية ، وله سماع كثير من رجال سحنون . وتوفي من التجار واهل العدالة حاتم بن عبد الرحمن بن حاتم ، سمع من سحنون ، ورحل الى العراق .

وفي سنة ٣١٦ زحف ابو القاسم الشيعي الى قبائل البربر بالمغرب ، فنزل ببرقة على حصنها المعروف بأغزر يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرَّم ، فقاتلهم ونقب السور عليهم حتى سقط ، وهلك ممن كان تحته وفوقه عدد كثير . فلما نظروا الى الغلبة احرقوا الأمتعة وعرقبوا الدواب والمواشي ، وقاتلوا الشيعة حتى قتلوا واسر منهم من استأسر وانتهب ما في الحصن . واجابت هوارة ولماية الى طاعة الشيعة ، فامّنهم ابو القاسم ، ثم سار الى جهة تاهرت . فأقام بها نحو شهر . وتقدم منها الى تامْغَلْت فاقام بها شهرين مناظراً لابن خزر ، وهو حينئذ بموضع يقال له أَوْرَن . ثم نكب ابو القاسم الى مدينة طبنة ، وانصرف الى المهديّة دون ان يلقى ابن خزر. وقيل ان سبب انصرافه انما كان لكتاب ورده من قبل ابنه قاسم يعلمه ان الناس تحدثوا بمبايعة عبيد الله لابنه أحمد المكنى بأبي علي ، وانه صلى بالناس عيد الفطر وعيد الاضحى ؛ فاقلقه ذلك ، وقدم المهدية .

وفيها غزا صابر من صقلية الى بلد الروم ، فافتتح موضعاً يعرف بالغيران وقلعة الحسب ، واحتوى على ما فيهما ، وزحف الى سلير ، فصالحه اهلها بمال وديباج . ثم توجّه الى نابـــل ، فصالحوه ايضاً بمال وثياب ، ثم صدر الى صقلية .

وفيها مـات محمد بن احمد بن ابي زاهر ، من الفقهـاء بالقيروان ؛ وعبـد الله المعروف بالعيني ، وكان من المتعبدين .

وفيها ابتدأ غلاء السعر بالقيروان .

وفيها كان ابتداء امر أبي يزيد مَخْلد بن كيداد الزناتي ، وهو رجل اخذ نفسه بمذاهب النكار ؛ يحلل دماء المسلمين وفروجهم ، ويسبُّ علي بن ابي طالب (رضه) ، وكان اول امره بتقيوس يعلم الصبيان ، ويعتقد الخروج على السلطان ، ويحتسب على الناس في كثير من افعالهم ، وعلى جباة الاموال . فغير في هذا العام على عامل تقيوس ، وامر بقتله ، فقتله اهل تقيوس ؛ ففزع ابو يزيد عند ذلك ، وخرج الى الحجّ . فلما وصل الى اطرابلس وصل كتاب عبيد الله في طلب قوم مـن البربر ، فهرب هو وصاحبه ابو عمار الاعمى ، وكان على مذهبه وضلاله . فكرّ الى تقيوس ، فورد كتاب عبيد الله في طلبه « وهو » يستتر ، الى ان ظهر امره بعد ذلك .

وفي سنة ٣١٧ كان بالقيروان واعمالها وباء عظيم ، وغلاء سعر ، فبلغ قفيز قمح بالكيل القرطبي مثقال ذهب .

وفيها تغلب محمد بن خزر على الزّاب وملكه كله .

وفيها بنى بنو محمد المدينة المعروفة بحجر النسر .

وفيها سار موسى بن ابي العافية الى مدينة نكور ، وصاحبها يومئذ المؤيد بن عبد البديع بن ادريس بن صالح بن منصور ، فحاصره فيها حتى تغلب عليها واستباحها وغنم ما فيها ، وقتل المؤيد ، وهدم اسوارها . ثم سار يريد بني محمد بن سليمان بن عبد الله ، وعميدهم يومئذ الحسن بن عيسى المعروف بابن ابي العيش ، صاحب جراوة ، وهي اشرف مدائن ذلك الجانب . فنزل عليها وحاصر ابن ابي العيش فيها حتى اوفى على اخذها ، فلما احس ابن ابي العيش بالغلبة خرج في الليل هارباً باهله وولده ومن تبعه ، ونجا الى مرسى جراوة المعروف بأكّاس ، فدخل منه البحر ، وعاذ بجزائر ملوية . ثم سار الى جزيرة أرشقول ، وهي منيعة لا ترام ، فتحصن فيها باهله وولده ومواليه . وجال موسى بن ابي العافية بتلك الجهات ، واخذ مدينة تربية ومدينة أرشقول وهرب كل من في ذلك الجانب من آل محمد بن سليمان ، وخلص الموضع لموسى بن ابي العافية ، واخلى منه قواد بني خزر وعمالهم ، وصار في ملكه من احواز تيهرت الى السوس الاقصى .

وفيهـا غزا صابر الفتى غزوته الثالثة ، والتقى في البحر بالسردغوس وهم في سبعة مراكب ، وصابر في اربعة مراكب ، فانهزم السردغوس . وفتح صابر مدينة ترمولة ، وسبى فيها سبياً كثيراً ، ثم انصرف الى المهدية .

وفيها مات بالقيروان من الفقهاء احمد بن نصر بن زياد ، سمع من محمد بن سحنون ومن ابن عبدوس ومن يوسف ابن يحيى المغامي ، وكان عالماً بالمناظرة ، مليئاً بالشاهد ، صحيح المذهب ، سليم القلب . قال محمد بن حارث : حضرته يوماً وعنده جماعة من المناظرين في المسائل ، حتى دخل عليه محمد بن عبد الله بن مسرة القرطبي في حين توجهه الى الحج ، فسلـّم وجلس جانباً ، وهو يجيل بصره في وجوه المتكلمين . قال : فلم اشك انه من اهل العلم ، ولم اكن عرفته باسمه . فلما اظهر الشيخ احمد بن نصر القيام قال له : يا شاب ! جلست منذ اليوم . فهل من حاجة تذكرها ؟ فجاوبه محمد بن مسرة بكلام حسن بليغ وقال له : اتيتك مقتبساً من نورك ، ومستمداً من علمك . وجاوبه احمد بن نصر ايضاً بجواب حسن . ثم قام وقمنا بإثره .

وفيها مات محمد بن محمد بن خـالد القيسي المعروف بالطرزي ، وكان ولي المظالم بالقيروان ، ، لما اراد ابراهيم بن

احمد توليته المظالم اعتذر اليه بان فيه حياء ولين جانب وقلة فقه ، فقال له ابراهيم : امّا الحياء واللين ، فاذا امرت ونهيت زالا عنك . واما قلة الفقه ، فشاور الفقهاء في احكامك. وولاه فلم يكن بالقيروان حاكم اشد صرامة منه .

وفي سنة ٣١٨ خرج حميد بن يصل من المهدية الى تيهرت بغير اذن عبيد الله ، وبنى فيها قلعة وبنى سورها ، وورد حماد بن هاشم الى بلده وصاهره ، واصلح بينه وبين سيار بن عبد الوهاب . فكتب عبيد الله الى يَصَل بن حبوس ان يوجّه حميداً الى المهدية ولا يؤخره ساعة . فرجع حميد اليها ولم يلق من عبيد الله سوءاً .

وفيها نزلت الأمطار بالقيروان ، وصلحت الاحوال ، ورخصت الاسعار بعد ضيق شديد كان فيه الناس ، وغلاء ووباء .

وفيها مات بالمهدية هشام بن الربيع التميمي ، وكان من اهل الخير والفضل ، وناله من عبيد الله الشيعي عقاب ، وضرب بسبب ابن القديم . وأوصى الا يدفن في المهدية ، فسيق الى القيروان ودفن بها .

ذكر صفة مدينة جراوة

كانت مدينة جراوة عليها سور مبني بالطوب ، وبخارجها عيون مالحة ، وداخلها آبار كثيرة طيّبة عذبة ، وحولها أرباض من جميع جهاتها ، وفيها قصبة مانعة ، وبها خمسة حمّامات ، وجامع له خمس بلاطات ، أسسها أبو العيش عيسى بن إدريس سنة ٢٥٧ ، ووليها بعده ابنه الحسن بن أبي العيش في سنة ٢٩١ ، وخرج منها الى حصن المقصورة في سنة ٣١٩ ، ثم عاد اليها في سنة ٣٢٣ ، ثم انتقل عنها الى تلمسان في سنة ٣٢٥ . وكان لها أربعة أبواب ، وحولها فحوص للزرع ، وحولها قرى مدغرة على البحر . وفي الجبل بنو يزناتن ، ومن جهة الشرق بنو يفرن من زناتة ، ومن جهة الغرب قبائل زواغة وغيرهم .

وأما مدينة تاهرت، فأسسها عبد الرحمن بن رستم بن بهرام، وكان مولى لعثمان بن عفان (رضه) ، وكان خليفة لأبي الخطاب أيام تغلبه على افريقية . ولما دخل ابن الأشعث القيروان فرّ عبد الرحمن الى الغرب بما خفّ من أهله وماله ، فاجتمع عليه الأباضية ، وعزموا على بنيان مدينة تجمعهم ، فنزلوا بموضع تاهرت ، وهي غيضة بين ثلاثة أنهار ، فبنوا مسجداً من أربع بلاطات ، واختطّ الناس مساكنهم ، وذلك في سنة ١٦١ . وكانت في الزمان الخالي مدينة قديمة ، فأحدثها الآن عبد الرحن بن رستم ، وبقي بها الى أن مات في سنة ١٦٨ ، وقد تقدّم ذكر ذلك .

ذكر من ملك مدينة تاهرت

من حين ابتدائها من بني رستم وغيرهم

أولهم عبد الرحمن بن رستم : كانت مدته بها سبعة أعوام . ثم وليها ابنه عبد الوارث ، فكانت مدته بها عشرين سنة ، وتوفي سنة ١٨٨ . ثم وليها ابنه أبو سعيد أفلح بن عبد الوارث ، ومات سنة ٢٠٥ . ثم وليها أيضاً ابنه أبو بكر بن أفلح بن عبد الوارث بن عبد الرحمن بن رستم ، فاختلف عليه الأمر ، وأخرجه أهلها من تاهرت ، ثم أعادوه الى أن مات فيها . ووليها بعده أخوه أبو اليقظان محمد بن أفلح ، فكانت مدته سبعاً وعشرين سنة ، ووفاته في سنة ٢٨١ . ووليها بعده أبو حاتم يوسف بن أبي اليقظان ، فأقام فيها عاماً ، واختلف عليه الناس ، واضطرب أمره ، فخرج الى حصن لواتة ، وقامت بينه وبين أهل تاهرت حروب عظيمة .

ووليها بتقديم أهلها يعقوب بن أفلح بن عبد الوارث بن عبد الرحمن بن رستم ، فأقام والياً اربعة أعوام ، ثم خلعوه وقدموا أبا حاتم بن أبي اليقظان ، فأقام ستة أعوام الى ان قتله بنو أخيه سنة ٢٩٤ . ثم وليها يقظان بن أبي اليقظان ، فقتله ابو عبد الله الشيعي ، في خبر طويل ، مع جماعة من أهل بيته ، وذلك في

شوال سنة ٢٩٦ . وانقطع ملك بني رستم من تاهرت في هذا التاريخ .

ووليها في ايام الشيعة أبو حميد دوّاس اللهيصي ، ولاّه أبو عبد الله حين خروجه منها الى سجلماسة ، فأقام فيها ستة أشهر ، حتى أتته العساكر من افريقية ، فافتتحها في سنة ٢٩٩ . ووليها مصالة بن حبوس المكناسيُّ ، الى أن قتله محمد بن خزر الزناتي في شعبان سنة ٣١٢ ، فكانت ولايته بها ثلاث عشرة سنة . ووليها بعده أخوه يصل بن حبوس الى أن توفي سنة ٣١٩ . ثم وليها أبو مالك بن يغمراسان بن أبي شحمة اللهيصيّ ، فقام عليه أهل البلد ، وأخرجوه سنة ٣٢٣ . ووليها أبو القاسم الأحدب بن مصالة بن حبوس ، فقدّموه على أنفسهم ، فأقام عليهم سنة واحدة . فلما انصرف ميسور من أرض المغرب الى افريقية حاربهم حتى ظفر بالبلد ، وقتل أبا القاسم بن مصالة المذكور ، وولى على تاهرت داود بن ابراهيم العجيسي ، فأقام والياً عليها الى أن أخرجه حميد بن يصل في جمادى الآخرة من سنة ٣٣٣ ، في أيام ابي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني . وخرج حميد بن يصل من تاهرت في سنة ٣٣٣ ، في خبر يطول ذكره ، وجاز الى الأندلس . واحتلّ إسماعيل الشيعي مدينة تاهرت وولى عليها ميسوراً الفتى ، فاضطرب عليه أهل البلد لأنه سار

فيهم بسيرة غير مرضية ، فاستدعوا محمد بن خزر الزناتي وابنه الخير ومن معهما من زناتة ، فقدموا الى تاهرت في جمع عظيم ، وأظهروا أنهم ناصرون لميسور ، فخرج اليهم ، فغدروه وأسروه . ودخل بنو خزر وزناتة مدينة تاهرت ونزلوا دار الامارة . ثم اضطرب أمر أهل تاهرت ، وتغلّب عليها يعلى بن محمد اليفرني الزناتي الى ان قدم جوهر قائد الشيعة سنة ٣٤٩ .

وكانت حول تاهرت بساتين من أنواع الثمار ، كثيرة الأشجار . وهي شديدة البرد ، كثيرة الأمطار . قيل لبعض الظرفاء من أهلها : كم الشتاء عندكم من شهر في السنة ؟ قال : ثلاثة عشر شهراً . وقال بعض شعراء تاهرت من قصيدة أولها :

فراغ الهوى شغل ، ومحيا الهوى قتل ،
ويوم الهوى حولٌ ، وبعض الهوى كل

وجود الهوى بخل ، ورسل الهوى عدى ،
وقرب الهوى بعد ، وسبق الهوى مطل

سقى الله تاهرت المنى وسويقة
بساحتها غيثاً يطيب به المحل

كأن لم يكن والدار جامعة لنا
ولم يجتمع وصل لنا ، لا ولا شمل

فلما تمادى العيش وانشقّت العصا ،
تداعت أهاضيب النوى وهي تنهلُ

سلام على من لم تطق يوم بيننا
سلاماً ، ولكن فارقت وبها ثكل

وما هي آماق تفيض دموعها ،
ولكنها الأرواح تجري وتنسلُ

ومما قيل حين قضى الله بخرابها ، وانتقل أهلها عنها وأربابها :
خليليّ عوجا بالرسوم وسلّما
على طلل أقوى وأصبح أغبَرا

المّا على رسم بتاهرت داثرٍ ،
عفته الغوادي الرائحات فأقفرا

كأن لم تكن تاهرت داراً لمعشر ،
فدمّرها المقدور فيمن تدمّرا

وتاهرت القديمة هذه هي التي خربها الخير بن محمد بن خزر الزناتيُ .

وفيها مات بالقيروان من قريش أبو الحسن المطلبي أحمد بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن علي بن زيد بن رُكانة بن عبدون ابن هاشم بن عبد المطلب ، يوم الاربعاء لأربع عشرة ليلة خلت

من جمادى الأولى ، وكان قد صحب عبيد الله بسجلماسة قبل أن يملك القيروان ، فنال بها جاهاً كبيراً في آخر عمره .

وفيها مات محمد بن عثمان الخراساني الفقيه ، صاحب الوثائق بالقيروان ، وكان يذهب مذهب أهل الكوفة ، ولم يكن ممن يقول بخلق القرآن ، وله سماع بمصر من يونس بن عبد الأعلى .

وفي سنة ٣١٩ كاتب موسى بن أبي العافية صاحب الاندلس أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر من العدوة الغربية ، ورغب في موالاته والدخول في طاعته ، وأن يستميل له أهواء أهل العدوة المجاورين له ، فتقبله أمير المؤمنين احسن قبول ، وأمده بالخلع والأموال ، وقوّى أوده ، على ما كان يحاوله من حرب ابن أبي العيش وغيره . فظهر أمر موسى من ذلك الوقت في العدوة ، وتجمّع اليه كثير من قبائل البربر ، وتغلب على مدينة جراوة وأخرج عنها الحسن بن أبي العيش بن إدريس العلوي ودارت بينهما محاربات ومواقعات . وبنى الحسن بن أبي العيش حصناً منيعاً بجبل بينه وبين جراوة أربعة أميال ، وحوله قرى لمدغرة وبني يفرن وغيرهم من القبائل . وكان لأبي العيش أيضاً وبنيه مدينة تلمسان وما والاها ، يسكنها مثل زواغة ونفزة وغير ذلك . وفي ذلك يقول بكر بن حماد :

سائل زواغة عن طعان سيوفه
ورماحه في العارض المتهلل

وديار نفزة كيف داس حريمها ،
والخيل تمرغ في الوشيج الذبّل

غشّى مغيلة بالسيوف مذلّة ،
وسقى جراوة من نقيع الحنظل

ومن جراوة الى تاهرت ثلاث مراحل ، والى حصن تامغلت مرحلتان ، يسكنه بنو دمر من زناتة .

وذكر أنّ تلمسان قاعدة المغرب الأوسط ، قاله البكري ، وصحح قوله كثير من الاخباريين ، ومن كتاب رجار قال : وبين مدينة تلمسان وتاهرت يسكن بنو مرين وجميع قبائل زناتة ، منهم تجين ، ومغراوة ، وبنو راشد، وورتيد ، وغيرهم. قال : واكثرهم فرسان يركبون الخيل ، ولهم معرفة بارعة وحذق وكياسة ، لاسيما بعلم الكتف . وهم منسوبون الى جانا . قال : وزناتة في أصل مذهبهم عرب صراح ، وانما تبربروا بالمجاورة والمجالبة للبربر . وذكر انهم ينتسبون الى برّ ابن قيس بن الياس بن مضر .

ذكر افتتاح مدينة سبتة بالعدوة

وفي هذه السنة افتتحت مدينة سبتة بالعدوة ، على بحر الزقاق من بر العدوة ، التي هي نظام باب المغربين ، ومفتاح

باب المشرقين ، وهي على ما قيل مجمع البحرين ، قاعدة البر والبحر ، واللؤلؤة الحالة من الدنيا بين السحر والنحر . وفي فتحها يقول عبيد الله بن يحيى بن ادريس ، يخاطب الناصر :

بسيفك دانت عنوة وأقرّت
بصائر كانت برهة قد تولّت

وما قرُبت أهواؤها إن تقرّبت
ولا حُلِّيَتْ بالزيّ لما تحلّت

ولكن أزالت راسيات عقودها
عزائم لو ترقى بها العُصم زلّت

ودولة منصور اللواء مظفّر
تُدال بحمد الله من شرّ دولة

فهذا أوان النصر منها وهذه
تباشيرها تُروي الأقاح بسبتة

فشكها امير المؤمنين الناصر بالرجال ، وأتقنها بالبنيان ، وألزم فيها من رضيَه من قواده وأجناده ، وصارت مفتاحاً الى العدوة . قال عريب : وباباً اليها ، وثقافاً على المراسي في ذلك الجانب ، وقامت الخطبة فيها باسم أمير المؤمنين الناصر ، وذلك يوم الجمعة لثلاث خلون من ربيع الاول من العام المؤرخ .

وفيها ورد الخبر على عبيد الله بالمهدية بدخول موسى بن أبي العافية وأهل سبتة في طاعة امير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد الناصر ، وان مركباً نزل من الأندلس بمرسى جراوة لموسى بن أبي العافية ، فهبط اليه الحسن بن أبي العيش ، وأخذ ما كان فيه . فكاتبه موسى وكاتب قاضيه ووجوه أهل موضعه ، وكلموه في ذلك ، فلم يصرف اليه متاعه ، فزحف موسى الى صاع ، فأخرج منها عامر بن أبي العيش وأمّن أهلها، ثم زحف الى زواغة فخرج اليه ابن أبي العيش . فلما رأى كثرة من معه انصرف عنه بغير قتال ، وأحرق ابن أبي العافية بسيط جراوة ، وتجوّل في البلد أياماً ، ودارت بين ابن أبي العيش وبين ابن أبي العافية مراسلات . ورغب ابن أبي العيش في مصالحته ، وصرف ما كان أخذه له ، واصطلحا ، ورجع موسى الى بلده ، ثم زحف ابن أبي العافية الى اوزقور ، فاستمدّ أهل قلوع حارة عليه بابن أبي العيش ، فأمدّهم بخيل ، واغاروا على بعض نواحي ابن أبي العافية واخذوا له جمالاً كثيرة ، وقاسموا الغنيمة ابن أبي العيش . فعادت الحرب بين ابن أبي العافية وبين ابن أبي العيش ، وكاتبَ أهلُ جراوة ابن أبي العافية وضمنوا له دخول المدينة ، فزحف اليها بمن معه ، وأدخله أهلها طائعين . ثم قصد الى المنصور ، فدعاهم الى الأمان،

فأجابه بعضهم وتغلّب على سائرهم ، وقتل بها جماعة . وقيل انه اخذ زوجة ابن أبي العيش القرشية ، وأولاده وخيله وسلاحه ، وأحرق المدينة بالنار ، وانصرف الى محلته ، وبعث زوجة ابن أبي العيش الى أهلها مع ثقات من أهل جراوة . فعظم على الشيعي ما ورده من هذا الأمر وأقلقه . وكتب الى القبائل في الغرب يحضّهم على طاعته ويمنّيهم إمداده ونصره .

ومدينة سبتة مدينة أزلية ، على ضفة البحر الرومي ، وهو بحر الزقاق الداخل في البحر المحيط ، وهي في طرف من الأرض ، والبحر محيط بها من كل ناحية إلا موضعاً ضيّقاً جداً لو شاء أهلها أن يصلوه بالبحر الآخر لفعلوا ، فتصير من جزر البحر . ويجلب الماء الى حماماتها من البحر . وأهلها عرب وبربر . ولم تزل دار علم . وشرقيّها جبل منيف داخل في البحر ، والبحر محيط به ، ويلقط في بعض نواحي هذا الجبل ياقوت صغير الجرم ، عريق في الجودة ، وبحرها يستخرج منه المرجان ، وهو البسّذ . واختُلِف في تسميتها بسبتة ، فقال قوم : سمّيت بذلك لانقطاعها في البحر ، تقول العرب : سبَتّ النعل اذا قطعته . وقال آخرون : إنّ رجلاً من ولد سام بن نوح (عم) اسمه سبت خرج من المشرق لأسباب عرضت له ، فتوغل في المغرب حتى أتى موضعها ، فاختطّ فيه موضعاً

يعمره . ويذكر أشياخنا الحديث المسند عن وهب بن مسرّة الحجريّ ، وذلك أن أبا عبد الله محمد بن عليّ حدثهم عام ٤٠٠ عن وهب بن مسرّة ، عن ابن وضاح ، عن سحنون ، عن أبي القاسم ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي (صلعم) : أن بأقصى المغرب مدينة تسمّى سبتة ، أسسها رجل صالح اسمه سبت من ولد سام بن نوح ، واشتق لها اسماً من اسمه ، ودعا لها بالبركة والنصر ، فما رامها أحد بسوء إلا ردّ الله بأسه عليه . قال ابن حمادة : قال شيخنا العالم أبو الفضل عياض : وهذا الحديث تشهد بصحته التجربة ، فانها ما زالت محميّة عند من وليها من الملوك ، وقلّما أحدث أحد منهم فيها حدث سوء إلا هلك .

قال العذري : كان ملك من ملوك القوط بالأندلس يسمّى بردوش ، فجاز البحر الى سبتة لمحاربة البربر ، فحاصرهم فيها ، ثم تألفوا عليه ، فأمكنته منهم غرّة فقتلهم ، ولم ينجُ منهم إلا القليل . ورجع بردوش الى الأندلس . وبقي البربر فيها الى ان دخلها الروم ثانية ، وكان فيها يليان . وكان عقبة بن نافع (رضه) لما غزا المغرب ودوّخه كله وصل الى سبتة ، فخرج اليه يليان بهدايا وتحف ، واستلطفه ، وكان ذا عقل وتجربة ، فأمنه عقبة وأقره على موضعه . ثمّ دخلها العرب بعد ذلك

بالصلح ، ثم قام البربر بطنجة ، وزحفوا اليها ، فأخرجوا من كان فيها وخرّبوها ، وبقيت مسكناً للوحوش مدة . ثم دخلها رجل من غمارة يسمّى ماجكسن ، فعمّرها وأسلم ، ورأس فيهـا ، وانضافت له البربر ، الى ان هلك .

ثم وليها بعده ابنه عصام بن ماجكسن ، ثم ابنه محمد بن عصام ، ثم وليها الراضي بن عصام ، وكان يحكم فيها برأي فُقهاء الاندلس ، ثم دخلها قوم من قلمسانة ، فاشتروا فيها أرضاً من البربر ، وبنوا فيها دوراً ورمموا مـا تثلم من سورها الذي هو اليوم الستارة ، وكانوا مع ذلك يؤدون الطاعة لبني ادريس ، حتى افتتحها عبد الرحمن الناصر ، ودخلهـا قائده فرج بن عفير يوم الجمعة لليلة خلت من شعبان من سنة ٣١٩ .

ذكر من ولي سبتة لبني امية

فوليها من قِبَل الناصر فرج بن عفير سنة ٣١٩ المذكورة . ثم وليها أحمد بن عبـد الصمد الاغرناطي . ثم وليها محمـد بن حزب الله سنة ٣٢٣ ، ثم عزل . ووليها محمد بن مسلمة في سنة ٣٢٦ ثم عزل . ووليها ابن مسلمة أيضاً الى سنة ٣٣٠ . ثم وليها ابن مقاتل الى أن أسر في شوّال سنة ٣٣٢ ، أسره عنـدهم بنو محمد الأدارسة ، الى أن لحقهم قاضيها محمـد بن أبي عيسى في

رمضان سنة ٣٣٣ ، فجنح بنو محمد الى السلم على يدي القاضي ، فأطلقوا ابن مقاتل ، وبعثوا رهائنهم الى أمير المؤمنين الناصر بقرطبة .. ولم يزل ولاة الناصر يتداولونها الى سنة ٣٤٦ .

وفيها مات أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي ، صاحب الوثائق بالقيروان ، وكان له سماع ونظر ، وتولى كتابة السجلات والأحكام لعيسى بن مسكين ، وله كتب في الوثائق والشروط وفي مواقيت الصلاة .

وفيها مات بمدينة تاهرت يصل بن حبوس صاحبها ، فقدم أهلها على أنفسهم عليّ بن مصالة ، وكتبوا الى عبيد الله بالخبر ، فولى عليهم حميد بن يصل ، وأخرجه اليها في جيش كثيف ، فوصل اليها في ذي الحجة .

وفيها وُلد أبو تميم معد بن اسماعيل الشيعي يوم الاثنين لتسع خلون من شهر رمضان بقصر المهدية .

وفي سنة ٣٢٠ أوقع حميد بن يصل بداود بن مصالة ، وسنان ، وأبي حمليل بن برنو ، وقتل جماعة من أصحابهم ، وحصرهم في حصن أبي حمليل ثلاثة أشهر . وقرىء بذلك كتاب عبيد الله الشيعي على المنابر ، تاريخه يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الآخرة .

وفيها سار موسى بن أبي العافية الى محمد بن خزر أمير

زناتة ، وطوى نحوه المراحل ، فألفاه على حين غفلة ، فقاتله وهزمه وقتل أصحابه ، ثم انصرف الى جراوة .

وكان سبب ذلك أن محمد بن خزر كتب الى موسى بن أبي العافية في أمر ابن أبي العيش بما أحفظه ، وأظهر أنه مؤيّد له عليه . فأنف لذلك موسى ، وخرج اليه ووافعه .

وفيها عُزل عبد الله بن سلمان صاحب الوثائق ، وكان من عمال أبي جعفر البغدادي ، وزنى بابنه ؛ فرفع بذلك عليه خليل الشيعي ، وقال له : يا مولاي ! إنما يعمل البغداديّ في شتر هذه الدولة الزاهرة ، وإدخال العيب فيها . وقد ولى على قضاء إطرابلس والوثائق رجلًا مستهتراً بالمرد . ورفع اليه قول ابن عامر الفَزاريّ في مُرْد افريقية أيام بني الأغلب .

وفيها ذكر ابن سلمان هذا بقبيح من القول . وأول الارجوزة :

وروضة تكسو أديم الأرض

وَشْياً بديعاً من نبات غض

منها على الأرواح قاضٍ يقضي

بياض بعضٍ واحمرار بعضِ

.

وفيها :

نار ابن سلمان على الغزلان
شبيه بدر فوق غصن بان

ما إن له في حسنه من ثان
كأنما صِيغَ من العِقْيان

فلذلك عزله ، وولى قضاء مدينة إطرابلس أحمد بن بحر ، وكان صاحب مظالم القيروان وصلاتها ، باختيار إسحاق بن أبي المِنهال .

وفيها أظهر موسى بن أبي العافية الدعوة لأمير المؤمنين الناصر ، وقام بها ، وذلك في شعبان ، بعد أن تغلّب على نكور ، ودخلها بالسيف ، وقتل صاحبها المؤيَّد بن عبد البديع ابن صالح بن سعيد بن إدريس ، وبعد أن حصر بني محمد في الجبل المعروف بحجر النّسر ، حتى صالحوه على شيء أخذه منهم وزال عنهم .

وفيها مات بمدينة تونس ابو حبيب نصر الرومي ، وله سماع من ابن عبد الحكم ، وكان من اهل الحفظ للمسائل .

وفي سنة ٣٢١ ولي سجلماسة ابو المنصور سمغون بن المعتز ابن محمد ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، فمكث في ولايته

شهرين . وقام عليه ابن عمه محمد بن الفتح المسمى بالامين ، فحاربه وتغلب عليه ، واخرجه من سجلماسة وتملكها . وكان سُنياً يظهر العدل ، إلا أنه تسمى بامير المؤمنين ، وتلقب بالشاكر لله ، وضرب لذلك الدنانير والدراهم ، وذلك سنة ٣٤٢ ، فمكث كذلك الى ان قربت منه عساكر بني تميم مع العبيدي .

ذكر من ولي سجلماسة من حين فتحها الشيعي

ولى عليها الشيعي المزاتي المتقدم ذكره في سنة ٢٩٨، فقتله اهل سجلماسة بعد اقامته خمسين يوماً . ووليها ابو الفتح بن الامين سنتين واشهراً . ثم وليها احمد بن الامين سنة ٣٠٠ ، وبقي بها الى ان حاصره مصالة بن حبوس ، وافتتحها عنوة ، وقتله في محرم سنة ٣٠٩ ، وولى مصالة على سجلماسة المعتز ابن محمد من بني مدرار ، وبقي بها الى سنة ٣٢١ المؤرخة ، وتوفي ، فوليها ابو المنصور المذكور .

وفي سنة ٣٢٢ توفي عبيد الله المهدي ليلة الثلاثاء للنصف من ربيع الاول ، فكانت مدته اربعاً وعشرين سنة وعشرة اشهر ونصفاً. وكان وصوله الى مصر في زي التجار سنة ٢٨٩. وظهر بسجلماسة في ذي الحجة سنة ٢٩٦ وسلّم عليه بالامامة، وانفصل الى رقادة في ربيع الآخر من سنة ٢٩٧ . وبنى المهدية واستقر بها سنة ٣٠٨ . ولما انتقل الى المهدية دخل رقادة الوهن وانتقل عنها ساكنوها ، فلم تزل تخرب شيئاً بعد شيء الى ان ولي معدٌ بن اسماعيل فخرب ما بقي منها .

وكانت رقادة دار ملك بني الاغلب ، ويذكرون ان من دخلها لم يزل ضاحكاً من غير سبب ، وان احد بني

الأغلب شرد عنه النوم ، فلما وصل اليها نام ، فسميت رقادة، فاستوطنها ابراهيم بن احمد ، وانتقل اليهـا من القصر القديم ، فبنى بها قصوراً عجيبة ، وجامعاً ، وحمامات ، وغير ذلـك . وكان تأسيسها سنة ٢٦٣ ، وتأسيس القصر سنة ١٨٤ . وكان ابن الأغلب منع بيع الشراب بالقيروان وأباحه برقادة، فقال بعضهم :

يا سيد الناس وابن سيدهم ، ومن اليه الرقاب منقاده
ما حرَّم الخمرَ في مدينتنا ، وهو حلالٌ بأرض رقاده؟

وأما المهدية فهي منسوبة الى المهدي عبيد الله الشيعي . وبينهـا وبين القـيروان ستون ميـلاً .

وكانت القيروان اعظم مـدن المغرب طُراً ، واكثرها بشراً ، وايسرها اموالاً ، وأوسعها احوالاً . وكان الغالب على اهلها التمسك بالخير والتخلي عن الشبهات واجتناب المحارم ، الى ان توالت الجوائح عليها بدخول العرب لهـا ، على ما يأتي ذكره ، فلم يبق بها إلا أطلال دارسة ، وآثار طامسة . ويذكر انها ستعود الى ما كانت عليه. وهي الآن في وقتنا هذا، وهو آخر المائة السابعة ، قد ابتدأت بالعمارة .

وملك عبيد الله الشيعي افريقيـة ، وجميع المغرب ، واطرابلس ، وبرقة ، وجزيرة صقلية . وكانت عماله على ذلك

كله . وصير ولده ولي عهده الى مصر ففتحها . وكان له ستة اولاد : أكبرهم ولي عهده ابو القاسم ؛ وعمره (اعني عبيد الله الملقب بالمهدي) يوم مات ثلاث وستون سنة .

ثم ولي الامارة أبو القاسم بن عبيد الله

هو أبو القاسم بن المهدي عبيد الله ، بويع له يوم مات ابوه منتصف ربيع الاول من سنة ٣٢٢ المؤرخة ، ولقب القائم بامر الله . وتوفي يوم الاحد الثالث عشر لشوال سنة ٣٣٤ ، فكانت دولته اثنتي عشرة سنة وسبعة اشهر ، وعمره خمس وخمسون سنة .

أولاده : سبعة ذكور .

حاجبه : جعفر بن علي .

ومن قضاته ابن ابي المنهال .

ولم يركب طول امارته بمظلة . قفا سيرة ابيه ، واظهر من الحزن عليه ما لا يعهد لمثله ، وواصل الحزن لفقده وادامه من بعده ، فما ركب دابة من باب قصره منذ مات ابوه الى ان قُبض سوى مرتين . وافتتحت في أيامه مدائن كثيرة من مدائن الروم . وثار عليه عدة ثوار ، فامكنه الله منهم . وممن ثار عليـــه ابن طالوت القرشي ، فسار الى ناحية اطرابلس

ليأخذها ، وهو في عدد كثير ، فقاتلوه وقتلوا جملة من اصحابه ، وزعم انه ابن المهدي ، فقام معه البربر واتبعوه . فلما تبين لهم امره قتلوه واتوا برأسه الى القائم بأمر الله . وكان اول ما بدأ به ابو القاسم الشيعي ان امر عماله في سائر البلدان بعمل السلاح وجميع الآلات الحربية . وأخرج ميسوراً الفتى في عدد عظيم الى المغرب ، فانتهى الى فاس ، وهزم ابن أبي العافية ، وأخذ ابنه اسيراً . واخرج يعقوب بن اسحاق في الاسطول الى بلد الروم ، فافتتح جنوة . واقرّ اباجعفر البغدادي على البريد والكتابة ، وفوّض اليه كثيراً من امور المملكة .

وفي سنة ٣٢٣ بعث القائم بأمر الله عسكراً الى برقة ، قوّد عليه زيدان ، وبعث معه عامراً المجنون ، وابا زرارة ، وجماعة من عساكر برقة الذين بها من كتامة الى مصر ، فدخلوا الى الاسكندرية ، فاخرج اليه محمد بن الاخشيد جيشاً فيه خمسة عشر الف فارس ، فأسر منهم خلقاً كثيراً .

وفي هذه السنة مات الفضل بن علي بن ظفَر ، وكان اديب دهره ، وظريف عصره ، علماً وفقهاً وادباً ووفاء .

وفي هذه السنة وصل ميسور الصقلبي الى مدينة فاس ، فخرج اليه صاحبها احمد بن بكر بن ابي سهل الجذامي ، فغدره وقبض عليه وبعث به الى المهدية ، فقدّم اهلُ فاس

على انفسهم حسن بن قاسم اللواتي، وحارب اهلُ فاس ميسوراً سبعة اشهر فلم يقدر عليهم ، ثم حاصر ابن ابي العافية ، واستعان ببني ادريس عليه ، واعتنى بهم ، ووفى لهم حقهم ، فانجلى ابن ابي العافية امامهم الى الصحراء ، وصار كل ما كان لبني العافية لبني ادريس . وكانت الرئاسة فيهم لبني محمد بن القاسم ، وهم حسن ، وقنون ، وابراهيم المعروف بالرموني . وقنون اسمه القاسم . وكان يلزم مدينة صخرة النسر .

ذكر اخبار الادارسة رحمهم الله

وسبب دخولهم الى المغرب ، وبنائهم مدينة فاس
ومن وليها منهم ومن غـيرهم الى هذه السنة

ذكر العذري وغيره أنّ إدريس وسليمان ابنَي عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضهم) فرّوا من الوقعة التي كانت في أيام جعفر المنصور ، وهي وقعة فخٍّ ، وكانوا ستة اخوة : إدريس ، وسليمان ، ومحمد ، وإبراهيم ، وعيسى ، ويحيى . أما محمد فخرج بالحجاز وقُتل . وأما إبراهيم فقام بالبصرة من العراق ، فقُتل في أيام المنصور . وأما يحيى فقام في الدّيلم ، في خلافة الرشيد ، وهبط على الأمان ، ثم سُمّ ومات . وأما إدريس ففرّ الى المغرب ، ودخل اليه من الطالبيّين في أيامه أخوه سليمان ، فاحتلّ بتلمسان ، وداود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب ، ثمّ رجع داود الى المشرق ، وبقيت ذرّيته بالمغرب . واحتلّ إدريس بن عبد الله بالغرب سنة ١٧٠ ، واستوطن وليلى ، وكانت أزلية . وكان وصوله مع مولاه راشد . ثمّ نزل على اسحاق بن عبد الحميد سنة ١٧٢ ، فقدّمه قبائل البربر ، وأطاعوه . وبلغ خبره هارون الرشيد ، فدسّ

اليه من سمّه . وكان المدسوس اليه رجل يقال له الشمّاخ ، فسمّه وهرب الى المشرق . ومات إدريس في سنة ١٧٥ ، فقام بأمر البربر مولاه راشد . وترك إدريس جارية بربرية اسمها كنزة ، فولدت له غلاماً سمّي باسم أبيه .

فولي ادريس بن ادريس سنة ١٨٧ وهو ابن احدى عشرة سنة ، وقيل : اكثر من ذلك ، وبايعه جميع القبائل . وكانت عدوة القرويين غياضاً في اطرافها بيوت من زواغة ، فارسلوا اليه ، ودبر في البناء عندهم .

فكان ابتداء بناء مدينة فاس سنة ١٩٣ ، وذلك عدوة القرويين . وغزا إدريس بن إدريس نفزة ، ووصل الى تِلِمسان ، ثم رجع ، ووصل الى وادي نفيس ، فاستفتح بلاد المصامِدة ، وتوفي مسموماً سنة ٢١٣ . واختلف في كيفية موته . قال ابن حمادة والبكري وغيرهما : وترك من الولد اثني عشر ، وهم : محمد ، وأحمد ، وعبد الله ، وعيسى ، وإدريس ، وجعفر ، ويحيى ، وحمزة ، وعبد الله ، والقاسم ، وداود ، وعمر .

فولي منهم محمد بن إدريس ، ففرق البلاد على إخوته بأمر جدته كنزة ، فأعطى القاسم طنجة وما يليها ، وأعطى عمر صنهاجة الهبط وغمارة ، وأعطى داود هوّارة تامليت ، وولى عيسى ويحيى وعبد الله بلاداً أُخر . وبقي الصغار من

إخوته . فثار عليه عيسى ونكث طاعته ، فكتب الامير محمد ابن إدريس الى أخيه القاسم يأمره بمحاربته فامتنع ، وكتب ايضاً الى أخيه عمر فأجابه وسارع الى نصرته ، وكان تقدم بين عمر وعيسى تنازع . وتوفي عمر ببلد صنهاجة ، ونُقل الى فاس ، وهو جدّ الحمّوديين . ثم توفي الامير محمد بن إدريس رحمه الله .

فولي يحيى بن محمد بن إدريس، فولى يحيى أعمامه وأخواله أعمالاً ، فولى حُسيناً القبلة من مدينة فاس الى أغمات ، وولى داود المشرق من مدينة فاس : مكناسة ، وهوّارة ، وصدّينة، وولى القاسم غربيّ فاس : لهاتة وكتامة . وتشاغل يحيى عما كان يحق عليه من سياسة أمره . فملكَ إخوته أنفسهم واستمالوا القبائل ، وقالوا لهم : إنما نحن أبناء أب واحد ، وقد ترون ما صار اليه اخونا يحيى من إضاعة أمره . فقدّمهم البربر على أنفسهم تقديماً كلياً . وكان يحيى منهمكاً في الشراب، معجباً بالنساء ، ذكِر أنه دخل يوماً الحمّام على امرأة ، فتغيّر عليه أهلُ فاس ، فكان ذلك سبب هلاكه ، فهرب الى عدوة الأندلس ، فمات بها . وكانت بنته زوج علي بن عمر جدّ الحمّوديين .

ثم ولي علي بن عمر بن إدريس ، وذلك أنه لما هلك يحيى

أتى صهره عليّ هذا ، فدخل عدوة القرويّين وملكها ، وانتقل الأمر عن بني محمد بن إدريس الى بني عمر بن إدريس . ثم قام عليه عبد الرزّاق الخارجي الصفري من مديونة ، فدارت بين عليّ وعبد الرزّاق حروب كثيرة ، الى أن هزمه الخارجيّ واستولى على فاس . ومرّ عليّ الى أوربة ، وملك عبد الرزاق عدوة الأندلسيّين ، ولم يملك عدوة القرويين ، فبعثوا الى يحيى ابن القاسم بن إدريس الذي يعرف بالعوام وقدّمه على انفسهم أهل عدوة القرويين ، ثم ملك بعد ذلك عدوة الأندلسيين ، وأخرج منها عبد الرزاق في خبر طويل . وطالت أيام يحيى هذا بفاس وما والاها من البلاد والأقطار والقلاع ، الى ان قتله ربيع بن سليمان سنة ٢٩٢ .

ثم ولي يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس بن إدريس ، وذلك أنه ، لما مات يحيى بن القاسم ، تقدّم الى فاس يحيى بن إدريس وملكها . ورجع الأمر الى بني عمر بن إدريس خمس عشرة سنة ، الى ان قدم مصالة بن حبوس في سنة ٣٠٧ ، وذلك أنّ مصالة قد قدم الغرب في الردّة الأولى سنة ٣٠٥ ، فابتدأ بالاحسان والاكرام لموسى بن أبي العافية ، وقدّمه على ما استولى عليه من بلاد الغرب . وكان يحيى بن إدريس ، صاحب فاس ، يغير عليه ويقطع عنه أمله . فلما رجع مصالة في سنة

٣٠٧ أقام بالغرب خمسة أعوام ، فكان ابن أبي العافية يسعى في ضرار يحيى وحتفه عند مصالة لما تقدَّم بين موسى ومصالة من المودة ، ولما كان بين موسى ويحيى بن ادريس من العداوة . فعزم مصالة على القبض على يحيى ، فلم يزل يتحيَّل عليه حتى أقبل الى معسكره ، فغدره ، وقبض عليه ، وانتزع ما كان بيده ، وأمره باستجلاب ماله ، فأحضره له من فاس ، وولي فاساً عاملُ مصالة . وانفصل مصالة من الغرب ، وبقي موسى بن أبي العافية في الغرب اميراً .

ثم قام حسن بن محمد سنة ٣١٠ ، وهو حسن بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس ، الملقب بالحجّام ، فأوقع بموسى ابن أبي العافية . وكان بينه وبين رؤساء القبائل وقعة شنيعة ، لم يكن بالمغرب بعد دخول إدريس الكبير مثلها ، قُتل فيها من البربر نحو ألفي قتيل ، وقُتل لموسى في جملتهم ولد يُسمّى منهل . وملك حسن هذا فاساً وما يليها نحو سنتين . ثم قام عليه أهل فاس وغدروه ، وقدَّموا حامد بن حمدان الهمداني وكان يُعرف باللوزي ، وهي قرية بافريقية نُسب اليها تسمّى لوزة . فأخذ حامد حسنَ بن محمد وسجنه ، وأرسل الى موسى ابن أبي العافية ، فأتاه بجيوشه ، ودخل فاساً وتغلب عليها ، وأراد قتل حسن لأجل ابنه منهل الذي كان السبب في قتله ،

فدافعه حامد عنه وكره المجاهرة بقتله . ثم سُمَّ بعد ذلك ، وقيل : أخرجه حامد على السور ، فسقط عنه وانكسرت رجله ، ووصل الى عدوة الاندلسيين فمات بها رحمه الله .

واستولى موسى بن أبي العافية على ملك فاس وبلاد الغرب بعد موت حسن الحجّام . وسُمي بذلك لأنه حارب بني عمه ، فضرب رجلًا بحربة صادف بها موضع المحجم ، ثم صادف ضربة أخرى لشخص آخر في موضع المحاجم أيضاً ، وكذلك ثالثاً . فقال ابن عمه أحمد : صار ابن عمي حجّاماً . فسُمي به . ومن قوله :

وسُمّيتُ حجّاماً ولست بحاجمٍ ،
ولكن لضربي في مكان المحاجمِ

ولما استولى ابن أبي العافية على فاس قتل عبد الله بن ثعلبة بن محارب الأزدي ، وقتل أخاه محمداً ، وهرب والدهما ثعلبة بن محارب الى قرطبة . وأراد موسى بن أبي العافية قتل حامد الذي كان السبب في دخوله فاساً ، فهرب منه وحصل في المهدية . وأجلى موسى بني إدريس أجمعين عن مواضعهم ، وصاروا في مدينة حجر النسر مقهورين ، وهو حصن مانع ، بناه ابراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس . وعزم موسى على محاصرتهم في هذا الحصن ، فأخذ عليه في ذلك أكابر أهل

المغرب ، وقالوا له : قد أجليتهم وأفقرتهم . أتريد أن تقتل بني إدريس أجمعين ، وأنت رجل من البربر ؟ فانكسر عن ذلك ، ولاذ عنهم بعسكره ، وتخلّف لمراقبتهم قائده أبو قمح ، فكانت محلّته قريباً منهم ، فضيّق عليهم ، واستخلف ابن أبي العافية ابنه مِديَن على فاس ، فبقي بها حتى قدم حميد ابن يصال . ولما وصل حميد الى بلاد الغرب ولى على فاس حامد بن حمدان . وكان ولد موسى ، لما سمع بقدوم حميد وحامد ، هرب من فاس . وتظاهر بنو إدريس على قائد موسى بن أبي العافية ، فهزموه وغنموا أكثر عسكره ، وذلك سنة ٣١٧ . ثم قام بفاس أحمد بن بكر بن أبي سهل الجذامي ، فقتل حامد بن حمدان ، وبعث برأسه الى موسى بن أبي العافية ، وبرأس ولده ، فبعث بهما موسى الى قرطبة مع سعيد الزراد . وكان حميد بن يصال ، لما رجع من بلاد الغرب الى افريقية ، ترك موسى بن أبي العافية بغير عهد من أمير افريقية ، فكان ذلك سبباً لسجنه بإفريقية ، الى ان هرب الى الأندلس . وكان موسى يميل لصاحب قرطبة من أمراء بني أميّة .

وفي سنة ٣٢٤ خرّب عليّ بن حمدون المعروف بابن الأندلسي مدينة المسيلة . وكان بينها وبين طبنة مرحلتان . وكان

بقرب المسيلة مدينة للاول تسمى الرمانية ، يطلّ عليها جبل أوراس ، وهو مسيرة سبعة أيام ، وفيه قلاع كثيرة يسكنها هوّارة ، وهم على رأي الخوارج ، وفي هذا الجبل كان مستقر الكاهنة ، وفيه ظهر أبو يزيد مخلد بن كيداد ، وقام على أبي القاسم الشيعي .

وفي سنة ٣٢٥ قدّم أبو القاسم بن عبيد الله الشيعيّ على صقلية خليل بن إسحاق ؛ فعمِل بها ما لم يعمله أحد قبله ولا بعده من المسلمين ؛ أهلكهم قتلاً وجوعاً ، حتى فروا الى بلاد الروم ، وتنصّر أكثرهم ، وبقي بصقلية أربعة أعوام . ولما قدم منها سنة ٣٢٩ قال يوماً ، مفتخراً بظلمه ، في مجلس حضره جماعة من وجوه الناس تكلموا فيه معه في أُمور شتى ، ثم جرى ذكر خروجه الى صقلية ، قال : إني قتلت ألف ألف : يقوله المُكَثّر ، والمُقلّل يقول : مائة ألف ، في تلك السفرة ! ثم قال : لا والله إلاّ أكثر . فقال له أبو عبد الله المؤدّب : يا أبا العباس ! لك في قتل نفس واحدة ما يكفيك . وكان خليل هذا يُكنى أبا العباس ؛ وكان عبيد الله الشيعيّ يُصرفه في الأعمال ، وجبايات الأموال ، ومحاسبة الدواوين والعمال . ثم وقعت فيه أقوال ، فكرهه عبيد الله وأبغضه ، ولولا ابنه أبو القاسم لأهلكه . ومن قول خليل في عبيد الله الشيعيّ وتوغلِه فيه :

إن الإمام أقام سُنّةَ جدّه
للمسلمين كما حذوتَ نعالها

أحيا شرائعه وقوَّم كُتبَها
وفروضها وحرامها وحلالها

وكان الأمير أبو القاسم بن عبيد الله أمر ببناء مدينة المسيلة سنة ٣١٣ ، وجعل المتولي لبنائها ابن الأندلسيّ ، واستعمله بعد ذلك عليها ، الى أن هلك في فتنة أبي يزيد مخلد بن كَيداد سنة ٣٢٦ ، وبقي ابنه جعفر في المسيلة ، وصار أميراً على الزاب كله ، الى أن خرج عنها في سنة ٣٦٠ في فتنة زيري . والشيعة تُسمي المسيلة المحمدية . قال المروزي :

ثم الى مدينةٍ مَرْضيّهْ أُسّتْ على التقوى محمديه

وأما مدينة أشير فبناها زيري بن مناد الصنهاجي ، والدليل على ذلك ما أنشده عبد الملك بن عيشون :

يا ايها السائل عن حربنا وعن محلّ الكفر أشير
عن دار فسق ظالم أهلها قد شيّدت للكفر والزور
أسسها الملعون زيريها فلعنة الله على زيري

وخرَّبها يوسف بن حمَّاد الصنهاجي ، واستباح أموالها ، بعد الأربعين والأربعمائة .

وفي سنة ٣٢٧ قام بالمغرب الأقصى ، ويقال له اليوم الأدنى ، وهو موضع تادلا وتامسنا ، أبو الأنصار بن أبي عفير البرغواطي بعد موت أبيه ، وكان يفي بالعهد والوعد . وسأذكر بعض أخبارهم ، إن شاء الله تعالى .

ومن أخبار أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الزناتي

هو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن وريمت بن تبقراسن بن سميدان بن يفرن ، ويفرن هو أبو الكاهنة ، وتنتسب الى جانا بن يحيى زناتة كلها .

قال ابن حمادة : كان أبو القاسم الشيعي لما مات أبوه عبيد الله أظهر مذهبه ، وأمر بسب ... وغير ذلك من تكذيب كتاب الله تعالى ، فمن تكلم عُذِّب وقُتِل . واشتدّ الأمر على المسلمين . ثم إنّ أبا يزيد هبط من جبل أوراس يدعو الى الحق بزعمه ، ولم يعلم الناس مذهبه ، فرجوا فيه الخير والقيام بالسنّة ، فخرج على الشيعة ، ودخل افريقية ، وخرّب مدنها ودوّخها ، وقتل من أهلها ما لا ينحصر .

وفي سنة ٣٣٢ اشتدّ أمر أبي يزيد بإفريقية حتى فرّ أمامه أبو القاسم الشيعيّ الى المهدية من رقادة . وكان أبو يزيد أحد أئمة الأباضيّة النُكّار بالمغرب . قال الرقيق : وقرأ على عمّار الأعمى . وكان يركب الحمار . وتَسمّى شيخ المؤمنين .

قال ابن سعدون : فبعث الله على أبي القاسم الشيعيّ مخلد بن كَيداد الخارجيّ ، فقهره وقتل جنوده ، وقام المسلمون معه . وخرج الفقهاء والعُبّاد مع أبي يزيد لحربه ، وسمّاهم ابن سعدون في كتابه رَجُلًا رَجُلًا . فركبوا معه ونهضوا الى القيروان ، فدخلها في صفر العام ، وأظهر لأهلها خيراً وترحّم على أبي بكر وعمر (رضهما) ودعا الناس الى جهاد الشيعة ، وأمرهم بقراءة مذهب مالك . فخرج الفقهاء والصلحاء في الأسواق بالصلاة على النبي (صلعم) وعلى أصحابه وأزواجه ، حتى ركزوا بنودهم عند الجامع . فلما كان يوم الجمعة اجتمعوا بالمسجد الجامع ، وركبوا مع أبي يزيد بالسلاح ، ومعهم البنود والطبول ، منها بندان أصفران ، مكتوب في أحدهما البسملة ومحمد رسول الله ، وفي الآخر : نصر من الله وفتح قريب على يدي الشيخ أبي يزيد . اللهم انصُر وليّك على من سبّ أولياءك ! وبند آخر مكتوب عليه : قاتلوا أئمّة الكفر ، الآية . وبند آخر فيه مكتوب : قاتلوهم يعذّبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم . وبند آخر مكتوب فيه بعد البسملة ايضاً : محمد رسول الله ، أبو بكر الصدّيق ، عمر الفاروق . وبند آخر ، وهو السابع ، فيه : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول

لصاحبه لا تحزن إن الله معنا . فلما اجتمع الناس ، وحضر الإمام ، وطلع على المنبر ، خطب خطبة أبلغ فيها ، وحرّض الناس على الجهاد ، وأعلمهم بما لهم فيه من الثواب ، ثم لعن عبيد الله وابنه ، ثم خرج الناس معه لقتال الشيعة فلم يزل قاهراً لهم ، غالباً عليهم ، قاتلاً لجنودهم ، حتى لم يبقَ لهم من بلاد افريقية إلا اليسير .

ولما رأى ابو يزيد أنه قد استولى على الامر او كاد ، وان الشيعي قد كاد يبيد ، أو باد ، قال لجنوده : اذا التقيتم مع القوم انكشفوا عن اهل القيروان ، حتى يتمكن اعداؤكم من قتلهم فيكونوا هم الذين قتلوهم لا نحن ، فنستريح منهم . أراد ان يتبرأ من معرة قتلهم عند الناس ، وأراد الراحة منهم ، لانه ، فيما ظن ، اذا قتل شيوخ القيروان وائمة الدين تمكن من أتباعهم ، فيدعوهم الى ما شاء ، فيتبعونه . فقتل من صلحاء القيروان وفقهائها من اراد الله بسعادته وشهادته . وسقط في ايدي الناس ، وقالوا : قتل اولياء الله شهداء . ففارقوه ، واشتد بغضهم له ، أعني لابي يزيد . ومات ابو القاسم الشيعي محصوراً .

وفي سنة ٣٣٣ قتل ابو يزيد ميسرة الفتى ، قائد ابي القاسم الشيعي ، وكان بين ابي القاسم وابي يزيد حروب كثيرة في

هذه السنة . وكانت الوقعة المشهورة بينهما في وادي الملح ، قتل فيها من اصحاب ابي القاسم عدد لا يحصى .

وفي سنة ٣٣٤ توفي ابو القاسم بن عبيد الله الشيعي ، القائم بامر الله ، وذلك يوم الاحد لثلاث عشرة خلت من شوال من السنة المذكورة ، فكانت مدته اثنتي عشرة سنة .

امارة اسماعيل بن ابى القاسم

ابن عبيد الله الشيعي

كنيته : ابو الطاهر .

لقبه : المنصور .

وكان والده ولاه عهده في رمضان ودعي له على المنابر بافريقية . وكان مولده بالمهدية سنة ٣٠٢ . وولي وسنه اثنتان وثلاثون سنة . وكان فصيحاً بليغاً .

وفي سنة ٣٣٥ وصل أبو يزيد الى المهدية . ثم نهض الى سوسة ، فناوشه أهلها ، فقيل فيه :

ألمَّ بسوسة وبغى عليها ولكن الاله لها نصيرُ
مدينـة سوسة للملك ثغرٌ تدينُ لها المدائنُ والقصور
لقد لُعِنَ الذين بغوا عليها كما لُعنت قُريظة والنّضير
أعزَّ الدينَ خالق كل شيء بسوسة بعدما التوت الأمور

فرفع ابو يزيد عنها ورجع الى المهدية . فلما وصلها دفع حتى ضرب برمحه في بابها ؛ فدخل راجلٌ القصر على إسماعيل ، فوجده يلعب بسلحفاة في الصهريج ، فقال له : تلعب وأبو يزيد يركز رمحه بالباب ! فقال له : أوَقَد فعل ؟ قال : نعم . قال : والله ، لا عاد اليها أبداً ، وقد جاء حتفه . كذا رأينا في كتبنا . ثم أمر في الحين بالركوب والخروج اليه .

وفي سنة ٣٣٦ من الهجرة أَمر المنصور أبو الطاهر ببناء صبرة ، واختطّها ، وسماها المنصورية . قال البكري : ولم تزل المهدية دار ملك بني عبيد الى أن صار منهم ابو الطاهر الى القيروان بعد قتله لابي يزيد ؛ وبنى مدينة صبرة واستوطنها وخلت اكثر أرباض المهدية وتهدمت . ونقل ابو الطاهر سوقة القيروان الى صبرة . وكان لها أربعة أبواب . وبينها وبين القيروان نحو نصف ميل . وكان من المهدية الى مدينة سلقطة ثمانية أميال ؛ ومنها زحف أبو يزيد الى المهدية أيام حصاره لها . وكانت محلة أبي يزيد بترنوط . وفي كتب الحدثان : إذا ربط الخارجيُّ خيله بترنوط ، لم يبق لأهل السواد محلول ولا مربوط . وويل لأهل السواد من محلة ابن كيْداد ! وامتحن اهل باجة أيام أبي يزيد بالقتل والسبي . وقيل في أبي يزيد :

وبعدها باجة أيضاً أَفسدا   وأهلها أخلى ومنها شرّدا

ولما عزم المنصور على مقابلته ومحاربته اعطى جنوده ، وحشد حشوده ، وخرج اليه في عساكره . فمرت الهزيمة على ابي يزيد . وامر اسماعيل الناس باتباعه الى ان دخل بلاد كتامة ، فتعلق بالجبل المعروف بحصن ابي يزيد ، وأُثخن بالجراح ، وقبض عليه حياً ، فجعل في قفص من حديد وجاء به المنصور الى المهدية ، فقتله وصلبه على الباب الذي ضرب فيه برمحه .

قال القضاعي : مـــات ابو يزيد في محرم من سنة ٣٣٦ المذكورة . قال : وامر بسلخه وحشي جلده قطناً وصلبه . وقال ابن حمادة : ولما ظفر بابي يزيـد نهض الى القيروان ، فدخلها في هذه السنة ، فقتل من اهلها خلقاً ، وعذب آخرين ، ولم يزالوا معه في الامتحان الى ان توفي . قال القضاعي : وكان انتقال المنصور الى المنصورية في سنة ٣٣٧ .

وفي سنة ٣٣٩ تحرك ابو الطاهر المنصور بن ابي القاسم بن عبيد الله الشيعي الى بـلاد المشرق ، ورد الحجر الاسود الى مكانه من الركن من بيت الله الحرام ، وذلك بعد خمسة اعوام من دولة المطيع . وكان الذي اقتلعه سليمان بن الحسن القرمطي في سنة ٣١٧ ، في ايام المقتـدر العباسي ، رحمه الله ، والذي تولى قلعه بيده بامر القرمطي جعفر بن ابي علاج . ولـما مات القرمطي وجد اخوتـه الحجر ، فرد الى موضعه في هذه السنة ، ووضعه بيده حسين بن المروزي الكناني. وكانت غيبة الحجر من يوم قلعه الى يوم رده اثنتين وعشرين سنة او نحوهـا . ورئي الحجر الاسود ، في ايام ابن الزبير ، ناصع البياض الا وجهـه الظاهر . وكان اسوداده من لطخ المشركين له بدم القرابين ، ولمسهم له بايديهم ، مع طول الدهر . قال الذئبي : حضرت يوم قلعه ، ويوم رده .

وفي سنة ٣٤٠ ولى أبو الطاهر اسماعيل العبيدي ولده معداً المكنى بابي تميم عهده . وخرج ابو الطاهر متنزهاً الى جلولا ، ورجع منها معتلاً ، وصلى عيد الفطر مريضاً .

وفي سنة ٣٤١ توفي ابو الطاهر اسماعيل الملقب بالمنصور ، ابن أبي القاسم الملقب بالقائم[١] ، ابن عبيد الله المهدي ، وذلك منسلخ شوال من العام ، وله تسع وثلاثون سنة ، فكانت ولايته سبع سنين وخمسة عشر يوماً . وحاجبه جعفر بن علي .

ثم ولي المملكة معد بن اسماعيل

المعز لدين الله العبيدي

وهو معدٌّ بن اسماعيل بن ابي القاسم بن عبيد الله .

كنيته : أبو تميم .

لقبه : المعزُّ لدين الله .

مولده : بالمهدية في رمضان من سنة ٣١٩ .

وولي وله اثنتان وعشرون سنة . وهو أول من ملك مصر من بني عبيد ؛ وذلك أنه لما توفي كافور الاخشيدي أمير مصر بعث المعزُّ لدين الله القائد ابا الحسن جوهراً الى مصر . وكان جوهرٌ غلام والده اسماعيل واصله رومي ، جلبه خادم اسمه صابر ، ثم انتقل الى خفيفٍ الخادم فحمله الى اسماعيل المنصور ، فظهر عنده ؛ فارسله المعز بالعساكر الى مصر ، فافتتحها يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من شعبان . وهرب أعيان الاخشيدية من مصر الى الشام قبل وصول جوهر . وأُقيمت الدعوة للمعزّ يوم الجمعة الموفي عشرين لشعبان من سنة ٣٥٨ في الجامع العتيق ؛ وكان الخطيب ابو محمد الشمساطي . ودعي له بمكة في موسم هذه السنة ؛ ودعا أبو مسلم العلوي بالمدينة للمعز . وسار جعفر بن فلاح الى الشام ، وقبض على

الحسين بن عبد الله وأنفذه الى جوهر ؛ فانفذ جوهرٌ الحسين المذكور مع جماعة من الاخشيدية مع هدية الى المعز ، فوصلت الى افريقية مع ولده جعفر في رجب من سنة ٣٥٩ .

وفي سنة ٣٤٢ فلج خطيب القيروان على المنبر ، ومات ، وتمم الخطبة ابو سفيان الفقيه .

وفي سنة ٣٤٤ ولد للمعز ابي تميم ولد سماه نزاراً .

وفي سنة ٣٤٦ ولي مدينة سبتة والٍ من قبل الناصر عبد الرحمن امير الاندلس وامره بتحصينها وبناء سورها ، فبناه بالكذان.

وفي سنة ٣٤٧ دخل جوهر قائد ابي تميم الى الغرب ، واستولى على مدينة فاس . ثم توجه الى تيطاون ، ووصل الى مضيق سبتة فلم يقدر عليها ، ورجع عنها ، وقصد بعساكره الى سجلماسة ، ففر امامه صاحبها محمد بن الامين الفتح ، وتحصن في حصن على اثني عشر ميلاً من سجلماسة باهله وماله وبعض اصحابه . وكان يلقب الشاكر لله ، وقد تقدم بعض خبره . واستولى جوهر على سجلماسة فملكها . وخرج محمد ابن الفتح من الحصن في نفر يسير ، ليتعرف الاخبار مستتراً ، فغدره قوم من مدغرة عرفوه وأتوا به الى جوهر ، فقتله في رجب . وبقي جوهر في الغرب نحو سنة ، وتوجه الى افريقية.

وفي هذه السنة وصل الى قرطبة الحسن بن قنون ، من بني إدريس ، فارّاً بنفسه أمام جوهر قائد أبي تميم المذكور .

وكان بنو محمد بن القاسم من بني إدريس بن إدريس ، رحمهم الله، أجمعوا على هدم تيطاون ، فهدموها ، ثم ندموا على ذلك ، وشرعوا في بنائها ، فضجّ أهل سبتة لذلك ، لأنّ بناءها ضرر بهم ، فبعث اليهم عبد الرحمن الناصر جيشاً برسم محاربة بني محمد ، وقوّد على الجيش أحمد بن يعلى . وكتب الناصر الى حميد بن يصال ، صاحب تيكيساس وتلك الجهات كلها ، أن يعين القائد المذكور على بني محمد ، فتخلى بنو محمد عن بناء تيطاون لمّا اجتمع العسكران عليهم ، وبعثوا أولادهم مراهن الى قرطبة .

وفي سنة ٣٤٨ وصل كتاب صاحب سبتة الى امير الأندلس عبد الرحمن الناصر ، يعرفه بما فتح عليه في عسكر جوهر قائد الشيعي .

وفي سنة ٣٤٩ وجه ابو تميم المعز لدين الله القاضي الى أئمة المساجد والمؤذنين ، يأمرهم الا يؤذّنوا إلا ويقولوا فيه : حي على خير العمل ، وان يقرأوا بسم الله الرحمن الرحيم في اول كل سورةٍ ، ويسلموا تسليمتين ، ويكبروا على الجنائز خمساً ، ولا يؤخروا العصر ، ولا يبكروا بالعشاء الأخيرة ، ولا تصيح امرأة وراء جنازة ، ولا يقرأ العميان على القبور إلا عند الدفن .

وفي سنة ٣٥٠ توفي حسين بن احمد بن ابراهيم بن محمد بن

إدريس الحسني بقرطبة ؛ وكان رهيناً بها . وخلف ابنين يسميان محمداً وحسيناً ، فلم يزالا مستقرَّين بقرطبة الى خلافة الحكم ، فبعثهما الى اخوانهما ؛ فوصلا في رجب سنة ٣٥٤ ، واستقرَّا ببلادهما بالغرب .

وفي سنة ٣٥١ أخذ الروم مدينة المصيصة ومدينة طرسوس واستولوا عليهما .

وفي سنة ٣٥٢ وفد على الحكم المستنصر بالله أبو صالح زمور البرغواطي رسولاً من أمير برغواطة أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار ، وذلك في شهر شوال من هذه السنة . وكان المترجم عنه باللسان العربي عيسى بن داود المسطاسيّ ؛ فسأله الحكم عن نسب برغواطة ومذهبهم ، فأخبره .

ومن أخبار برغواطة ما خبّر زمور أن طريفاً كان أبا ملوكهم . وهو من ولد شمعون بن يعقوب بن إسحاق عليهم السلام . قال : وكان طريف من أصحاب ميسرة ملك المغرب الذي تقدم ذكره ؛ فلما قُتل ميسرة وافترق أصحابه احتل طريف ببلاد تامسنا فقدَّمه البربر على أنفسهم ، فوليَ أمرهم ، وكان على دين الاسلام ، وإليه تنسب جزيرة طريف . فبقي أميراً عليهم الى أن هلك . وترك أربعة اولاد .

فولي الأمر من بعده صالح بن طريف، وكان مولده سنة ١١٠

من الهجرة ، فتنبأ فيهم ، وشرع لهم ديانة ، وسمى نفسه صالح المؤمنين ، وعهد الى ابنه الياس بديانته ، وأمره ألا يظهر ذلك إلا اذا قوي أمره ، وحينئذ يدعو الى مذهبه ، ويقتل من خالفه فيه من قومه . وأمره بموالاة أمير الأندلس . وخرج صالح الى المشرق ، وزعم أنه يعود اليهم في دولة السابع من ملوكهم ، وزعم أنه هو المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان لقتال الدجال ، وأنه يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً ، وتكلّم لهم في ذلك بكلام كثير نسبه لموسى (عم) ولسطيح الكاهن وغيره .

ثم ولي بعده الياس بن صالح بن طريف ، فأظهر ديانة الاسلام والعفاف ، وبقي أميراً خمسين سنة الى أن هلك . وترك جماعة من الأولاد .

فولي ابنه يونس بن الياس، وذلك بعدما وصل من المشرق، وحجّ ، ولم يحجّ أحد من أهل بيته . فأظهر ديانة جدّه ودعا اليها ، وقتل من لم يدخل فيها ، حتى أخلى ثمانمائة موضع من مواضع البربر، قيل انه قتل منهم سبعة آلاف ونحو السبعمائة . وهلك بعد أن ملك نحو أربعين سنة ، وخرج الأمر عن بنيه .

وقام أبو عفير محمد بن معاذ بن اليسَع بن صالح بن طريف ، فاستولى على ملك تلك البلاد ، ودان بديانة آبائه ،

واشتدّت شوكته وعظم أمره . وكانت له وقائع في البربر مشهورة ، منها وقعة تامعزا أقام القتل فيها ثلاثة أيام ، ومنها وقعة بهت ، عجز الاحصاء عن عد من قتل فيها . وكانت لأبي عفير من الزوجات أربع وأربعون ، وكان له من الأولاد بعددهنّ . ومات بعد أن ملك سبعاً وعشرين سنة .

ثم ولي عبد الله بن أبي عفير ، وهو أبو الأنصار ، وذلك عند تمام المائة الثالثة ، وكان سخيّاً ظريفاً ، يفي بالوعد والعهد ، ويحفظ الجار ويكافىء على الهدية . وصفته : أفطس ، شديد الأدمة في الوجه ، ناصع بياض الجسم ، طويل اللحية . وكان يلبس السراويل والمِلحفة ، ولا يلبس القميص ، ولا يعتمّ إلا في الحرب ، ولا يعتمّ أحد من قومه إلا الغرباء عندهم . وكان في كل عام يحشد ويُظهر أنه يغزو لمن يليه من القبائل ، فيُهادونه ، فيترك حركته . فملك في دعة نحو اثنتين وأربعين سنة .

ثم وليَ أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار ، الذي بعث زموراً هذا الى المستنصر بالله الأموي سنة ٣٥٢ ، وهو عيسى ابن أبي الأنصار عبد الله بن أبي عُفير محمد بن معاذ بن اليسع ابن صالح بن طريف. وكانت سنه إذ وُليَ اثنتين وعشرين سنة، فسار بسيرة أبيه ، ودان بديانته . واشتدّت شوكته وعظم

سلطانه . وكان أبوه قد وصاه عند موته بموالاة أمير الاندلس ، وقال له : أنت سابعُ الامراء من أهل بيتك ، وأرجو أن يأتيك جَدُّك صالح كما وعد . انتهى ما اختصرته من كلام زمُّور .

وقال أبو العباس المذحِجيّ إن يونس القائم بدين برغواطة أصله من شذونة من جهة وادي برباط ، وكان قد رحل الى المشرق في عام ٢٠١ مع عباس بن ناصح ، وزيد بن سنان الزناتيّ صاحب الواصلية ، وبرغوث بن سعيد وكيل الصفرية ، ومناد صاحب القلعة المنادية ، وهي قلعة حماد ، وآخر ذهب عني اسمه . فالاربعة فقهوا في الدين . وادّعى يونس صاحب برغواطة النبوة . قال : وكان يونس شرب دواء للحفظ ، فحفظ كل ما سمِعه ، وطلب علم النجوم والكهانة ، ونظر في الجدل ، وانصرف فنزل بين هؤلاء القوم ، فرأى جهلهم . وكان يخبرهم بأشياء قبل كونها ، مما يدُلُّ عليه التنجيم ، فيكون كما قال ، أو قريباً منه ، فعظم عندهم . فلما رأى ذلك منهم ، وعلم ضعف عقولهم وكثرة جهلهم ، أظهر ديانته ، ودعا الى « اتباعه » وسمي » من اتبعه برباطيّاً ، ثم أحالوه بألسنتهم وردُّوه برغواطيّاً . وكان يونس قد قتل خلقاً كثيراً من البربر ، حتى أطاعوه ، وعلى دينه تابعوه .

وقال سعيد بن هشام المصمودي في وقعة بهت قصيدة طويلة ، منها :

قفي قبل التفرّق فاخبرينا   وقولي واخبري خبراً مبينا
هموم برابر خسروا وضلوا   وخابوا لا سقوا ماء معينا
يقولون : النبيّ أبو عفير   فأخزى الله أم الكاذبينا
ألم تسمع ولم تر يوم بهتٍ   على آثار خيلهم رنينا
رنين الباكيات بهم ثكالى   وعاوية ومسقطة جنينا
هنالك يونس وبنو أبيه   يوالون البوار معظمينا
فليس اليوم ردّتكم ولكن   ليالي كنتم مستيسرينا

يعني بقوله «مستيسرين» من المياسرة أصحاب ميسرة . فأما الضلال الذي شرع لهم ، فانهم يقرّون بنبوّة صالح بن طريف ، وأنّ الكلام الذي ألّف لهم هو وحي من الله تعالى ، لا يشكّون فيه ، تعالى الله عن قولهم . وفرض لهم صوم رجب ، وأكلَ رمضان ، وخمس صلوات في اليوم ، وكذلك في الليلة ، والضحية اليوم الحادي عشر من المحرّم ، وفي الوضوء غسل السُرّة والخاصرتين ، ثم الاستنجاء ، والمضمضة ، وغسل الوجه ، ومسح القفا ، وغسل الذراعين والمنكبين ، ومسح الرأس ثلاث مرّات ، ومسح الأذنين كذلك ، ثم غسل الرجلين من الركبتين . وبعض صلاتهم دون سجود ، وبعضها على كيفية صلاة المسلمين .

وهم يسجدون ثلاث سجدات متصلات ، ويرفعون وجوههم وأيديهم من الأرض مقدار نصف شبر ، ويقرأون نصف قراءتهم في وقوفهم ونصفها في ركوعهم ، ويقولون في تسليمهم بكلامهم : الله فوقنا . لم يغِب عنه شيء في الأرض ولا في السماء . ثم يقولون : مُقُر باكُشْ خمساً وعشرين مرّة ، وتفسيره : الكبير الله . ويقولون : ايسمن باكُش ، تفسيره : بسم الله . وغير هذا . ويتزوّج الرجل منهم ما استطاع من النساء ، ويطلق ويراجع ما أحبّ . ويُقتل السارق بالاقرار والبيّنة ، ويرجم الزاني ، ويُنفى الكاذب ، ويسمونه المُغيِّر . والدية عندهم مائة رأس من البقر . وكل حيوان عليهم حرام ، ولا يؤكل الحوت عندهم إلاّ أن يُزكى ، والديك والبيض عندهم حرام ، والدجاج مكروهة إلاّ أن يُضطر اليها . وليس عندهم أذان ولا اقامة ، وهم يكتفون في معرفة الأوقات بصراخ الديكة ، ولذلك حرّموها . ويتبركون ببصاقه .

وكانوا أعلم الناس بالنجوم . وكانوا أجمل الناس رجالاً ونساء . وقرآنهم الذي وضعه لهم صالح ثمانون سورة أكثرها منسوبة الى أسماء النبيين ، أولها سورة أيوب ، وآخرها سورة يونس ، وغيرهما من أسماء الأنبياء (عم) ، وفيها سورة فرعون ، وسورة الديك ، وسورة الجراد ، وسورة الجمل ،

وسورة هاروت وماروت ، وسورة الحشر ، وسورة غرائب الدنيا ، وفيها علم عظيم عندهم . ولم يزل كثير من القبائل على مذهبهم الى عام ٣٥٢

رجعنا الى نسق التاريخ

كان الحكم امير الاندلس وليَ الخلافة بها سنة ٣٥٠ ، فطاع له المغرب كله . وتمم بناء سور سبتة في عام ٣٥١

وفي سنة ٣٥٣ كتب الحكم المستنصر بالله سجلًا الى أهل سبتة رفع عنهم فيه جميع الوظائف المخزنية والمغارم السلطانية.

قال ابن حمادة : رأيت هذا السجل عند القاضي عياض، رحمه الله ، مؤرخاً بشهر صفر من العام المذكور ، ذكر فيه : وما وقع عليها من المُؤَن السلطانية في التقسيط فهو مضروب على شرف اشبيلية .

وفي سنة ٣٥٤ توفي أبو الطيّب المتنبي ، وكان مولده بالكوفة سنة ٣٠٣ ، وعمره إحدى وخمسون سنة ، وكان أشهر من أن يذكر .

وفي سنة ٣٥٧ توفي الاستاذ كافور بمصر .

وفي سنة ٣٥٨ بعث المعز أبو تميم معد بن المنصور العبيدي

أبا الحسن جوهراً الى مصر ، لما توفي كافور الاخشيدي أمير مصر . فلما وصلها جوهر فتحها في شعبان .

وفي سنة ٣٥٩ أنفذ جوهر الى المعز لدين الله هدية جميلة ، صحبة ولده جعفر ، في رجب .

وفي سنة ٣٦٠ وصل الحسن بن أحمد القرمطي الى دمشق وقتل جعفر بن فلاح . وتغلّبت القرامطة على دمشق ، وصاروا الى الرّملة .

وفي سنة ٣٦١ خرج أبو تميم من المنصورية راحلاً الى المشرق في أواخر شوّال لثمان بقين منه ، واستخلف على افريقية أبا الفتوح .

ابتداء الدولة الصنهاجية بافريقية

ولاية ابي الفتوح يوسف بن زيري
ابن مناد الصنهاجي افريقيـة

لما خرج ابو تميم من افريقيـة الى المشرق استخلفه وأمر الكتّاب أن يكتبوا الى العمال وولاة الأشغال بالسمع والطاعة لأبي الفتـوح . ورحـل أبو تمـيم الى مصر ، فاحتلها وأمـن أهلـها ، واتخذها دار ملكـه . وبقي ابو الفتوح أمـيراً عـلى افريقية والمغرب كله .

قال القضاعي : لما وصل أبو تميم الى الاسكندرية توجه اليه من مصر القاضي ، والشهود ، وأعيان أهل البلد ، مهنئين وداعين ومسلّمين . ثم استقر بقصر المُعِزّ في السابع لرمضان .

وفي سنة ٣٦٣ وصل القرمطيُّ الى الطواحين في جمادى الاولى ، وانهزم في شعبان من هذه السنة .

وفي سنة ٣٦٥ توفي أبو تمـيم المُعِزُّ لدين الله العُبيديّ في يوم الجمعة الحـادي عشر لربيع الآخر ، فكانت ولايتـه ثلاثاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وأياماً ، منها مُقامه بمصر سنتين وسبعة أشهر .

فولِيَ الامارة بمصر العزيز بالله نزار ، المُكنى بأبي المنصور ،

ابن مَعَدّ المُكنى بأبي تميم . وُلد بالمهدية في محرم سنة ٣٤٤ ، ووُلّيَ العهد بمصر في العاشر لربيع الأول سنة ٣٦٥ . وسُترت وفاة أبيه، وسُلِم عليه بامير المؤمنين . وقد ذكرنا بعض أخباره في امراء مصر في أخبار المشرق .

وفي جمادى الآخرة من سنة ٣٦٥ بعث ابو الفتوح أمير افريقية الى العزيز بالله هدية ، فشيعها . وعاد ابو الفتوح الى رقادة ، فخرج اليه أهل القيروان ، فتلقاهم بأحسن قبول ، وأنزلهم أجمل نزول. وبعد ذلك عزم أبو الفتوح على الانتقال الى فحص أبي صالح ، فخرج لتوديعه القضاة والشيوخ لثلاث بقين من رجب من السنة المؤرخة .

وفي ذي الحجة أمر أبو الفتوح العامل على افريقية واليه عبد الله بن محمد الكاتب أن يقيم أُسطولاً بالمهدية مُعدّاً من الرجال والسلاح . فخرج عبد الله الى المهدية ، وأخذ في حشد البحريين في كل بلدة ، وأمر أن يؤخذ كلُّ مَنْ بَقي منهم بالقيروان وغيرها وملأ بهم السجون . وأدرك خاصة البلد وعامتهم من الخوف ما لزموا له البيوت ، وانتهى حالهم الى أنه ، اذا مات أحد عندهم ، لا يخرجه إلا النساء .

وفي سنة ٣٦٦ خرج الاسطول من المهدية في أوّل المحرم ، فتعذّرت الريح عليه ، فأقاموا حتى فرغت أزوادهم في البحر

وعدموا الماء ، فهرب من فيه من النوتيـة والبحرية ، وصاروا الى البر ، ونهبوا ما في المراكب من عدّة وسلاح ، وهربوا الى كل ناحية . فجعل عبد الله يطلبهم ؛ فمن ظفر به قتَله .

وفي هذه السنة توفي زيادة الله بن القـديم في سجن عبد الله ابن محمد الكاتب ، وقيل إنه قتله بأنواع من العذاب .

وفي هذه السنة نادى عامل افريقية والقيروان ، وهو عبد الله الكاتب ، فاجتمع الناس اليـه ، فأخذ منهم نحو ستمائة رجل من اغنيائهم واغرمهم الأموال بالتعيين : يأخذ من الرجل الواحد عشرة آلاف دينار ، ومن آخر ديناراً واحداً ، فاجتمعت له بالقيروان أموال كثيرة . وعمّ هذا الغرم سائر أعمال افريقية ما عدا الفقهاء والصلحاء والأدباء وأولياء السلطان ، وكان الذي جبي من القيروان نيّفاً على أربعمائة ألف دينـار عيناً . وبقي الأمر كذلك في الطلب ، الى ان وصل الأمر من مصر الى ابي الفتوح برفع الغرم عن الناس ، فأطلقهم عبـد الله في أواخر شوال .

وفي سنة ٣٦٧ بعث عبد الله الكاتب عامل افريقية هـذا المال الى ملك مصر العزيز بالله بأمر أبي الفتوح صاحب افريقية من قبل العزيز بالله ، وكتب على كل صرة اسم صاحبها . فكان خروج هذا المال من المنصورية لخمس بقين من جمادى الآخرة .

ولما وصل المال الى مصر ردّ العزيز بالله بعض الصرر لأربابها .

وفي هذه السنة أنعم العزيز بالله على ابي الفتوح بإطرابلس ونواحيها ، فقدّم عليها أبو الفتوح يحيى بن خليفة الملياني ، فأقام بها شهوراً ثم عزله .

وفيها زحف خزرون بن فلفل بن خزر الزناتي الى سجلماسة في عدد عظيم ، فخرج اليه المعتز ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل المعتز لخمس بقين من رمضان . وحكم خزرون سجلماسة ، وأخذ فيها أموالاً جليلة . وبعث خزرون برأس المُعتز الى الاندلس ، واستحكم بها مُلك زناتة وأتباعهم .

وفي هذه السنة وصل ابو الفتوح صاحب افريقية الى سبتة ، فحاصرها . وبعث اليه ابن أبي عامر برأس جعفر بن عليّ ، أراد ان يُرضيه بذلك . وكان ابن أبي عامر قد قتل جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الاندلسيّ . ويأتي خبر قتله في أخبار ابن أبي عامر من أخبار الاندلس .

وفي سنة ٣٦٨ خرج العزيز من مصر الى الشام في عدد عظيم ، ونزل بالرّملة . وكان بين يديه ألف بند وخمسمائة طبل . وكان جوهر قائده خرج في العام الفارط الى الشام ، فهزمه افتيكن التركيّ ، ورجع الى مصر مفلولاً . فخرج العزيز بالله في هذه السنة بنفسه . فلما نزل الرّملة خرج اليه التركيّ ،

فكانت بينهم حروب عظيمة ، فانهزم التركي وأُخذ أسيراً ، فسيق الى العزيز بالله بحبل في عنقه . ولما وصل الى مصر عفا عنه ، ومات بعد ذلك .

وفي هذه السنة دخل أبو الفتوح صاحب إفريقية من قِبَل العزيز بالله بلاد الغرب ، واستولى عليها ، وهدم مدينة البصرة ، ومحا رسمها بعد طول مدّتها وكثرة عمارتها . وكان رحيل أبي الفتوح من افريقية الى الغرب يوم الأربعاء لخمس بقين من شعبان من سنة ٣٦٨ ، فوصل بجيوشه الضخمة الى فاس ، فاستولى عليها ، وملك سجلماسة وبلاد الهبط كلها ، وطرد من جميعها عمال بني أُمية . ثم رحل الى سبتة في طلب من لجأ اليها من زناتة . فلما أشرف عليها تأمّل الوصول اليها ، فرأى من تحصينها ومنعتها ما لا يُستطاع إدراكه إلاّ بالمراكب البحرية ، فرجع عنها ، ولم يعوزه من بلاد المغرب غيرها . ومضى يريد البصرة ، وكان فيها عمارة عظيمة بالاندلس والبربر . فلما دخلها أمر بهدمها ، ونهب ما كان فيها من الاموال والامتعة وجميع الأسباب . فاستحالت الجيوش والأمم عليها ، فصارت كأن لم تغنَ بالأمس . فلم تكن بصرة بالمغرب الى الآن ، ودثر رسمها . وكانت قديمة أزلية . وقد تقدّم ذكرها . ثم صار منها الى أصيلا .

ذكر مدينة اصيلا

وأما أصيلا فهي محدثة . وكان سبب بنائها أنّ المجوس خرجوا بساحلها ، وزعموا أنّ لهم بها أموالاً وكنوزاً ، تركها لهم الأوائل الذين كانوا يسكنون السواحل واخرجهم منها عامة القبائل . فلما نزلوا في البر لأخذ أموالهم اجتمع البربر لقتالهم ، فقالوا : لم نأتِ لحربٍ ، وانما لنا كنوز في هذا الموضع ، فكونوا ناحية حتى نستخرجها ، ونشاركم فيها . فاعتزل البربر عنهم لما سمعوا ذلك منهم . فحفر المجوس مواضعهم واستخرجوا دخناً كثيراً عفناً . فلما رآه البربر ظنّوه ذهباً ، فبدروا اليهم ، وهرب الروم الى مراكبهم . فاصاب البربر الدخن فندموا ، ورغبوا الى المجوس في الرجوع واستخراج المال ، فأبوا وقالوا : قد نقضتم العهد . وساروا الى الاندلس ، فحينئذ خرجوا باشبيلية على ما يأتي ذكره في اخبار الاندلس ، فاتخذ الناس موضع اصيلا رباطاً ، وانتابوا اليه من جميع الامصار . فكانت تقوم فيه سوق جامعة ثلاث مرات في السنة في رمضان ، وفي العواشر ، وفي عاشوراء .

ومما قيدته واختصرته من كتاب المسالك والممالك لمحمد ابن يوسف القروي ، رحمه الله ، قال : ومن المدن القديمة على

ساحل بحر الغرب اصيلا ، وهي في سهلة من الارض ، كانت مدينة للاول ، ثم تغلب عليها البحر ، ثم بنيت بعد ذلك، وكان سبب بنائها ان المجوس خرجوا في مرساها مرتين : اما الاولى فانهم قصدوا اليها زاعمين ان لهم بها مالاً وكنوزاً ، فاجتمع البربر لقتالهم حسبما ذكرت ذلك ، واما خروجهم الثاني فان الريح قذفت بهم اليها ، وعُطبَت لهم اجفان كثيرة عليها ،حتى كان يُعرف ذلك الموضع بباب المجوس . وكان موضعها مِلكاً لقبائل لواتة . فابتناها قوم من كتامة ، فأوّل ما ابتدأوا به مسجد . ثم بنى لواتة مسجداً ثانياً ، وشاع أمرها . فبنى الناس شيئاً بعد شيء ؛ فقصدها التجار من الأمصار بضروب المتاجر في أوقات معلومات لأسواق الغُبار .

فأول من قدِم عليها من الملوك القاسم بن إدريس ، فانه ملكها، وقامت دعوته بها الى أن توفي رحمه الله. ثم وليها ابنه إبراهيم بن القاسم ، فجرت بينه وبين عمر بن حفصون الثائر ببيشتر من الاندلس مراسلات ومكاتبات في شأن النفاق على الخليفة بقرطبة الأمويّ ، الى أن هلك . ثم وليها ابنه حسين ابن إبراهيم بن القاسم ، فاضطرب أمره ، وضعُفَت طاعته ؛ وكانت مدته خمساً وعشرين سنة في قبائل لواتة . وكان اخوه احمد المتولي لأمر كتامة ؛ وكان يُعرف بابي الاذنين . وكان

صاحب البصرة حينئذٍ أخوهما عيسى بن ابراهيم بن القاسم ، الى ان قتله أبو العيش حنون من بني إدريس ، رحمه الله ، فتزوج أخوه أحمد الملقب بابي الاذنين زوجته ، وملك مكانه . وقيل إن زوجته سمّته فقتلته . فصار أمر كتامة وامر البصرة الى يحيى ابن ابراهيم بن القاسم المعروف بابن برهوية ،فاختلفت عليه كتامة ، وكان ذلك سبب دخول بني محمد بلد كتامة وهوارة وتلك الناحية ، واستجاشوا بحسن بن محمد المعروف بالحجام ، فقام بامرهم ، وهلك القاسم بن حسن بن القاسم بن إدريس صاحب أصيلا .

ودخل بنو محمد من بني إدريس مدينة أصيلا ، فاستأثر بها حسن الحجام دون بني عمه ، فولى عليها رجلاً من خاصته يقال له الحجاج بن يوسف ، فأحسن السيرة فيهم ، الى أن هلك. فطلب ولايتها رجل من اهلها يقال له محمد بن عبد الوارث ، فعدا طوره فيها . ويقال إنه اصاب باصيلا كنزاً بداره ؛ ونهي ذلك الى حسن المعروف بالحجام فطمع في ذلك المال وعزله عن أصيلا . ثم وليها ابراهيم بن الغل المكناسي ، وكان ساكناً بها ، بعدما اعطى مالاً لحسن الحجام . فلما وصل الى اصيلا صار محمد بن عبد الوارث الى حسن بمال كثير ، فعزل ابراهيم واعاد ابن عبد الوارث . فسار ابراهيم بهدية الى حسن ، فعزل محمداً

وولاه عليها . ثم عزل ابراهيم وولى محمد بن عبد الوارث .
وكانت عزلتهما وولايتهما نحو سنتين ، الى ان استقر فيها محمد
هذا ، وسمي فأر الصهريج ، يعنون الكنز الذي اصاب فيه .
وتبين لابن عبد الوارث رغبة حسن في ماله ، فاعطـــاه ،
واستقامت له معه جميع احواله مدة . ثم عزله وولى ابراهيم
ابن الغل المذكور ، فبقي بها الى ان حصر ابن ابي العافية بني
محمد في حجر النسر ، فأتاه اهل اصيلا ، وطلبوا منه والياً من
قِبَله ، فولاها سعيد ابن الشيخ الاشبيلي . وهرب ابراهيم بن
الغل الى مدين بن موسى بن ابي العافية ، فوفد عليه وهاداه
وانقطع اليه ، فولاه اصيلا ، فأحسن السيرة ، ورفق بالرعيـة ،
وانصرف الى تسول ، بعدما استخلف على حرب بني محمد رجلًا
من اصحابه يعرف بابي قمح ، فحاصرهم حصاراً شديداً . فلما
ضاق عليهم الامر هجموا عليه ليلًا ، فهرب ابو قمح ، وملك
بنو محمد محلته . واجتمعت قبائل كتامة بقلعة هناك ، فزحف
اليهم بنو محمد الادارسة ، فحاربوهم حتى دخلوا القلعة وقتلوا
من كان فيها . فكان اول فتح بني محمد بن ادريس الحسني .

وبلغ ذلك الى اهل اصيلا ، فكتبوا الى ابن ابي العافية
وذلك في سنة ٣٣٢ ، في حين خروج ميسور الى ارض المغرب ،
فجاوبهم موسى بن ابي العافية ، وامرهم ان يتحصنوا في بلدهم ،

وكتب الى قبائل كتامة ، ولواتة ، وهوارة ، وصنهاجة ، يأمرهم بمعونتهم على البنيان ، فانقسموا على سور المدينة ، وبنوه في ستة اشهر . فهرب وجوه القبائل الى اصيلا ، واجتمع بها ملأ عظيم منهم ؛ فزحف اليهم بنو محمد الادارسة بعساكرهم ، فكانت بينهم حرب عظيمة ، فاستمدوا ابن ابي العافية ، فاعتذر اليهم ، وقال لهم : اكتبوا الى امير المؤمنين ، فأنا وانتم رعيته وتحت طاعته . فكتبوا الى أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر . وكانت مدينة سبتة تحت طاعته . فبعث اليهم الرماة الأنجاد . واتصل ذلك ببني محمد ، فحشدوا الأحشاد ، وزحفوا الى أصيلا ، فحاربوها أربعين يوماً . فخاف وجوه أهلها ، فجازوا الى الاندلس . ودخل بنو محمد أصيلا ، وذلك سنة ٣٣٦ ، وملكوها ، فأمنوا من بقي بها من أهلها . وعاد من جاز الى الاندلس اليها . وحولها من القبائل لواتة في القبلة ، ومن هوارة قوم يعرفون ببني زياد ، بينهم كدية رمل عالية .

قال ابراهيم بن محمد الاصيلي من قصيدة له :

سقى غربيّ أرض بني زياد   سحائبُ ما يجف لها غروب
ولا زال النعيم يعمُّ قوماً   إزاؤهم من الشرق الكثيب

وحولها من القبائل من جهة الغرب هوّارة الساحل .

ذكر من ولي مدينة البصرة

أُسست البصرة في الوقت الذي أُسست فيه أصيلا . وعلى ثمانية أميال منها جبل يقال له صرصر ، كثير المياه والثمار ، يسكنه مصمودة . وأوّل من ملكها إبراهيم بن القاسم بن إدريس نحو أربعين سنة ؛ ثم وليها ابنه عيسى بن ابراهيم ، ثم اخوه احمد بن ابراهيم ، ثم برهون بن عيسى بن ابراهيم ، ثم احمد بن القاسم بن ادريس ، ثم برهون بن عيسى ثانية ، ثم سعيد غلام المظفر من قبل مصالة بن حبوس ، ثم حسن بن محمد بن الحجام ، ثم محمد بن يحيى بن القاسم ولد الحبوطي ، ثم عيسى ابن احمد المعروف بابي العيش ، ثم احمد بن القاسم ثانية ، ثم والٍ من قبل ابن ابي العافية ، ثم ابو العيش بن احمد ثالثة ، ثم احمد بن ابي العيش الى سنة ٣٤٧ .

وكانت مدينة يقال لها كُرت ، في جبل يسمى به الى وقتنا هذا ، خربها بنو محمد ، وهي كانت قاعدة احمد بن القاسم ، الذي يقول فيه بكر بن حماد :

إن السماحة والمروءة والندى　　جمعوا لاحمد من بني القاسم
واذا تفاخرت القبائل وانتمت　　فافخر بفضل محمد وبفاطم
وبجعفر الطيار في درج العلى　　وعليٍّ العضب الحسام الصارم

اني لمشتاق اليك ، وانما يسمو العقاب اذا سما بقوادم
فابعث اليّ بمركب اسمو به ، علّي اكون عليك اول قادم
واعلم بانك لن تنال محبة إلا ببعض ملابس ودراهم

فبعث اليه ببغلة سنية وصِلة جزلة . وكان له فيه امداح كثيرة .

وكان على وادي ورغة حصن كبير يسكنه البربر . فسكن عندهم شخص من الحضر ، فقال في نفسه :

ألا هل اتى اهل المدينة انني بورغة بين الاعجمين غريب
اذا قلت شيئاً قيل: ماذا تريده ؟ لهم بين احرار الوجوه قطوب

وكان هناك حصن ايضاً يعرف بسوق عكاشة ، قريب من ورغة ، لمحمد بن حسن من بني ادريس رحمه الله . وجنيارة حصن كبير في جبل يعرف بالجبل الأشهب ، وهي لبني حصين . وفي ذلك الجبل قرى كثيرة . وهو بمقربة من فاس . ومن أصيلا الى مدينة فاس خمسة ايام على طريق البصرة . ويلي أصيلا من جهة الشرق مدينة طنجة . وكان صاحب طنجة القاسم ابن ادريس . ومن طنجة الى فاس على طريق أصيلا ستة أيام . وفي مدينة فاس عدوتان : أُسّست عدوة الأندلسيين سنة ١٩٢ من الهجرة ، وعدوة القرويّين بعدها بسنة . قال الشاعر :

يا عدوة القرويين التي كرمت ، لا زال جانبك المحبوْر ممطورا
لا امسك الله عنها صوب نعمته ، ارضٌ تجنبت الآثام والزُّورا

ولما خرب أبو الفتوح يوسف بن زيري الصنهاجي أمير افريقية مدينة البصرة رحل بعساكره الى بلد برغواطة . وكان ملكهم صالح بن عيسى بن أبي الأنصار ، وكان فصيحاً شاعراً ؛ فأطاعوه حتى جعلوه نبياً ، وشرع لهم شريعة فاتبعوه ، فضلّ وأضلهم . فغزاهم ابو الفتوح ؛ فكانت بينهم حروب لم يجرِ قبلها مثلها ، كان الظفر فيها لابي الفتوح . وقتل الله الكافرَ ابن عيسى وانهزمت عساكر برغواطة فقتلوا قتلًا ذريعاً ، وسبي من نسائهم وذراريهم ما لا يحصى عدده . وارسل ابو الفتوح سبيهم الى افريقية ، فلقيهم عامله عبدالله الكاتب مع اهل القيروان والمنصورية . وملك أبو الفتوح بلاد الغرب ، فكانت السجلات ترد عليه من مصر ، فتصله على البريد في فاس وغيرها ؛ ثم يرجع بها الى عامل افريقية فتقرأ بعد مدةٍ من تاريخها . واقام ابو الفتوح في بلاد الغرب ، وهو قد ملكها ، وأهل سبتة منه خائفون ، وزناتة مشرّدون ، وذلك من سنة ٣٦٨ المؤرخة الى سنة ٣٧٣ .

وفي سنة ٣٦٩ توفي أحمد بن أبي خالد ، الطبيب الكبير المعروف بابن الجزّار .

وفيها كانت الحُمرة التي ظهرت في السماء ليلة الاربعاء لخمس خلون من ربيع الاول ؛ فخرج النـاس الى المساجـد للضجيج والتضرّع الى الله تعالى . وفي غـد تلك الليلة هرب كبّاب ومغنين ابنا زيري بن مَناد من قصر أخيهما السلطان أبي الفتوح الذي كانا فيه محبوسين ، وقـد لبسا ثياب النساء ، وخرجـا في نسوة دخلن اليهما لزيارتهما ؛ فوجدا عبيدهما قد أعدّوا لهما خيلاً وسلاحاً ؛ فركبـا ، ومضيـا نحو المشرق حتى وصلا مصر ، فأنزلهما العزيز بالله ، وخلع عليهمـا ، ووصلهما . وبقيا هنـالك بقية هذه السنة .

وفي سنة ٣٧٠ صرف العزيز بالله كبّاباً ومغنيناً ابنَي زيري الى أبي الفتوح يوسف بن زيري أمير افريقية ، وأمره أن يعفو عنهما ولا يتعرّض لهما . ففعل ذلك .

وفيها تمكنت حـال يعقوب بن يوسف بن كلس مع العزيز بالله ، فأذلّ كتامة وقهرهم ، وقـدّم الترك والاخشيدية ، وعزل الوزراء جوهراً وغيره .

وفي سنة ٣٧١ دخـل سبْي البرغواطِيّين الى المنصورية يوم السبت لثمان خلون من ربيع الأول ، فرأى أهل افريقيـة من السّبْيِ ما لم يره أحـد منهم لكثرته ، وطِيفَ بهم في المنصورية والقيروان .

وفي هذه السنة وصل باديس بن زيري من مصر برسالة الى أبي الفتوح يأمره بتخير ألف فارس من اخوته الأبطال صنهاجة منهم حبوس، وماكسن، وزاوي، وحمامة، بنو زيري، وبنو حمامة بن مناد، وزاوي بن مناد، ونظرائهم. فكتب اليه من بلاد الغرب يعرفه بتغلّب بني أميّة أمراء الأندلس على بلاد الغرب، وأنّ الدعاء لهم فيه على المنابر، وانه قد خرج لمحاربتهم بهؤلاء الرجال الذين سمّاهم أمير المؤمنين، فإن عزم على بعثهم اليه ترك الغرب وسار بنفسه في جملتهم. فلم يُعِد اليه جواباً فيهم.

وفي جمادى الأولى من هذه السنة كان بالمهدية زلازل دامت الشهر كله وعشرة أيام بعده، تزلزل في كل يوم مرّات، حتى هرب أكثر أهلها وأسلموا ديارهم وما فيها.

وفي سنة ٣٧٢ قُتل أمير صقلية أبو القاسم عليّ بن حسن الحسني في مقابلته مع الافرنج. وكانت ولايته بها إحدى عشرة سنة. ثم ولي ابنه جابر سنة واحدة.

وفي سنه ٣٧٣ اشترى عبد الله بن محمد الكاتب عامل افريقية العبيدَ السودان، وجعل على كل عامل من ثلاثين عبداً الى ما دون ذلك، وكذلك على أصحاب الخراج ووجوه رجاله. فاجتمع له منهم ألوف، وأسكنهم بالمنصورية.

وفيها عمل عبد الله بيت الحديد وملأه أموالاً ، ثم عمل بيت خشب وملأه أموالاً أيضاً . واستخلف على المنصورية جعفر بن حبيب ، وخرج الى المهدية على عادته في كل سنة .

ذكر وفاة أبي الفتوح يوسف

ابن زيري بن مناد الصنهاجي

وفي هذه السنة توفي أبو الفتوح عند قفوله من قتال برغواطة ، وقد انفصل من سجلماسة ، فمات بموضع يقال له وار كنفوا يوم الاحد لتسع بقين من ذي الحجة ، وذلك أن ابن خزرون الزناتي ضرب على سجلماسة فدخلها وأخذ ما كان فيها من الاموال ؛ وكان بها عامل أبي الفتوح ، فأتاه الخبر بذلك ، فرحل اليها ، فاعتلّ في طريقه بقولنج ، فمات بالموضع المذكور . فأوصى لأبي زعبل بن هشام ، وكان من خاصته ، فأرسل الى المنصور يعرّفه بوفاة والده أبي الفتوح .

ولاية ابي الفتح المنصور

ابن أبي الفتوح افريقية

وليَ الامارة في أوائل سنة ٣٧٤ بمدينـة أشير ، وتوفي يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الاول من سنة ٣٨٦ ، فكانت مدّته اثنتي عشرة سنة، ودُفن بالمنصورية . وكان كريماً ، سمحاً ، جواداً ، صارماً ، عازماً .

قال الرّقيق : وقـد ذكرتُ سيرتَه ، وحروبه ، وعطاياه في كتاب مفرد لاخبـار جدّه وأبيه وأخباره . وكان لقَبُه عُدّة العزيز بالله بن يوسف العزيز بالله .

وفي هذه السنة، وهي سنة ٣٧٤ ، بعث المنصور أخاه يطوفت من مدينة أشير ، لما بلغه موت أبيه ، وأمره أن يطوي المراحل الى القيروان والمنصورية برسم القبض عـلى عبد الله بن محمد الكاتب ، وكان بالمهدية ، ونائباه على المنصورية جعفر بن حبيب ، وعلى القيروان برهون العـامل ، فصبجهم يطوفت سحَر يوم الثلاثاء منتصف المحرّم . فنظر يطوفت الى الخزائن مغلقة وإلى بيت المال مقفلاً ، فأخذ المفاتيح وفتح بيت المـال وبيت السلاح ، وفرّق عـلى أصحابـه وركّب من كان مترجلاً من الصنهاجيين بالمنصورية . ثم خرج ، والتقى مع عبد الله الكاتب

في بعض الطريق ، فوثب عليه وأرجله عن فرسه ، وانتُهبت أسبابه ، واعتُقِل بالمنصورية أياماً . ثم أمر المنصور باطلاقه ورفع يده عن البلد . ثمّ عاد الأمر الى عبد الله ، فأمر بالقضاة ووجوه الناس من شيوخ القيروان وغيرهم ، وتوجه معهم برسم التهنئة والتعزية للمنصور . فوصلوا اليه وسلموا عليه بمدينة اشير . فقال لهم المنصور : لقد شقّ عليّ تعبكم في حركتكم ، غير أنّ سروري في رؤيتكم . ثم شكر عبد الله الكاتب وذمّ فعل أخيه به ، ثم أمر عبد الله الكاتب أن يدفع للوافدين عليه عشرة آلاف دينار ضيافتهم . فدعوا له وانصرفوا . ثم استدعاهم بعد ذلك وقال لهم : إنّ أبي وجدّي أخذا الناس بالسيف قهراً ، وأنا لا آخذهم إلا بالاحسان . وما أنا في هذا الملك ممن يولي بكتاب ويعزل بكتاب ، لأني ورثته عن آبائي وأجدادي ، وورثوه عن آبائهم وأجدادهم حمير ؛ وكلاماً في هذا المعنى ، ثم أمرهم بالانصراف مع عبد الله الكاتب ، فكانت مدة مسيرهم ورجوعهم خمسة وثلاثين يوماً .

وفي رجب قدم المنصور الى رقادة، فتلقّاه عبد الله الكاتب في خلق عظيم من أهل القيروان ، فأظهر للناس الخير ، ووعدهم بكل جميل . وأتاه العمال بالهدية والأموال ، وأعطاه عبد الله هدايا جليلة . ثم أخذ المنصور في جهاز هدية بعثها الى مصر مع

زروال بن نصر ؛ فقيل إنّ قيمة ما كان فيها من الأمتعة والدواب والطرف ألفُ ألفِ دينار عيناً . وأقام المنصور برقادة ، فأمر بعمل سرج مكلل بالدُّر والياقوت ، فخرج به الى العيد في أحسن زيّ ، وخرج اليه من القيروان خلق عظيم ؛ فصلى بالمصلى ، وخطب القاضي ابن الكوفي ، وانصرف المنصور الى قصره . وولد له ولد سمّاه باديس بن المنصور ليلة الأحد لثلاث عشرة من ربيع الأول من هذه السنة .

وفيها أعطى المنصور لاخيه يطوفت العساكر ، ووجّهه الى مدينتي فاس وسجلماسة يطلب ردّهما وردّ تلك البلاد الغربية إذ كانت خرجت عن طاعة صنهاجة عند وفاة أبي الفتوح ، فوصل الى مدينة فاس ، وكان بها زيري بن عطية الزناتيّ الملقب بالقرطاس . فلما أحسّ بوفادة يطوفت بن أبي الفتوح عاجل بالخروج اليه والهجوم عليه ، فقاتله قتالاً شديداً حتى انهزم يطوفت ، وظفرت زناتة بصنهاجة فاتبعوهم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وأسروا آخرين ، وهرب الباقون الى تاهرت . وهزم في هذه الوقعة قائدان له ، اسمهما ابن شعبان وابن عامل ، فسُمِّر ابن شعبان على باب فاس ، وقُتل ابن عامل شرّ قتلة . وبقي زيري بن عطية مالكاً لفاس وما حولها .

ولما بلغ المنصور هزيمة أخيه خرج من المنصورية يوم

الاربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي الحجة برسم الغرب ، ومعه عبد الله الكاتب ، واستخلف عبد الله على القيروان ابنه يوسف ، ثم رجع عبد الله بعد ذلك بعِمالة افريقية كلها . وبعث المنصور الى أخيه يطوفت بجيش آخر ، فتلقاه بتاهرت . ولم يتعرض المنصور بعد ذلك الى بلاد زناتة .

وفي سنة ٣٧٥ أمر أبو الفتح المنصور أن يُعمل بجامع القيروان أبواب من حديد ، وأمر ببناء قصره الكبير .

وفيها كان مولد أبي عليّ منصور، وقيل : المنصور بن نِزار العزيز بالله ، بمدينة القاهرة في يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الاول .

وفي سنة ٣٧٦ ظهر أبو الفهم الخُراسانيّ الداعي ، واجتمع اليه خلق كثير من كتامة . وكان يوسف بن عبد الله الكاتب قد أعطاه مالاً وخيلاً ، فتوجّه بذلك لبلد كتامة ، فدعاهم ، فاجابوه . واستقرّت أموره عندهم ، حتى صار يركب الخيل ، ويجمع العساكر ، ويعمل البنود ، ويضرب السكة ، فعظم أمره وشاع خبره .

وفيها جدّ يوسف بن عبد الله الكاتب في بناء قصر المنصورية للمنصور أبي الفتح ، فبلغ انفاقه فيه قبل تمامه مائة ألف دينار .

وفي سنة ٣٧٧ وصل المنصور أبو الفتح صاحب افريقية الى

المنصورية ، فنزل في قصره الذي بُني له ، وأتى معه عبد الله الكاتب وجموع عساكره ، ووجوه بني عمّه ورجاله .

وفي هذه السنة كان مقتل عبد الله الكاتب وابنه يوسف ، وذلك أنّ عبد الله بن محمد الكاتب بلغ مع المنصور بن أبي الفتوح ما لم يبلغه احد من قرابته وأهل بيته ودولته ، وانحصرت أموره كلها تحت قبضته ، فجمع الأموال ، ورتب الأحوال والأعمال ، وأعطى السياسة والرئاسة حقها . فحسده كبراء أهل الدولة ، وألقى عنه حسن ابن خالته الى المنصور اموراً من القدح في دولته ، وأنه هو كان السبب في خروج الداعي الثائر أبي الفهم بكتامة ، وأنه كان يصغّر خبره حتى تفاقم أمره ، وغير ذلك من الأسباب المهلكات .

وكان عبد الله الكاتب ، لثقته بنفسه ، لا يداري أحداً من أولاد زيري ولا أكابر الدولة . فلمّا أحسّوا من المنصور بعض التغير عليه أكثروا من الذم فيه والوشي به اليه ، فقال له ابو الفتح المنصور : اعتزل عن عمل افريقية ، واقتصر على الكتابة . وكل من تولي متصرّف بين يديك وتحت امرك . فكان جوابه أن قال : القتلة ولا العزلة . فلما كان يوم الأحد لاحدى عشرة ليلة خلت من رجب غدا الى ديوان كان قد بناه ، فجلس فيه لانتظار ركوب المنصور ، وبيده جزء من القرآن يقرأ فيه ، حتى قيل له : قد ركب . فأطلقه ، وركب فرسه برسم لقائه وهو يقول :

ومن يأمن الدنيا يكن مثـل قابض
على المـاء خانته فروج الأصابـع

فلما وصل اليه المنصور نزل عبد الله اليه وسلم عليـه ، ثم وقف ، فدار بينهما كلام كثير لم يقف أحد على صحته ، ثم طعنه المنصور برمحه ، فجعل أكمامه على وجهـه ، وقال : على ملة الله وملة رسوله . لم يسمع له غير ذلك. وضربه عبد الله أخو المنصور برمح بين كتفيـه ، فسقط الى الأرض ميتاً . ثم أُتي بابنه يوسف ، فضربه المنصور وماكسن بن زيري فسقط ميّتاً . وكان عبد الله ، لما تنكـّر له المنصور ، لا يزال يتمثّل بهذا البيت :

أرى ألفَ بانٍ لا يقوم لهادم ،
فكيف ببانٍ خلفه ألف هادم !

وكان يتمثل أيضاً بقوله :

لي مدة لا بُدّ أبلُغها ، حتى إذا قضيتها مِتُّ
لو صارعتني الاسد ضارية لصرعتها ما لم يَجِ الوقتُ

ولما مات عبد الله وابنه دار العسكر على الناس ، فانتهبوهم وسلبوهم ، وقطعوا الطرق ، فأخذوا كل من وجـــدوا من المسافرين وغيرهم ، ومالوا الى وادي القصّارين والى باب تونس أحد أبواب القيروان ، فنهبوا ما كان عند القصّارين ، فذهبَتْ

في ذلك اليوم أموال المسلمين ، وقُتل خلق ممن دافع عن نفسه وماله . ودُفن عبد الله في الاصطبل دون غسل ولا كَفن .
وولي أعمال افريقية من قِبل أبي الفتح المنصور يوسف بن أبي محمد ، وكان عاملاً على قفصة ، فأعطاه البنود والطبول وخلع عليه ، وولاه افريقية مكان عبد الله يوم الخميس لخمس بقين من شعبان من السنة المؤرخة .

وفي سنة ٣٧٨ تحرّك أبو الفتح المنصور بعساكره الى بلاد كتامة ، فمرّ على ميلة وأمر بخرابها وهدم سورها ، وأمر أهلها بالمسير منها الى باغاية ، فاجتمعوا وساروا اليها . فلقيهم ماكسن بن زيري بعسكره ، فاخذ ما كان معهم من مال وغيره . وكان المنصور في هذه الحركة لا يمرّ بمنزل ولا قصر ولا دار إلا أمر بهدمه . ولما وصل المنصور الى كتامة حاربوه ، فظفر بهم وقتلهم واستأصلهم . وهرب الثائر أبو الفهم الى جبل وعر ، فأرسل اليه المنصور من أخذه . فلما صار بين يديه أمر به ، فلُطم لطماً شديداً ونُتفت لحيته حتى أشرف على الموت .

مقتل الثائر ابي الفهم

وذلك أنه ، لما صار بين يديه ، وعمل به ما تقدم ذكره ، أمر بخروجه ، وقد بقيت فيه حشاشة من الروح . فأخذه بعض

رجاله ، فنحره وشقّ بطنه ، وأُخرجت كبده فشوِيَتْ وأُكِلتْ . وأخذه عبيد المنصور فشرّحوا لحمه واكلوه ، حتى لم يبقَ إلا عظامه متجرّدة ، وذلك يوم الثلاثاء لثلاث خلون من صفر . وقُتِل بسببه والي ميلة وجماعة من كتامة . ونزل بكتامة الذلّ والهوان . وبقيت ميلة خراباً . ثم عُمّرت بعد ذلك . ورحل ابو الفتح المنصور قافلاً الى المنصورية والقيروان . وفي هذه السنة دخل الوادي الى المنصورية وهدم دورها .

وفي سنة ٣٧٩ وصل الى المنصور سعيد بن خزرون الزناتي من الغرب ، فأعطاه وأرضاه ، وقال له يوماً : يا سعيد هل تعرف من هو أكرم مني ؟ قال نعم : قال: ومن هو ؟ قال : أنا . قال له المنصور : ولمَ ذلك ؟ قال : لأنك جدت عليّ بالمال ، وجدت أنا عليك بنفسي . فولى سعيداً هذا مدينة طبنة . وقدم عليه بعد ذلك جماعة من الزناتيّين ، فأكرمهم وأعطاهم ، وزوّج المنصور ابنته من وروا بن سعيد .

وفي هذه السنة خالف ابو البهار بن زيري ، فزحف اليه المنصور الى تاهرت ، ففر ابو البهار امامه الى الغرب . ودخل عسكر المنصور تاهرت ، فنهبوا وقتلوا ، ثم أمنهم بعد ذلك ، ورجع المنصور عن تبع عمه ابي البهار ، وولى على تاهرت اخاه

يطوفت ، ومضى المنصور الى مدينة اشير . وكتب ابو البهار
الى ابن ابي عامر يسأله الدخول في طاعته ، وان يكتب له
الى زيري بن عطية الزناتي صاحب فاس ان يكون عنده ، وكان ابن
عطية موالياً ومصافياً لابن ابي عامر ، فكتب ابن ابي عامر
الى ابي البهار : ان كنت على نية فيما وصفته عن نفسك
فارسل اليّ ابنك ، يكون رهينة عندي ، وأفعل لك ما
احببته . فوجه اليه ابنه في مركب مع ميمون المعروف بابن
الدابّة كاتبه . فعطب المركب ، وماتا جميعاً في البحر .
فوجه اليه ولده الآخر ، فوصل اليه ، فوجه ابن ابي عامر
لأبي البهار اموالاً وكسىً ، وكتب الى زيري بن عطية في حقه
أن يعاضده وينصره ويكون معه . فلما بلغ ذلك أبا البهار
وصل الى فاس ، واتفق مع زيري بن عطيّة صاحبها .

واما العامل على افريقية ، يوسف بن أبي محمد المتقدّم
الذكر ، فكان مشتغلاً بالأكل والشرب ، فاذا دخل الورد
اصطبح عليه ، فلا يظهر حتى يفنى الورد وينقطع . وكان يجلس
فيه وينام عليه ، فسُمي شيخ الورد . وأسلم الامور لابن
البونيّ ، فكان أهل الحاضرة معه في أمن وعافية ، وأهلُ البادية
في عذاب وغرامة . وكان جباراً عنيداً ، وسمحاً جواداً ، وكان
يخرج في كل سنة ، فيدور على كور افريقية ، ويجبي الأموال ،
ويأخذ الهدايا من كل بلد ، ويرجع .

قال الرقيق : كنا اذا دُرْنا مع يوسف بن أبي محمد على البلدان، واستطاب موضعاً، وأعجبه حسنه، أقام فيه مصطبحاً الشهر والشهرين ، وأبو الحسن البوني يجبي الأموال ، ويقبض الهدايا ، ويقوم بأمور يوسف وعسكره . وكان يعطي لخاصّة يوسف في كل يوم خمسة آلاف درهم، وينفق على يوسف لمطبخته وفاكهته نحو هذا المال المذكور .

وفيها توفي عامل صقلية عبد الله بن محمد بن أبي الحسن ، وولي ابنه يوسف ، فكان الناس في ايامه على افضل ما يشتهون، واستقامت له الأمور ، وادّاخ بلاد الروم ، وظهر من كرمه وجوده وعدله ما هو معدوم في كثير من البلدان .

وفي سنة ٣٨٠ توفي المرصدي ، صاحب خراج القيروان . وأمر أبو الفتح المنصور بولاية محمد بن عبد القاهر بن خلف الخراج مع سلامة بن عيسى ، فجلسا معاً في ديوان خراج المنصورية .

وفي سنة ٣٨١ توفي القائد جوهر بمصر وهو الذي فتحها، فلم يبق شاعر بمصر الا رثاه ، وذكر ما فتحه شرقاً وغرباً .

وفيها وصل المنصور الى المنصورية ، ودخل قصره الجديد ، فخرج اليه اهل القيروان يتلقونه ، فأدناهم واثنى عليهم ووعدهم خيراً . ثم رفع له في عبد من عبيده انه قذف بعض

الصحابة (رضهم) فأمر بقتله وصلب جثته ، ونودي على رأسه بمدينة القيروان .

وفي سنة ٣٨٢ ظهر ابو مناد باديس بن ابي الفتح المنصور بقصر والده ، واسدى اليه جماعة من الناس على قدر احوالهم .

وفيها ترك المنصور البقايا للرعايا .

وفيها قبض على البوني وابنه ، وطلب منهما مالاً كثيراً ، فانكراه ، وكان المنصور قدر أنه يأخذ منهما اموالاً يفتخر بها على ضيوف كانوا عنده في يوم طلبها ، وقال لهم : لو ان عبداً من عبيدهم طلب منه بيوت مال لوجد ذلك عنده. فصادف انكار البوني ذلك المحل ، فأمر بذبح البوني ، وعزل يوسف ابن ابي محمد عن عمالة افريقية ، وولى مكانه محمد بن ابي العرب الكاتب .

وفيها وصل سجل من العزيز بالله بولاية العهد لابي مناد باديس بن المنصور ، فسر المنصور بذلك ، وجاءته الهدايا من كل جهة ومكان .

وفيها كان وصول سعيد بن خزرون من مدينة طبنة الى المنصورية ، فلقيه المنصور وعانقه ، ثم دخل معه الى قصره وانزله ، واجرى عليه الارزاق الواسعة . فاعتل سعيد بن خزرون اياماً ، ومات في اول رجب ، فكفنه المنصور بسبعين ثوباً .

وفي هذه السنة وصلت هدية من بلاد السودان ، فيها زرافة ، فخرج المنصور حتى دخلت بين يديه .

وفيها وصل الى المنصور فلفل بن سعيد بن خزرون بعد موت ابيه ، فاعطاه ثلاثين حملاً من المال ، وثمانين تختاً من انواع الكسى ، وخيلاً بسروج محلاة ، وعشرة من البنود الجدد المذهبة ، ورده الى مدينة طبنة اميراً عليها .

وفي سنة ٣٨٣ خرج باديس بن المنصور الى مدينة أشير .

وفيها وصل الى المنصور كتاب أخيه يطوفت يخبره بوصول عمه ابي البهار اليه ، فكتب اليه المنصور ان يبعثه ، فكان وصول ابي البهار الى المنصورية ليلة الاثنين منتصف شعبان ، فأعطاه المنصور كسى وجواري وفُرُشاً ، وسر به اعظم سرور ، وانزله احسن نزول .

وفي سنة ٣٨٤ كان دخول ابي مناد باديس بن المنصور الى المنصورية من جهة الغرب ، وهي اول حركة ، فتلقّاه ابوه بالعساكر واهل القيروان وغيرهم .

وفيها كان وصول الهديّة من مصر مع جعفر بن حبيب ، ومعه فيل عظيم .

وفي سنة ٣٨٥ مات الأمير عبد الله بن يوسف بن زيري بن مناد .

وفيها كان خروج القائد يوسف بن ابي محمد عاملاً على متيجة . وفي جمادى الآخرة وصل قاسم بن حجاج الى المنصورية من مصر برؤوس الروم الذين قتلهم مارق الكتاميّ بحلب .

وفي سنة ٣٨٦ توفي ابو الفتح المنصور عدّة العزيز بالله بن يوسف العزيز بالله بن زيري بن مناد الصّنهاجي في يوم الخميس لثلاث خلون من ربيع الأول ، ودفن بقصره الجديد الخارج عن المنصورية . وكانت ايامه احسن ايام .

امارة ابي مناد باديس بن ابي الفتح

ابن ابي الفتوح يوسف بن زيري بن مناد

ولما صارت الأمور اليه اتاه الناس من كل ناحية بإفريقية للعزاء والتهنئة . وكان بنو زيري وبنو حمامة قد همّوا بأمور وخالفوا من جاء معهم على ما عقدوه ، فما تركهم عبيد باديس وعبيد ابيه الى شيء مما ارادوه . ووصل ابو بيباش يطوفت بن ابي الفتوح الى المنصورية للعزاء والتهنئة ، ثم رجع الى طبنة وجهة الغرب في اواخر شعبان .

وفي هذه السنة توفي ابو المنصور نزار العزيز بالله العبيدي صاحب مصر في حوض الحمام ، وكانت به علة الحصى ، وشرب دواء في الحوض وادركه اجله فيه فمات . وولي مكانه ابو علي ولي عهده ، الملقب بالحاكم بأمر الله .

وكان ابو مناد قد هيأ هدية ليبعثها للعزيز ، فبرزت الهدية من المنصورية الى رقادة مع جعفر بن حبيب لست خلون من رمضان . وكان العزيز بالله قد بعث سجلاً الى ابي مناد يأمره فيه برفع القاضي محمد بن عبد الله بن هاشم الى مصر ، فوصل السجل والقاضي مريض ، فأمره ابو مناد بالخروج مع الهدية ، فاعتذر بعلته ، فبعث الى داره محمد بن ابي العرب وجماعة

رجال الدولة ، وذلك لثلاث خلون من ذي القعدة ، ووقف العسكر بباب ابي ربيع ، وظنوا ان أهل القيروان يمنعونه منهم ويحولون بينه وبينهم ، فهجموا عليه ، وحملوه ببساطه الذي كان مريضاً عليه في ثيابه التي يلبسها في داره لانهم فاجأوه ، وخرجوا به محمولاً ، وقد اجتمع عند داره خلق عظيم ، ولم ينطق احد منهم ، ومشوا به الى رقادة ، وخلفه غلام نصراني يمسكه واولاده وقرابته يمشون خلفه . واغتم بمسيره سائر الناس وظهر عليهم الحزن والاسف لفقده ، وكثر الدعاء له والثناء عليه . ثم جاءت الأخبار بوفاة العزيز بالله ، فأمر ابو مناد برجوعه الى داره مكرّماً معظّماً .

وفي هذه السنة مات ابو محمد بن ابي زيد ، رحمه الله .

وفي سنة ٣٨٧ تواترت الأخبار بموت العزيز بالله .

وفيها رجع القاضي الى داره وهو مريض ، فازداد مقداره عند الناس . وفي صفر عقد أبو مناد ولاية أشير لحمّاد ابن أبي الفتوح يوسف بن زيري بن مناد ، فخرج عاملاً عليها ، وأعطاه خيلاً كثيرة وكسىً جليلة ، ثمّ اتسعت عمالته ، وكثرت عساكره ، وعظم شأنه .

وفي ربيع الآخر وصل القاضي الباهري من مصر الى المنصورية ، فبرز أبو مناد بعساكره له ، وخرج بجميع رجاله

اليه ، فرأى ما لم يرَ مثله . ووصل المذكور بسجلّين ، فقرئا بجامع القيروان والمنصورية : احدهما بولاية أبي مناد وتلقيبه نصير الدولة ، والثاني بوفاة العزيز بالله وخلافة الحاكم بامر الله ، والجواب عن وفاة المنصور عدة العزيز بالله . وكان معه سجل ثالث بأخذ العهد على باديس وجماعة بني مناد للحاكم. فجلس ابو مناد ودعا وجوه الصّنهاجيين واخذ عليهم البيعة . ثم رجع القاضي الشريف الباهري الى مصر ، بعد ان وصله ابو مناد بمال جليل .

وفي هذه السنة خرج نصير الدولة الى المصلّى بزيّ جليل وهيئة حسنة ، وبين يديه الفيل وزرافتان ، وجمل ابيض ناصع البياض لم يرَ الناس مثله قط .

وفي سنة ٣٨٨ وصلت الى نصير الدولة هدية من مصر تشتمل على الجوهر والأعلاق النفيسة ، فتلقاها ، ودخلت بين يديه الى المنصورية .

وفيها كانت وقعة بمصر بين الترك والكتاميين كان الظفر فيها للترك عليهم .

وفي سنة ٣٨٩ زحف زيري بن عطية صاحب فاس وما والاها من بلاد الغرب الى مدينة تاهرت ، فنزل عليها وحاصرها ، وكان يطوفت بن يوسف بن زيري صاحبها ، فكتب الى ابن اخيه امير افريقية يستمده ، فبعث اليه محمد بن ابي العرب .

ذكر هزيمة عسكر افريقية

واستيلاء زيري بن عطية عليه ، وظهور زناتة على صنهاجة

لما وصل كتاب يطوفت الى باديس نصير الدولة أمر نصير الدولة محمد بن أبي العرب الكاتب بالخروج بالعساكر الى زناتة ، فكان تبريزه في منتصف صفر من هذه السنة . ونهض بالعساكر حتى بلغ أشير وبها حمّاد بن يوسف بن زيري عاملاً عليها ، ومعه عسكر عظيم ، فأقام بها يسيراً ثم رحل ، ورحل حماد معه بعسكره ، حتى وصلا الى تاهرت ، فاجتمعا بيطوفت ومعه ايضاً عسكر عظيم ، وكان اجتماعهم بتاهرت غرة جمادى الاولى. وكان بتاهرت زيري بن عطية نازلاً بموضع يقال له آمسّار على مرحلتين من تاهرت ، فزحفوا اليه ، فكانت بينهم حرب شديدة ، وكان معظم عسكر حمّاد الوتلكاتيّين ، وكان قد أساء عشرتهم . فلما حمي الوطيس واشتدّ البأس ولّوا منهزمين ، فاتّبعهم جميع العساكر الافريقية . فرام ابن أبي العرب رد الناس فلم يقدر ، فولّت الهزيمة على الجميع ، حتى وصلوا الى أشير ، وقد أسلموا محلاتهم ومضاربهم وكل ما فيها من الأموال والسلاح وغير ذلك ، فاحتوى زيري بن عطيّة واخوانه على جميع ما ذكرنا ، وقتل منهم خلق كثير ، وأُخذ أسرى كثيرة ،

فوعدهم بجميل ، ثم أطلقهم عند وصوله الى تاهرت ، فمضوا حتى وصلوا الى أشير . وبقي ابن أبي العرب وحماد ويطوفت بأشير. وبقي زيري بن عطيّة الزناتي على تاهرت .

وكانت هذه الوقعة والهزيمة يوم السبت لأربع خلون من جمادى الأولى من هذه السنة . ووصل الخبر الى المنصورية لعشر بقين منها ، فخرج نصير الدولة صاحب افريقية من المنصورية للقاء زيري بن عطيّة يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الآخرة، ورحل حتى وصل الى طُبنة ، فبعث في طلب فلفل بن سعيد ابن خزرون الزناتي ، وكان على طبنة ، فخاف منه ، وبعث يعتذر له ويسأله أن يكتب له سجلاً بولاية طبنة ، فكتبه له وبعث به اليه ، ورحل عنه نصير الدولة باديس ، وتمادى في رحيله . فلما بلغ فلفلاً أنه قد أبعد عنه ضرب على جهة من جهاته ، فأكل ما حولها ، ونهب ، وأفسد ، ومضى الى باغاية فحاصرها ، وأفسد تلك الجهات كلها ، وأكل ما والاها ، ونصير الدولة في هذا كله متماد على سيره ، حتى وصل أشير . ولما وصل الى المسيلة رحل زيري بن عطيّة عن تاهرت ، فصمم اليه نصير الدولة . ثم وصله الخبر أنه توجه الى ناحية فاس ، فعند ذلك رجع نصير الدولة الى تاهرت وأشير ، واستخلف يطوفت على تاهرت ابنه أيوب في أربعة آلاف فارس . وبلغ نصير

الدولة ما فعل فلفل بن سعيد ، فأرسل من أشير عساكر تقدّمت اليـــه ، ثمّ رحل بعدهم ومعـه أبو البهار بن زيري ، حتى وصل الى المسيلة ، فعيّد بها عيد الفطر . ووصل الى أبي البهـار فيه الخبر بأن اخوتـــه ماكسن وزاوي ومغنين نافقوا بأشير ، وأنهم قد قبضوا عـلى يطوفت ، فرحل أبو البهار هارباً في بنيه ورجاله وعيـاله . ورحـل نصير الدولة ثالث شوال الى افريقية . فلما بلغ الى بلزمـة بلغه أن فُلفل ابن سعيد تمادى الى القيروان ، فرحل الى باغاية ، فعرّفوه مـا قاسوه من قتال فُلفل وأنه حاصرهم خمسة وأربعين يوماً ، فرحل من باغـاية في طلب فلفل ، فالتقى معـه لعشر خلون من ذي القعدة ، فكانت بينهم حروب لم يُسمع بمثلها . وكان قد اجتمع لفلفل من البربر مـا لا يحصى عدداً و كثرة ، فـانهزم فلفل الى جبل الخناش ، حسبما اذكره ، واتبعته صنهاجة والعبيد . فلما رأوه تمادى منهزماً رجعوا عنه ونهبوا محلته . وقُتل في ذلك اليوم نحو سبعة آلاف من زناتة . وأرسل نصير الدولة كتاب الفتح الى مدينة القيروان .

وفي سنة ٣٩٠ خرج نصير الدولة في طلب فلفل بن سعيد . فلما علم فلفل انه لا طاقة له بلقائه هرب الى الرمال وافترق جمعه . فرجع نصير الدولة الى افريقية ومعه أبو البهار بن زيري ، وقد اعتذر له مما فعـل اخوانه ، فقبِـل عذره . ثم رجع فلفل

الى اطرابلس ، وتمادى نصير الدولة الى ان وصل قصر الافريقي ، فبلغه حينئذ أن بني زيري رجعوا الى الغرب خوفاً منه ، وأنه لم يبق مع فُلفل منهم سوى ماكسن وابنه محسن ، فرجع نصير الدولة الى المنصورية حضرتِه .

وفي أول رجب من هذه السنة خرج نصير الدولة الى رقّادة متوجهاً لقتال زيري بن عطية الزناتيّ أمير الغرب ، لما بلغه أنه أتى الى أشير . ثم جاء الخبر برحيل زيري بن عطية الى الغرب ، فرجع نصير الدولة الى المنصورية .

وفي سنة ٣٩١ خرج نصير الدولة في طلب فُلفل ثانية . ووصل كتاب يوسف بن عامر عامل قابس يذكر فيه أن فلفلاً رحل الى اطرابلس من على قابس لست بقين من رجب . ولما وصل فلفل الى اطرابلس خرج اليه فتوح بن علي وجماعة اهلها ، فتلقّوه وأدخلوه البلد ، فاستوطنها من ذلك الوقت .

وفي هذه السنة وصل رسول حمّاد بن يوسف العزيز بالله يذكر أنه زحف الى عمه ماكسن بن زيري ومن معه ، فقُتل ماكسن وولداه محسن وباديس بعد حروب شديدة ، وذلك بعد ثلاث خلون لرمضان المعظّم .

وفيها توفي زيري بن عطيّة الزناتيّ ، صاحب فاس والغرب كله ، وذلك في الثاني عشر من رمضان المذكور من السنة المؤرخة ، بعد قتل ماكسن بتسعة أيام .

بعض اخبار زناتة ودولتهم بالغرب

الى حين ظهور المرابطين

وذلك أنّ زناتة كانت تقوم بدعوة الأمويين لما تقدَّم لهم من هجرة جدِّهم خزر بن صولات ، وإسلامه على يد عثمان بن عفّان (رضه). وكانت صنهاجة تقوم بدعوة العبيديّين . ووقع بينهم حروب كثيرة . وقام ببلاد الغرب زيري بن عطيّة الخزريّ المغراوي ، وملك فاساً وغيرها ، وصار أمير زناتة كلها في ذلك الوقت . وكان يدعو لبني أُميّة في دولة هشام المؤيّد ، إذ كان المقيم لها ابن أبي عامر حاجبه ، وهو يحارب اعداءه وأضداده صنهاجة أمراء افريقية .

قال ابن حمادة : وكان قد وصل الى قرطبة ، واجتمع مع ابن أبي عامر سنة ٣٧٩ . وكان بأرض الغرب في خدمته من تلك السنة وموالاته مع سعة ملكه وبعد صيته ، الى أن فسد ما بينهما سنة ٣٨٧ ، ووقع بينه وبين المظفّر حروب يطول ذكرها .

قال ابن حيّان : ثم إنّ زيري بن عطيّة المغراوي نكث على ابن أبي عامر بعد الحبّ الشديد والوفاء الأكيد ، وطعن على ابن أبي عامر سلبه لملك هشام ، وامتعض لهشام المؤيد ، وغلبة ابن أبي عامر عليه ، فأنفذ له ابن أبي عامر واضحاً فتاه في

جيش كثيف ، فقاومه بالمغرب ، ودارت بينهم حروب عظيمة . ثم أردفـــه ابن أبي عامر بولده عبد الملك ، وهبط هو الى الجزيرة الخضراء يمدُّهم بالقوّاد والأجنـاد . وبرز عبد الملك من طنجة الى زيري ، ودارت بينهم حروب لم يُسمع بمثلهـا في الحروب الغـابرة ، انجلت عن هزيمة زيري واستئصال رجاله وحاله ، ونجـا مثخناً بالجراح . وانبسط مُلك عبـد الملك ابن أبي عـامر على الغرب ومـــا والاه الى سجلماسة وعلى تِلِمسان وتاهرت . وقفل الى الأندلس سنـة ٣٨٩، واستخلف على بلاد الغرب واضحاً المغاري ، فأقام بفاس مدة ، وانصرف الى الانـدلس ، وخلّف على فاس عبـد الله بن أبي عامر ابن أخي المنصور ، ثم تـلاه اسماعيل بن البوري ، ثم تـلاه ابو الأحوص معن بن عبد العزيز ، وبقي فيها الى ان توفي محمد بن أبي عامر ، فصرفها ابنه عبـد الملك المظفر الى المعز بن زيري بن عطية ، وقد استحكمت ثقته به وحسن رأيه فيه ، فولاه عـلى فاس سنة ٣٩٧ على أن يعطيه المُعِزُّ عِدّة من الخيل والسلاح يحملهـا كل سنة الى قرطبة ، وقبض عـلى ابنه المسمى مُعَنصراً رهينة ؛ فاستقامت طاعـة المُعز ، وأقـام ابنه بقرطبة الى أن نشأت الفتنة وانقرضت الدولة العامرية ، فانصرف معنصر الى أبيه ، ومضى أبوه عـلى رأيه في موالاة مَن ظهر بالاندلس من

المروانية ، الى أن هلك بعد صدرٍ من الفتنة ، وأورث ولده حمامة مُلْك فاس وما والاها .

وقد ذكر الورّاق ذلك ، وشرحه شرحاً كافياً ، وقال : لما توفي زيري بن عطية في سنة ٣٩١ أقام بنو عمه ابنه المُعز مكانه . وذكر استجداء المعز للمظفر بن أبي عامر ، وإرساله اليه ، وتقليد المظفر له ولاية المغرب ، على ما تضمّنه من خيل وسلاح وغيرِ ذلك ، ورهنه المعز ولديه حمامة ومعنصراً . وذكر موت المظفر ، وتقديم أخيه عبد الرحمن بحجابة هشام المؤيد ، وبلغ المعز بن زيري ذلك ، فاحتفل في هدية عظيمة يهديها له ، وذلك سبعمائة من الخيل وأحمال كثيرة من درق اللمْط وجُملة كبيرة من المال والسلاح ، وسائر ما بالمغرب من الطرف ، ووصل قرطبة مع هذه الهدية فتيان من بني عمه وجملة من شيوخ القبائل ووجوه فاس ، فسُرّ عبد الرحمن بذلك ، وشكر المعِزّ ، وسرّح ابنيه اليه ، بعد أن كساهما وأرضاهما ، وكتب للمُعِزّ عهده بتجديد ولاية الغرب كله إلا مدينة سجلماسة فإنه كان قد عقد ولايتها لواضح الفتى قبل ذلك ، وولاها واضحٌ وانودينَ بن خزرون اليفرني وابن عمّه زيري بن فلفل على مال ضمِناه له وعدّة من الخيل والدّرق معلومة ، وجملة من المال في كل سنة . ورهنه كل واحد منهما ابنه . فامتثل المعزّ ابن زيري ما أمره به عبد الرحمن بن أبي عامر .

وبقي المعزّ أمير الغرب الى أن انقرضت الدولة العامرية ، ثم انقرضت المروانية وانشقت عصا الأمة ، ومرج أمر الناس بالأندلس ، وصار المسلمون شيعاً متفرّقين ، يقتل بعضهم بعضاً وينهب . وفعل اهلُ المغرب مثل ذلك ، فكثر فيه الشتات ، وشنّ الغارات بعضهم على بعض . وأقام المعِزّ بن زيري يداري أمره ، الى أن حانت وفاته سنة ٤١٦ .

وولي مكانه ابنه ابو العطاف حمامة بن المعِزّ بن زيري بن عطيّة ، وكان له حظ من المعرفة والأدب وحسن السياسة ، فكانت مدينة فاس في أيامه هادنة راخية ، وكان الشعراء يقصدونه من الأندلس . وجرت له حروب كثيرة الى أن حانت وفاته سنة ٤٣٣ .

وولي ابنه دوناس بن حمامة ، فقام عليه بنو عمّه ، ولم يزل أمرهم يضعف ودولتهم تدبر الى ان قام بمدينة فاس اميران بالعدوتين ، وكانت الحرب تقوم بينهما . وجرت بين ذلك أمور وخطوب لا يحسن ذكرها لشناعتها ، إذ الدول ، اذا أدبرت ، كل ما يجري فيها يقبح ذكره ، الى أن شاع خروج لمتونة من الصحراء ، واستيلاؤهم على بلاد المصامدة ، وخلعهم لملوكهم وناموس عدلهم ، ودخل عبد الله بن ياسين مدينة أغمات وما يليها ، فخافت زناتة ، وأجفلت عن جهة

الشرق حيث مستقرُّها . ولما قتل عبد الله بن ياسين رجعت زناتة الى المغرب ، وقتلوا كل من اتَّهموه بالميل الى أصحاب اللثام ، فحاربهم الصحراويون . ووجَّه أبو بكر بن عمر يوسف بن تاشفين ، فحارب رؤساء القبائل ، واستفتح بلاداً كثيرة .

وفي خلال ذلك كان الجوع الشديد الذي يُعرف بسنة أُوقية بدرهم من الدراهم الخندوسية ، وذلك في سنة ٤٤٤ . ورجع الفتوح بن معنصرٍ الزناتيّ من المشرق ، وكسر عسكر مدينة فاس سنة ٤٥٤ .

وفيها كُسرت مكناسة ولواتة : كسرهما قائد أبي بكر ابن عمر اللمتوني .

وفي سنة ٤٥٤ وطىء بُلُجّين بن محمد بن حماد الصنهاجيُّ جميع الغرب ودوَّخه بجيوش عظيمة .

وفي سنة ٤٥٩ دخل ابراهيم بن مليح الكزنائي مدينة فاس ، وأخرج منها معنصر بن حمّاد الى الشرق . ثم رجع الى فاس ، وقتل كل من اتهمه بالميل الى المُلثَّمين . ثم رجع يوسف الى المغرب ، وهرب معنصر . وقتل يوسف سدراتة ودخل مدينة فاس واستولى عليها وعلى أكثر الغرب . هكذا ذكر أبو مروان عبد الملك بن موسى الورّاق في كتابه المقباس في أخبار

فاس . وأما يوسف الكزنائي ، صاحب مكناسة ، فتوفي سنة ٤١٢ . واما تولالا فتوفي بالقلعة ، وولي ابنه مهدي في هذه السنة . واما ابن أبي العافية إبراهيم فتوفي في سنة ٤٥٠ ، وولي ابنه عبد الله ، وكان بنو أبي العافية أصحاب تسول وملوية ونكور ، وهي المزمة ، وتوفي عبد الله سنة ٤٦٠ ، وولي ابنه محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن أبي العافية . وأما تلمسان والزاب فكان فيهما يعلى الزناتي ، ومات في هذا التاريخ أو قريباً منه ، وقام فيها بنوه . وما وراء الزاب من بلاد الغرب لم يملكه العباسيون قط . اما تلمسان وأنظارها فوليها محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي (رضه) ومن ولده أبو العيش عيسى بن إدريس بن محمد المذكور. واما فاس وانظارها فكان فيها شيعة ، ثم آل أمرها الى إدريس ابن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي (رضه) . وأما تامسنا فكان فيها أولاد صالح بن طريف على ضلالتهم . وأما سجلماسة فنزلها عيسى بن سمغون ، رئيس الصفرية . فهذه هي البلاد المتفق عليها ، وأما المختلف فيها فافريقية : قيل انه كان فيها عبد الرحمن بن حبيب ثائراً ، وبالأندلس يوسف الفهري أميراً .

رجع الخبر الى نسق التاريخ

وفي سنة ٣٩٢ توفي أبو طالب شيخ المعتزلة ولسانهم ، وله تسع وستون سنة .

وفي هذه السنة كان خروج يحيى بن عليّ بن الأندلسي من مصر بالعسكر ، فكان وصوله الى إطرابلس يوم الجمعة لتسع خلون من ربيع الأول . وكان متولي التدبير في الوقت زيدان الصقليّ ، فاختلفت عليه أمور العسكر مع سوء عقله وضعف تدبيره ، ووصل الى فلفل فاستخفّ به واحتقره .

وفيها في رمضان المعظم توفي المنصور بن أبي عامر على ما يأتي في موضعه .

وفي سنة ٣٩٣ وصل يحيى بن عليّ بن الأندلسي ، ومعه فلفل بن سعيد وفتوح بن عليّ ، الى مدينة قابس ، فحصروا عطيّة بن جعفر . وخرج في تلك الأيام الى قابس عشرون رجلًا من الناشبة ، فعُرِّف بهم فلفل ، فبعث في طلبهم ، فلما أُتي بهم ضرب أعناقهم ، وكان وصولهم اليها يوم الاثنين لأربع عشرة خلون من شعبان من هذه السنة . ثم انصرفوا راجعين الى إطرابلس . ولما رأى يحيى بن عليّ اختلال الحال عليه ، ولم يجد ما يعطي لرجاله ، عاد ببقيّتهم الى مصر ، بعدما أخذ

فلفل وأصحابه ما أحبوه من خيولهم ، بين شراء وغصب ، فلما وصل الى صاحب مصر الحاكم بأمر الله أراد الايقاع بـه ، وبعد ذلك عفا عنه وقبل عذره .

وفي سنة ٣٩٤ قتل الحاكم بأمر الله منجّمه البكري بمصر ، وكان هذا ضعيف العقل ، أحمق ، وكان له بصر بالقضايا .

وفيها قتـل الحاكم جماعة كبـيرة من وجوه رجاله ، وأحرقهم بالنار .

وفيها قتل المعروف بابن خريطة .

وفيها قتل ابن الغازي المنجّم .

وفي سنة ٣٩٥ كانت بإفريقية شدة عظيمة انكشف فيـها المستور، وهلك فيها الفقير ، وذهب مال الغنيّ، وغلت الأسعار، وعدمت الأقوات ، وجَلاَ أهل البادية عن أوطانهم، وخلت أكثر المنازل فلم يبق لها وارث ، ومع هذه الشدّة وباء وطاعون هلك فيه أكثر الناس من غني ومحتاج ، فلا ترى متصرفاً إلا في علاج ، أو عيادة مريض ، أو آخذاً في جهاز ميّـت ، أو تشييع جنازة ، أو انصراف من دفن . وكان الضعفاء يجمعون الى باب سالم ، فتُحفَر لهم أخاديد ويُدفن المـائة والاكثر في الأخدود الواحد ؛ فمات من طبقات الناس وأهـل العلم والتجار والنساء والصبيان ما لا يحصي عددهم إلا خالقهم تعالى ؛ وخلت المساجد

بمدينة القيروان ، وتعطلت الأفران والحمّامات . وكان الناس يوقدون أبواب بيوتهم وخشب سقوفهم . وجاء خلق من أهل الحاضرة والبادية الى جزيرة صقلية . وكانت الرُّمانة بدرهمين للمريض في ذلك الوقت ، والفرُّوج بثلاثين درهماً . وقيل ان أهل البادية أكل بعضهم بعضاً . كذا ذكر أبو اسحاق الرقيق .

وفي سنة ٣٩٦ كثر الخصب بافريقية ، ورخصت الأسعار ، وارتفع الوباء عن الناس .

وفيها ثار ببرقة الوليد بن هشام ، وادّعى أنه من بني أُمية من ولد المُغيرة ؛ وكان ظهوره في العام الفارط عن هذه ؛ وكان معلماً ببرقة ، فرأى في أهل برقة فرصة ، فانتسب لهم وعرّفهم أن عنده روايات وعلماً ، وأنه هو الذي يملك مصر ويقتل الجبابرة ، وأعانه على ذلك قوم من لواتة وزناتة ، فنصبوه إماماً واجتمعوا عليه . ثم أقبل البربر من كل ناحية اليه ؛ فزحف الى برقة وحاصرها حتى فتحها ، وذلك في رجب من العام الفارط ؛ ثم قوي أمره في هذه السنة ، فأخرج الحاكم اليه جيشاً ، فكان بينهم قتال شديد ، الى أن ُهزم عسكر مصر وقُتل قائده .

وفيها توفي عامل افريقية محمد بن أبي العرب .

وفيها قتل الحاكم قاضيه وأحرقه بالنار على أكله أموال الأيتام .

وفي سنة ٣٩٧ استفحل أمر الثائر ببرقة الوليد بن هشام ، وكثرت جموعه وأتباعه . فأخذه الحاكم بالحيلة ، فدعا وجوه رجاله وقوّاده ، وأمرهم أن يكاتبوه ويعرّفوه أنهم على مذهبه ، وأنه إن قرب منهم صاروا في جملته . فلما تواتر ذلك عليه وثق به وزحف بكلّ من معه من قبائل البربر الى مصر ، فخرجت اليه عساكر مصر ، فهزموه ، ولحق بأرض السودان . ثم أُخذ أسيراً وأُدخل مصر على جمل ، فطيف به بثياب مشهّرة ، ثم قتل شر قتلة في منتصف شوال .

وفيها ولي عمالة افريقية القاسم بن محمد بن أبي العرب بعد موت أبيه ، فأقرّ رجاله على مراتبهم واستعان بهم .

وفي سنة ٣٩٨ توفي صاحب المظالم بإفريقية محمد بن عبد الله، وكانت وطأته قد اشتدّت على أهل الرّيب والفساد بالضرب والقتل وقطع الأيدي والأرجل ، لا تأخذه فيهم لومة لائم .

وفي سنة ٣٩٩ هرب أولاد محمد بن أبي العرب من المنصورية يريدون فلفل بن سعيد بن خزرون الزناتي بإطرابلس ، فأرسل نصير الدولة الى صاحب قابس يأمره أن يقطع بهم ، فلحق بهم المذكور ، وأخذ منهم عليّاً ويوسف ، فقطع رأسيهما ووجّه بهما الى المنصورية منسلخ المحرّم . ووصل القاسم بعد ذلك ، فعفا عنه .

وفي سنة ٤٠٠ توفي فلفل بإطرابلس بعلّة أصابته . وولي مكانه وروا ، وأطاعته زناتة .

وفيها رحل أبو مناد نصير الدولة بعساكر عظيمة الى إطرابلس في طلب زناتة ، فكان وصوله الى ظاهر اطرابلس يوم الاثنين لسبع خلون من شعبان ، فتلقّاه أهلها مسرورين ، داعين ، مستبشرين ، فضُربت له فساطيط الديباج والقباب الجليلة ، ونزل ، فأخذت الناس ريح عظيمة خرّقت جميع المضارب ومزّقتها وذهبت بها . ودخل نصير الدولة الى قصر فلفل . وجاءت رسل وَروا بن سعيد أخي فلفل راغبة في الأمان والعفو ، فعفا عنهم ، وأشهد بذلك على نفسه ، ثمّ صدر الى المنصورية ظافراً . ووصل اليها النعيم بن كنّون وطائفة معه ، فأعطاهم نصير الدولة ، وأفضل عليهم أتمّ الافضال ، وأمر للنعيم بالبنود والطبول والبراذين والسروج ، وصرفه الى البلاد التي أعطاه ، وقاعدتها قسطيلية ؛ فأقام بها ملكاً بالطبول والبنود والجيش .

وفي سنة ٤٠١ كان موت عزم بن زيري بن مناد بالقيروان .

وفيها توفي القائد جعفر بن حبيب .

وفيها أمر الحاكم بأمر الله بالحسين بن جوهر قائد القوّاد وصهره القاضي على مصر عبد العزيز بن محمد بن النعمان ، فقتلا جميعاً في وقت واحد .

وفي شوال من هذه السنة خالف ابن جرّاح على الحاكم بأمر الله ، وبعث رُسله الى أمير مكة يستدعيه للخلاف عليه معه ، فخالف ، وتسمّى بأمير المؤمنين . وتابعه على ذلك أهل مكة وبنو عمه وغيرهم ، وتمادى أمرهم على ذلك بقية هذه السنة .

وفيها رجع أهل مصر ومن كان معهم من المغاربة وغيرهم برسم التوجه الى مكة ، زادها الله تكريماً وتشريفاً . وذلك انه عند وصولهم للقُلزم بلغهم ما فعل ابن جرّاح وأبو الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد ، فلم يحُجّ منهم أحد ، ولم يحُجّ في هذه السنة أحد من الشام ، ولا العراق ، ولا خراسان ، ولا سائر الآفاق إلا أهل اليمن ونفر يسير ممن كان بمكة مجاوراً .

وفي سنة ٤٠٢ قدم المنصورية خزرون بن سعيد بن خزرون الزناتيّ ، أخو فلفل المتقدم ذكره . وكان سبب وصوله اختلاف جرى بينه وبين أخيه وَروا ، فقصد الى نصير الدولة ، فقبله أحسن قبول ، وكان معه نحو سبعين فارساً من زناتة ، فأنزلهم وأحسن اليهم ، ثم بعد ذلك بأيام أعطاه مدينة ، فخرج اليها بالبنود والطبول .

وفي سنة ٤٠٣ وصل الى المهدية مركب فيه هدية جليلة من الحاكم الى نصير الدولة باديس صاحب افريقية ، والى ولده منصور عزيز الدولة ، فتلقاها المنصور مع أهل القيروان على

قصر الماء بالبنود والطبول ، ووصلت سجلات منه الى نصير الدولة بإضافة برقة وأعمالها اليه .

وفيها توفي أبو الحسن القابسيّ الفقيه العالم .

وفيها عزل نصيرُ الدولة يوسفَ بن أبي حبوس الصنهاجيّ عن أمر الجيوش وغيرها .

وفيها توفي مفرّج بن الجرّاح ببلاد الشام ، وبقي أولاده مكانه

وفيها عاد صاحب مكة الى طاعة الحاكم ، وهو الحسن بن جعفر المتقدم الذكر ، الذي قام بها ، ودعا لنفسه ، وتسمى بأمير المؤمنين الراشد بالله ، ثمّ تاب مما فعل في هذه السنة ، وصعد المنبر ، وتبرّأ مما كان ادّعاه ، وكتب بذلك الى الحاكم بأمر الله ، فقبل منه وأنفذ اليه أموالاً عظيمة ، وأمرَ الناس أن يسافروا الى مكة بالطعام وسائر المرافق .

وفي هذه السنة ظهر بإفريقية ثائر اسمه عبد الله بن الوليد بن المُغيرة ، وكان متستراً ، مشتغلاً بالتعليم ، ثمّ دعا الى نفسه ، فأخذ وسيق الى القيروان مع صاحبٍ له ، وحُملا على جملين ، وطيف بهما ، ثم ضربت عنقاهما ، ورفعا فصُلبا . ووجدت عنده خريطة فيها كتب بخط يده لبعض أشياخ القبائل يقول فيها : من عبد الله أبي محمد الناصر لدين الله ، أمير المؤمنين ،

الى فلان، ثم يذكر له أنّ تمام أمره وظهوره يكون بكتامة ، ويأمره أن يتلقّاه في أوّل صفر من سنة ٤٠٤ فإنها آخر دولة صنهاجة ، وبها تنقطع دولتهم . فتمكّن منه صنهاجة كما ذكرنا .

وفي سنة ٤٠٤ وصل سجلّ من الحاكم الى نصير الدولة يذكر فيه أنه جعل ولاية العهد في حياته لابن عمه أبي القاسم عبد الرحمن بن الياس . فقُرىء بجامع القيروان والمنصورية ، وأُثبت اسمه مع اسم الحاكم في البنود والسكة . فعظم ذلك على نصير الدولة ، وقال : لولا أنّ الامام لا يعترض على تدبير لكاتبته ألا يصرف هذا الأمر من ولده الى ابن عمه .

وفي سنة ٤٠٥ أخرج نصير الدولة هدية جليلة الى الحاكم ، وشيّعها بالطبول والبنود عن المنصورية ، فوصلت الى المهدية ، وركب البحر بها يعلى بن فرج . وكان فيها مائة فرس ولها سروج محلاة شدّت في ثمانية عشر حِملاً أقفاصاً ، وكان فيها ثمانية عشر حملاً من الخز والسمّور والمتاع السوسي المذهب النفيس ، وعشرون وصيفة ، وعشرة من الصقالبة ، وغير ذلك . ووجّهت السيدة أم ملاّل أُخت نصير الدولة الى السيدة أُخت الحاكم هدية أيضاً . ولما وصلت تلك الهدايا الى جهة برقة أخذها العرب ، وهرب يعلى بن فرج ، وأسلمها بجميع ما فيها .

وفيها نادى مُنادٍ في القيروان بانتقال من كان يسكن فيها من الصنهاجيين الى المنصورية . ثم نادى مُنادٍ آخر بعد ذلك بإغلاق الحوانيت بالقيروان وفنادقها ، فاغلقت ، ولم يبق بها إلا بعض حوانيت الاحباس . وبلغ كراء حانوت بالمنصورية مائتي درهم لبيع الكتان ، وما سُمع بذلك في كراء حانوت بالقيروان، فكان ذلك سبب خرابها .

وكان الحاكم لقب المنصور بن نصير الدولة بعزيز الدولة ، وقُرىء سجله بذلك ؛ فأراد نصير الدولة أن يُوشحه ويضيف اليه أعمالاً يستخدم فيها أتباعه وصنائعه . وكان نصير الدولة اتصل به عن ابراهيم بن سيف العزيز بالله هناتٌ أنكرها عليه ، فأراد اختبارها ، فكتب كتاباً الى حمّاد يأمر فيه بتسليم عمل أبي زعبَل قصر الافريقي ومدينة القسطنطينة الى مستخلف عزيز الدولة ، وكان قد خلع على هشام بن جعفر ، وأعطاه الطبول والبنود ، وأمره بالخروج الى هذا العمل ، فخرج بخزائن وعُدد جليلة . وبعث نصير الدولة الى ابراهيم بن سيف العزيز بالله يشاوره على من يمضي بكتابه الى حمّاد ، فتسرّع ابراهيم الى المسير بالكتاب بنفسه ، وقال : لا يجد سيدنا عبداً من عبيده أنهض بخدمته مني . وتضمن ذلك ، وأخذ على نفسه المواثيق أنه لا يقيم في مضيه وعوده إلا أقل من عشرين يوماً ، فأشار على

نصير الدولة من يقرب منـه بأن يعتقل إبراهيم ، ولا يدعه لما يريد من السفر حتى يرى مـــا يكون من طاعة أخيه حمّاد ومسارعته الى ما يأمره به نصير الدولة من ذلك ، وقال لابراهيم : امضِ الى أخيك حمّـاد ، فإن صدقْتَ فيما قلت ووفيت بما وعدت ، وإلا فافعلا ما أردتما .

وخرج ابراهيم بن سيف العزيز بالله بماله ورجاله وجميـع ذخائره ، ولم يعقه في ذلك عائق من نصير الدولة وإلا فقد كان خروجه بأثقاله وجملة رجاله دليلًا على خلاف ما أظهر ، وكان خروجه في شوال ، وصحبه هاشم بن جعفر ، ثم أحسّ هاشم أنه سيغدره اذا قرب من أخيه ، فاعتذر له أنّ حاجة بقيت له بباجة ، وعدل الى طريقها ، ووعده أن يلحقه سريعاً . فنجاه الله من غدره . ومضى إبراهيم حتى وصل تامديت ، وكتب الى أخيـه ، فنهض اليه حمـاد في عساكر عظيمة ، واجتمعت كلمتهما ، وخلعا أيديهما من الطاعة .

وانتهى ذلك الى نصير الدولة ، فرحل في أواخر ذي الحجة ونزل برقادة ، ووضع العطاء لعساكره ، وأخرج عياله وأثقـاله وأختـه السيدة أم مـلال وأولاده وعبيده الى المهـدية ، ورحل في السابع منه . وأمر بالقبض على يوسف بن أبي حبوس وإخوته ، فقُبض عليه . وكان نصير الدولة لم يمض له يوم من

الأيام إلا جدد عليه كرامة وإحساناً ، ولا كان يهدى اليه فرس
أو ثوب من ثياب الخلافة إلا آثره بذلك على نفسه ، مع ما
حمل له من الضياع والرباع بكل كورة من كوَر إفريقية .
وما زال يرفع من قدره ويزيد في التنويه بذكره حتى نال
من أعلى المراتب ما لم ينله بعيد ولا قريب ، وسما من رفيع
الدرجات ما لم يسمُ له حميم ولا نسيب . وكان ، والله اعلم ، تسوّل
له نفسه الفتك بالأمير نصير الدولة . وإنه همّ بذلك مدة من
الزمان ، فلم يعنه الله عليه ، بل خيب سعيه وردّ في نحره
بغيه . فتقرّر ذلك عند نصير الدولة ، فقبض عليه . وكان في
قبضه عليه ما أوهن الله به كيد الأعداء وخيّب آمالهم
وأضلّ أعمالهم . ورحل نصير الدولة ثاني عيد الأضحى بعسكره
لحمّاد المذكور .

وفي سنة ٤٠٦ في صدر المحرم وصل عزم وفُلفل ابنا
حسون بن سنون ، وماكسن بن بُلُقين ، وعدنان بن معصم في
عدة من الفرسان من عسكر حمّاد ، فخلع عليهم وأحسن
اليهم . وما زال نصير الدولة يرحل مرحلة بعد مرحلة الى أن
وصل الى تامديت . ثم وردت عليه الأخبار بوفاة ولده المنصور
عزيز الدولة ، وذلك أنه كان في حين حركته الى المهدية عرضت
له حُمّى ، وظهر به جُدَريّ ، فأقام سبعة عشر يوماً ، وتوفي .

فكُتم عن نصير الدولة أمره مخافة أن يبدو منه جزع يكون فيه وهن على الدولة لما هو بسبيله من مقابلة عدوّه . فبلغ خبره إبراهيم وحمّاداً ، فبعثا اليه وقالا له : إن ولدك ، الذي طلبت له ما طلبت ، قد توفي . فما ضعضعه ذلك ولا حرّكه ، وكتب الى السيدة يستعلمها عن ذلك، فورد كتابها بوفاته والتعزية عنه ، وتصِف سلامة المُعِزّ وحُسن حاله . فكان من صبر نصير الدولة وحُسن عزائه ما كثُر التعجب به . وجلس مجلساً عاماً للعزاء ، فكان لا يرى من أحد جزعاً وبكاء إلا هوّنه عليه وسلاّه عنه ، فزاد ذلك سروراً لأوليائه وكمداً لحسدته وأعدائه .

ثم رحل من تامديت لست خلون من صفر ، وتمادى رحيله الى أن وصل المحمدية ، وهي مدينة المسيلة ، فتلقاه أهلها داعين شاكرين على ما منحهم من العدل والأمان ، وكشف عنهم من الجور والعدوان . فأقام بها ستة أيام ثم رحل فعبر وادي شلف ، ثم تمادى مشيُه حتى قرُب من عساكر حمّاد وحشوده من زناتة وغيرهم في العدوة الاخرى من الوادي ، فبات على تحفظ واحتراس . ولما كان في غد نزوله برز في عساكره ، ومشى عليها ، ورتبها ، وأقام كل قائد من قواده في مركزه . وقد تقارب الفريقان ، وتراءى الجمعان ، فهزم حماد ، وانتُهب عسكره . وقيل ان الذي انتُهب من الدّرق عشرة آلاف

درقة . وكان اشتغال العساكر النصيرية برفع الغنائم والأموال والاثقال سبباً لنجاة حمّاد المذكور وتركهم أتباعه .

وأخذ الناس من الأموال والغنائم ما لا يحصى عدداً وكثرة، ووجد رقعتان فيهما : ان الذي عند القائد فلان صندوق فيه خمسون ألف دينار وسبعمائة ، ومن الورق ألف ألف وخمسمائة ألف درهم ، ومن الأمتعة خمسون صندوقاً ، غير ما كان في بيت حماد وخزائنه .

قال أبو اسحاق : وجد رجل بين يديه بغل يسوقه ، ففتشه بعض الوصفان بين أيدينا ، فوجد في حشو برذعته وصوفها ثمانية آلاف دينار ، ومثل هذا ما لا يحصى كثرة . وعرضت لي أبيات بعد أن صعدنا من الوادي ، وقد لقينا به مشقة شديدة ، غير أنّ حلاوة الظفر والفوز بالسلامة أنسى ذلك ، وهي :

لم أنسَ يوماً بشلف راع منظره ،
وقد تضايقَ فيه ملتقى الحدق

والخيل تعبر بالهامات خائضة
من سافح الدم مجرى قانىء الفلق

والبيض في ظُلمات النقع بارقة ،
مثلَ النجوم تهاوت في دجى الغسق

وقد بدا معلماً باديس مشتهراً ،
كالشمس في الجو لا يخفى عن الحدق

وإنَّ راحته لو فاض نائلها
وبأسها في الورى أشفوا على الغرق

تجلو عمامته الحمراء غرَّته ،
كأنه قمرٌ في حمرة الشفق

لو صُوِّر الموت شخصاً ثم قيل له :
أبو مناد تبدّى ، مات من فرق

وأصبح نصير الدولة يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الأولى ، فبعث في طلب حماد بن باديس بن سيف العزيز بالله ، وقد تحصن في القلعة مع أخيه ، فأقاما بها ثلاثة أيام حتى استراحا وأراحا دوابهما ومن كان معهما . فعرَّفه ابراهيم بحاجته الى الازدياد من الطعام والملح ، فخرج حماد في جميع من كان معه ومع أخيه ، فسار بهم حتى دخل مدينة ذكمة ، وقد كان نقم على أهلها ، وكان نصير الدولة في أثره ، فتصايح أهل الموضع بساقته ، فاعترضهم بالسيف وقتل منهم نحو ثلاثمائة رجل . فخرج اليهم أحمد بن أبي توبة فقيه هذه المدينة وصالحها فخوَّفه بالله ووعظه ، وقال له : يا حماد اذا لاقيت الجموع هربتَ

منها ، وإن قاومتك الجيوش فررت عنها . وإنما قدرتك وسلطانك على أسير يكون في يديك ، لا ناصر له عليك . فلما سمع كلامه أمر فضربت عنقه . ووقف اليه شيخ صالح منها ، فقال له : يا حمّاد اتقِ الله ، فإني حججت حجتين . فقال له : أنا أزيدك عليهما الشهادة . وأمر بـه فضربت عنقه . ووقف اليه جماعة من التجار المسافرين ، فقـالوا له : نحن قوم غرباء ، ولا ندري ما جنى أهل هذه المدينة عليك . فقال لهم : اجتمعوا وأُعرِّفكم . فاجتمعوا ودخل معهم غيرهم ممن طمع في الخلاص معهم ؛ فلما وصلوا اليه أمر بهم فضربت رقابهم أجمعين . وأخذ جميع ما كان بتلك المدينة من طعام وملح وعاد به الى قلعته .

وأما نصير الدولة ، فيوم هزيـمة حمّاد أخرج بكـّار بن جلالة الوتلكاتي ، وكان قد أخذه أسيراً ، وكان بكار كثيراً ما ينطلق به لسانه . وكان يوسف بن أبي حبوس معتقلاً أيضاً عند نصير الدولة ، فأخرج بكار بحضر يوسف ، وحُلقتْ لحيتـه ، ويوسف ينظر اليـه ، ثم أمر فحُلقتْ لحيـة يوسف ، فصارا مثلة في العالم .

قال الرقيق : لما عاينّا يوسف ، وقد حُلقتْ لحيته ، تحدّثنا سراً بيننا ، وقلنا : قد كنا نرجو ليوسف الحياة لأن الملوك تعفو بعد العقوبة . وأمـا المُثْلة فما نرى أن بعدها إبقـاء . فلمحنا نصير الدولة وقال : ما خُضتُما فيه ؟ فصدقناه سراً ،

فقال : مـا أنفذتما . وبعد ثلاث أمر باحضاره ، فعدَّد عليه مساوىء أفعاله وقبائح أعماله ، ثم أمر بـه فجُدِع أنفـه وقُطعتْ أُذنه ، ورُفِـع من بين يديه ، ثم أُعيد اليه ، فقُطعتْ يداه جميعاً ، ثم أمر به الى موضع اعتقاله ، فبات مُشَحَّطاً في دمائه . فحكى بعض الحرس أنـه سمعه يرغب أخاه أن يذبحه ويريحه ، خيفة أن يخرج من الغد ويزاد في عذابه أمام أعدائه ، فقال له أخوه : اصبر عـلى قضاء الله وقدره . فقـال لبعض الحرس : خذ بيدي أخرج لقضاء الحاجة . فأخذ بيده ، ووقف فضرب ضربة عظيمة بجبهته في عمود ، فذرت منها عيناه وجرى دماغه وخرَّ الى الأرض ميتاً . ورحل نصير الدولة من وادي شلف .

قال الرقيق : ومن عجيب مـا سمعناه عن منـاخ وادي شلف أنَّ شيخاً كبيراً من البربر حدَّثنا أنه يُعرف بمناخ المحَن ، وأخذ يذكر لنا من هُزم فيه ومن قُتل فيه من ملوك زناتة ، وكنا على ظهر الطريق ، فلم نكتب ذلك ، الى أن قال : آخر من مات فيه زيري بن عطيّة ، وآخر من هُزم فيـه حمَّاد ، وبه قتل يوسف بن أبي حبوس ، وحُمِل منه معادلاً لأخيه ورجلاه باديتان ، ثم أمر به فدفن هناك .

وفي هذه السنة مات وروا بن سعيد في بشوال ، فاختلفت كلمة الزناتيين ، ومالت فرقة مع خليفة بن وروا ، وفرقة مع خزرون ابن عمه ، وأوقع الله فيهم الشتات .

ذكر وفاة نصير الدولة باديس بن المنصور

لما كان يوم الثلاثاء لليلة بقيت من ذي القعدة أمر بالتمييز ، فبرز كل قائد في عسكره . وجلس نصير الدولة في القبة وأمر أيوب بن يطوفت بالطواف على العساكر وحسابها ، وانتظره حتى فرغ من حسابها وعدها ، فجاءه فعرفه بما سره وابهجه . وانصرف الى قصره . ثم ركب عشية هذا اليوم ، وهو قد تناهى اقبالاً ، واستوى حسناً وجمالاً . فلعبوا بين يديه ، فكلما هز رمحاً كسره وأخذ غيره . ثم عاد الى قصره ، أفسح ما كان أملاً ، وأشد سروراً وجذلاً ، فطعم وشرب مع خاصته وقرابته ، فعاينوا من طربه ما لم يعهدوه منه . فلما مضى نحو النصف من ليلة الاربعاء انقضاء ذي القعدة قضى نحبه ، رحمه الله .

وبُعث في الوقت الى حبيب بن ابي سعيد وباديس بن حمامة وايوب بن يطوفت فأعلموا بوفاته خاصة من بين جميع صنهاجة وغيرهم ، فانصرفوا على ان يكتموا امره حتى يجتمع رأيهم ، واصبح وجوه العساكر للسلام على عادتهم ، وليس عندهم خبر ، وقد عزموا أن يعرّفوا الناس أنه اخذ دواء ، وتقدموا الى سائر قواد العساكر أن يحضروا بعدّتهم ، فقد بلغهم أن حمّاداً يضرب في المحلّة ، فما شعروا أن خرج الخبر من مدينة

المحمدية بوفاة السلطان ، وأنهم أغلقوا أبوابهم ، وصعِدوا على أسوارهم . فظهر ما لم يستطيعوا إخفاءه ، فكأنما نوديَ في الناس بإشاعته ، فاضطربت العساكر ، وماج بعضهم في بعض ، وخشوا من اختلاف الكلمة ، فاجتمع رأيهم على تقديم كرامة ، فأخذ عليهم العهود ، وأمر بالكتب الى بعض البلاد . فلما رأى ذلك عبيدُ نصير الدولة ، ومن انضاف اليهم من سائر الحشَم ، أنكروا ذلك وقالوا : إنما قدّمناه ليحوط الرجال ويحفظ الأموال ، حتى يدفع ذلك الى مستحقه المعزّ ابن مولانا نصير الدولة . ومشى ليلًا بعضهم الى بعض ، وتحالفوا على بيعة المعزّ . فلما تمّ لهم ما عقدوه أعلنوا به يوم السبت لثلاث خلون من ذي الحجة . وتحالفت العساكر على ذلك طائفة بعد طائفة ، واتفقت آراؤهم على خروج كرامة الى اشير ليحشد قبائل صنهاجة ووتلكاتة ويعود بهم الى المحمدية . ثم رحلت العساكر بتابوت نصير الدولة .

ولاية المعز بن باديس نصير الدولة ومدته

كانت ولايته بالمهدية في يوم السبت المذكور من سنة ٤٠٦ وسنّه ثماني سنين واربعة اشهر ، وولايته بالمهدية وبيعته بها لتسع بقين من ذي الحجة . وذلك لما وصل الخبر بوفاة ابيه ، والسيدة ام ملال بالمهدية ، خرج اليها منصور بن رشيق وقاضي القيروان والمنصورية وشيوخها ومن كان بها من الصنهاجيين ، فعزّوها في اخيها . وخرج المعز بالبنود والطبول فنزل اليه الناس يهنئونه جميعاً ، وبايعوه ، وهنأوه ، وعزوه ، وابتهلوا بالدعاء له . وعاد الى قصره . ودخل الناس يهنئون السيدة بولايته ، فصرف اهل القيروان والمنصورية ، وبقي المعز بالمهدية يركب في كل يوم ، ويعود الى قُبّة السلام ، ويطعم الناس بين يديه ، وينصرف الى قصره .

وفي يوم السبت بموافقة عيد الاضحى رحلت العساكر من المحمدية بعد ان اضرموا النار في الابنية والبيوت والزروب وقدموا التابوت امام البنود والطبول . فاشرف حماد على العساكر وهي تمر كالسيل بين يدي التابوت ، فقال لاخيه وخاصته : مثل هؤلاء يخدم الملوك . وصلت أنا الى افريقية في ثلاثين الف فارس ، ما منهم إلا من احسنت اليه وانعمت عليه ،

فعدت الى القلعة وما بقي معي منهم إلا أقل من ستمائة ، وانا بين أظهرهم أُرجى ، وهذا ميت أطاعوه كما كان حياً .

وكان وصول العسكر الى المهدية لثمان بقين من ذي الحجة، وبرزت العساكر على باب المهدية . وركب المعز فوقف ، ونزل الناس اليه فوجاً فوجاً حتى كمل سلامهم .

وفي سنة ٤٠٧ رحل المعز بن باديس من المهدية ، فكان دخوله المنصورية يوم الجمعة للنصف من محرم ، فدخل اجمل دخول ، وبين يديه البنود والطبول ، واحتل بقصره افضل حلول ، وقد سر به الخاص والعام .

وكان بمدينة القيروان قوم بحومة تعرف بدرب المعلى يتسترون بمذهب الشيعة ، من شرار الامة ، فانصرفت العامة اليهم من فورهم فقتلوا منهم خلقاً رجالاً ونساء ، وانبسطت ايدي العامة على الشيعة ، وانتهبت دورهم واموالهم . وتفاقم الامر وانتهى الى البلدان فقتل منهم خلق كثير . وقتل من لم يعرف مذهبه بالشبهة لهم . ولجأ من بقي بالمهدية منهم الى المسجد الجامع ، فقتلوا به عن آخرهم رجالاً ونساء . واجتمعت العامة على ابي البهار بن خلوف لشدته عليهم وقهره لسفهائهم ، فلجأ الى المنصورية ، فانتهبوا داره . وبلغ ذلك عساكر ابن اخيه ، فركب لينصر عمه أبا البهار ، فقتلته العامة

ومثلوا به ، وقتلوا كل من كان معه ، وزحفوا الى المنصورية فهدموها . واجتمع بدار محمد بن عبد الرحمن نحو الف وخمسمائة رجل من الشيعة ، فاذا خرج احد منهم لشراء قوته قتل حتى قتل اكثرهم . ثم اخرجوا الى قصر السلطان بعيالهم واطفالهم ، فسرّ المسلمون بما رأوه فيهم ، وذلك لما ظهرت الكتب التي وجدت في ديار المسالمة ، كان فيها من الكفر والتعطيل للشريعة واباحة المحارم شيء كثير ، فتحصنوا في هذا القصر اواخر جمادى الاولى وجمادى الآخرة .

وفي أواخر هذه السنة وصل المعز بن باديس سجل من الحاكم خاطبه فيه بشرف الدولة ، وركب المعز بالبنود والطبول .

وفي سنة ٤٠٨ كانت حروب عظيمة بين عساكر شرف الدولة المعز بن باديس وبين عساكر حماد ، وذلك شيء يطول أمره .

وفي سنة ٤٠٩ خرجت طائفة من الشيعة نحو مائتي فارس بعيالهم واطفالهم يريدون المهدية للركوب منها الى صقلية ، وبعثت معهم خيل تشيعهم . فلما وصلوا الى قرية كامل ، وباتوا بها ، تنافر اهل المنازل عليهم ، فقتلوهم وفضحوا بعض شوابّ النساء ومن كان لها منهن جمال ، ثم قتلوهن .

وفيها كان بافريقية غلاء كثير وحروب كثيرة .

وفي سنة ٤١٠ وصل زاوي بن زيري الصنهاجي من الاندلس الى افريقية في اهله وولده وحشمه ، بعد ان اغترب بها اثنتين وعشرين سنة ، وقاسى حروبها وفتنها ، واحتوى على نعم ملوكها وذخائرهم . فخرج اليه يوم وصوله شرف الدولة المعز ابن باديس في زيّ عظيم ، فترجل له الشيخ زاوي ، ونزل شرف الدولة فسلّم عليه وسار معه حتى انزله بالمنصورية .

وفي سنة ٤١١ ورد على المعز بن باديس ابو القاسم بن اليزيد رسولاً من الحاكم اليه بسيف مكلل بنفيس الجوهر ، وخلعة من لباسه لم يُر مثلها ، فلقيه شرف الدولة المعز في اجمل زي واكمل هيئة ، فقرىء عليه سجل فيه من التشريف ما لم يصل لاحد قبله ، فسر بذلك .

وفيها ورد ايضاً محمد بن عبد العزيز بن أبي كدية بسجل آخر من الحاكم ، جواباً للمعز عما كان فيه من اخبار الاندلس وانقراض الدولة الاموية منها ، وقيام القاسم بن حمّود فيها ، فشكره على ذلك ، وبعث اليه خمسة عشر علماً منسوجة بالذهب. وركب المعز بن باديس ، والأعلام المذكورة بين يديه ، يوم الأحد لليلتين بقيتا من ربيع الآخر . وجاءت سحابة شديدة الرعد ، فأمطرت حجراً لم يرَ أهل افريقية مثله كبراً وكثرة ، ووقعت معه صاعقتان .

وفيها وصل الخبر بوفاة الحاكم أمير مصر ، وولي الظاهر بعده .

وفي سنة ٤١٢ توفي باديس بن سيف العزيز بالله ، وصلى عليه شرف الدولة ، وكان له مشهد عظيم .

وفيها توفيت السيدة زوجة نصير الدولة ، وكفّنت فيما لم يذكر أنّ ملكاً من الملوك كفّن في مثله ، فحكى من حضره من التجار أنّ قيمته مائة ألف دينار ، وجعلت في تابوت من عود هندي قد رُصّع بالجوهر . وكانت لها جنازة لم يُرَ مثلها ، ودُفنت بالمهدية . وكانت مسامير التابوت بألفي دينار .

وفي سنة ٤١٣ تعرّس المعز شرف الدولة ، فكان له عرس ما تهيّأ لأحد قط من خلفاء الاسلام . وقد شرحه الرقيق في كتابه ، وتركناه اختصاراً .

وفي سنة ٤١٤ وردت الأخبار وتتابعت بإفريقية بأن خليفة ابن ورروا ومن معه رموا في البحر مراكب كثيرة ، وانهم رحلوا من إطرابلس في طلب فتوح بن القائد ، وقد كان كاتب شرف الدولة المعز بن باديس في الانحياش اليه والدخول في طاعته ، فأعطاه مدينة نفطة من عمل قسطيلية . فخرج شرف الدولة فاجتاز بسوسة ثم الى المهدية ، وذلك يوم الخميس لأربع خلون من المحرّم . وأمر بالنداء في حشد البحريين ، وكتب أن يلحق به كل من يتخلف عنه من عساكره ليكون

رحيله من المهدية الى سفاقس ، ثم الى قابس ، قاصداً الى إطرابلس . وأمر بالاحتفاز في إصلاح القطائع وعمارة دار الصناعة ، وأخذ في انشاء العُدَد الحربية ، فانشىء منها في المدّة القريبة ما لم يتمّ مثله في الزمن البعيد . ثم رأى الوصول الى المنصورية ليأخذ الناس عددهم وما يحتاجون اليه ، فكان وصوله يوم الاثنين لست بقين من المحرّم من العام .

ووردت الأخبار من المشرق بأن أمير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله أمر باحضار سيف الدولة ذي المجدين حسين بن علي بن دوّاس الكتاميّ . فلما دخل القصر ، ولم يكن يدخله قبل ذلك حذراً على نفسه ، أُخرج من ساعته مقتولاً ؛ فأقام ثلاثة أيام ، ومُنادٍ ينادي عليه : هذا جزاء من غدر مواليه . ثم دُفِع الى عبيده فدفنوه .

ثم جاء الخبر في الوقت بوفاة السيدة الشريفة بنت العزيز بالله . وصلى عليها الظاهر لاعزاز دين الله بمصر . وكانت قد ضبطت المملكة وقوّمت الامور بحسن رأي وتدبير . وكان الوزير عمّار فوّض اليه النظر في الدواوين والأموال والكتابة وغير ذلك من خدمة الخلافة ؛ فأمرتْ بقتله فقُتل . وباشرت تدبير المملكة ، فلا يُنفذ أمر جلّ أو قلّ إلا بتوقيع يخرج عنها بخط أبي البيان الصقلبي عبدها .

وفي هذه السنة وصل محمد بن عبد العزيز ، من قِبَل الظاهر أمير مصر ، بتشريف عظيم لشرف الدولة ، فقرُئَت به سجلات ما وصل قبلها مثلها أجلّ حالاً ولا أعلى مقالاً . وزاده لقباً الى لقبه ، فسماه شرف الدولة وعضُدها ، وبشره بمولودين وُلدا له : أبو الطاهر ، وعبد الله أبو محمد ، وبعث اليه مع ذلك ثلاثة أفراس من خيل ركوبه بسروج جليلة وخلعة نفيسة من نفيس ثيابه ، ومنجوقين منسوجين بالذهب على قصب فضة ، ما دخل افريقية مثلها قط ، وعشرين بنداً مذهبة ومفضضة ؛ فلقيها شرف الدولة أجمل لقاء ، وأعطاها حقها من الاكرام والاعتناء ، وقُرئت السجلات بين يديه ، ثم قُرئت بجامع القيروان ، وأمر بنسخها ، وأُنفِذت الى الآفاق ، فكان لها من السرور ما لا يوصف .

وبعد ذلك ، في هذه السنة ، وصله سجل آخر بزيادة لقب آخر ، تشريفاً لشرف الدولة . وأمر أن يكاتَب : من الأمير شرف الدولة وعضدها ، ويخاطب بمثل ذلك . فلقيه أحسن لقاء ، وحمله . وجرت المكاتبة من ذلك الوقت بهذا التشريف الجليل .

وفي هذه السنة اعتلّت السيدة أم ملال بنت عمة العزيز بالله أياماً ، والأمير شرف الدولة يصل اليها في كل يوم عائداً ومفتقِداً ، فيجلس عندها ، ويأذن لرجاله وعبيده يدخلون اليها

ثم ينصرفون . فلما كان ليلة الخميس منسلخ رجب قبضها الله وصلي على جنازتها بالبنود والطبول والعماريات ، والسيدتان الجليلتان الوالدة والأخت بحال من التشريف لهذه الجنازة لم يُرَ لملك ولا لسوقة مثلها .

وفوّض الامير شرف الدولة جباية الأموال وولاية العمال والنظر في العساكر وسائر الأشغال لأبي البهار بن خلوف يوم الثلاثاء لخمس بقين من جمادى الأولى ، فحسنت الأمور وضبطت الأطراف والثغور واستقام التدبير ، ورأى الأمير شرف الدولة من حزمه وكفايته وعزمه وشهامته ما لم يقم به غيره.

وفي سنة ٤١٥ في صفر منه ولد للأمير شرف الدولة ولد سمّاه كبّاباً . وفي شهر رجب تزوّجت السيدة أم العُلُوّ ، بنت نصير الدولة ، أُخت شرف الدولة . فلما كان يوم الأربعاء غرة شعبان المكرّم زيّن الايوان المعظم للسيدة الجليلة أم العلوّ ، ودخل الناس خاصة وعامة ، فنظروا من صنوف الجوهر والأسلاك والأمتعة النفيسة وأواني الذهب والفضة ما لم يعمل مثله ، ولا سمع لأحد من الملوك قبله .

قال أبو إسحاق الرقيق : فبهر عيون الخلق حالما عاينوه ، وأبهتهم عظيم ما شاهدوه ، وحُمل جميع ذلك الى الموضع الذي ضربتْ فيه الأبنية والقِباب والأخبية ، وحُمِل المهر في عشرة

أحمال على عشرة أبغُل على كل حِمْل جارية حسناء ، وجملته مائة ألف دينار عيناً .

وذكر بعض حُذّاق التجار أنه قوّم ما هو لها فكان زائداً على ألف ألف دينار ، وهذا ما لم يُرَ قط لامرأة قبلها بافريقية . وزُفّت العروس في يوم الخميس ، ومضى بين يديها عبيد أخيها شرف الدولة وأبيها نصير الدولة وجدّها عدّة العزيز بالله ، ووجوه رجال الدولة ، فكان يوماً سارت الرُّكبان بمحاسن آثاره وامتلأت البلدان بعجائب أخباره .

وفي هذه السنة وقف شرف الدولة لهدية صندل والي بسكرة فعُرضت عليه ، وهي ثلاثمائة حصان ، ومائة فرس أُنثى ، وبغلات منها عشرون بالسروج المحلاّة ، ومائة حمل من المال. فخلع عليه وجدد له الولاية على بسكرة .

وفي سنة ٤١٦ توفي ايوب بن يطوفت ، وحضر جنازته شرف الدولة وعضدها ، وهو المعزّ بن باديس ، بالبنود والطبول .

وفي سنة ٤١٧ وُلد للأمير شرف الدولة وعضُدها مولود سمّاه نِزاراً ، وكتب الى سائر عماله بالبشارة .

ذكر قيام المعز شرف الدولة بالامارة

وقطع الدعوة العبيدية الشيعية من افريقية

كان المعزّ بن باديس صغيراً إذ ولي وهو ابن ثمانية أعوام ، وقيل ابن سبعة أعوام ، ورُبي في حُجرْ وزيره أبي الحسن بن أبي الزجَّال ، وكان ورعاً زاهداً . وكانت افريقية كلها والقيروان على مذهب الشيعة وعلى خلاف السنّة والجماعة ، من وقت تملك عُبيد الله المهديّ لها . فحرَّض ابن أبي الزجَّال المعزّ بن باديس ، وأدَّبه ، ودله على مذهب مالك وعلى السنّة والجماعة ، والشيعة لا يعلمون ذلك ، ولا أهل القيروان . فخرج المعز في بعض الأعياد الى المصلَّى في زينته وحشوده ، وهو غلام ، فكبا به فرسه ، فقال عند ذلك : أبو بكر وعمر ، فسمعته الشيعة التي كانت في عسكره ، فبادروا اليه ليقتلوه ، فجاءه عبيده ورجاله ومن كان يكتم السنَّة من أهل القيروان ، ووضع السيف في الشيعة ، فقتل منهم ما ينيف على الثلاثة آلاف ، فسمّي ذلك الموضع بِركة الدم الى الآن .

قال أبو الصلت : وصاح بهم في ذلك الوقت صائح الموت ، فقتلوا في سائر بلاد افريقية .

وحكي في قتل الروافض حكايات كثيرة مما رآه المعزّ في

منامه ، وتأويل ذلك وغيره ، ألغينا هنا عن ذكره . ولم يزل المعزّ يعمل فكره في قطع دعوتهم الى ان كانت سنة ٤٤٠ .

وفي سنة ٤٢٠ زحفت جموع زناتة تريد حضرة القيروان طمعاً منها في الملك . فلما بلغ ذلك المعزّ خرج اليهم بجنوده ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت زناتة وقُتل منهم كثير وفرّ باقيهم الى الغرب .

وفي سنة ٤٢١ وقعت في القيروان بين الأجناد والعامة فتنة ، فقُتل من العامة نحو المائتين .

وفي سنة ٤٢٢ كثر الخصب والرخاء والأمان بافريقية .

وفي سنة ٤٢٣ وصلت من ملك السودان الى المعزّ هدية جليلة ، فيها رقيق كثير ، وزرافات وانواع من الحيوان غريبة .

وفي سنة ٤٢٥ كانت بافريقية مجاعة شديدة .

وفيها خرج ابو عمران الفاسيّ الى الحجاز .

وفيها مات الظاهر بمصر ، وولي ابنه المستنصر .

وفي سنة ٤٢٦ وصلت الى المعزّ بن باديس من ملك الروم هدية لم يُرَ مثلها في كثرة ما اشتملت عليه من امتعة الديباج الفاخر وغير ذلك .

وفي سنة ٤٢٧ زحفت زناتة في جيوش عظيمة وجموع كثيفة تريد المنصورية ، فلقيتها جيوش المعزّ ، فظهرت زناتة

عليها ، فانهزمت ، ووصلت الى ما بين المنصورية والقيروان .

ثم تلاقوا في الغد من ذلك اليوم ، فثبتت صنهاجة وثبتت زناتة .

وفي سنة ٤٢٨ كسر المعزّ زناتة وهزمهم ، وقتل منهم خلقاً كثيراً .

وفي سنة ٤٢٩ خرج عسكر المعزّ من القيروان الى الزاب ، فقتل من البربر خلقاً كثيراً .

وفي سنة ٤٣٠ كثُر الخصب ببلاد افريقية .

وفيها مات أبو عمران الفاسيّ بعد عوده من المشرق .

وفي سنة ٤٣١ دخلت جيوش مالقة جزيرة جربة ، ففتحتها وقتلت كثيراً من أهلها .

وفي سنة ٤٣٢ خرج المعزّ الى قلعة حمّاد وحاصرها مدة سنتين ، وأخذ بمخنق حمّاد فيها .

وفي سنة ٤٣٣ أظهر المعزّ الدولة العباسية ، وورد عليه عهد القائم بأمر الله .

وفيها نُكب محمد بن محمود بن السكّاك ، وكان المتولي لأشغال أم المعزّ ، واستولى بها على دولته .

وفي هذه السنة وصل الأمير نزار بن المعزّ الى الحضرة قافلاً من سفره الذي هزم فيه زناتة ، فأنشده ابن شرف قصيدته التي أوّلها :

طلعت من الغربيّ شمس الدينِ   بالسعد والاقبال والتمكين

وفي سنة ٤٣٦ مات الجرجاني بمصر ، وكان الحاكم بأمر الله العبيدي قطع يديه جميعاً ، لجنيةٍ جناها ، فلم يجزع لما أصابه . فقيل إنه عصب يديه إثر قطعهما ، وانصرف من وقته الى ديوانه ، وجلس لخدمته على عادته . فلما تعجّب منه قال : إنّ أمير المؤمنين لم يعزلني ، وإنما عاقبني بجنايتي . فلما بلغ ذلك الحاكم أقرّه على عمله .

وفي سنة ٤٣٧ وردت رسل المعزّ الى القيروان تخبر انه أوقع بلواتة وقتل منهم عدداً وغنم منهم أموالاً ، فضربت الطبول على ذلك. وفي ذلك يقول ابن شرف من قصيدة أولها:

باليمن والسعد عدْ وبالظفر   موفّق الورد غانم الصدر

وفيها بنى سور المنصورية.

وفيها هبت ريح عاصف بإفريقية قصفت ما مرّت به من الشجر لقوّتها وشدّتها .

وفي سنة ٤٣٨ كانت وفاة نزار بن المعزّ بن باديس في رجب ، وكان عمره إحدى وعشرين سنة وأشهراً .

وفيها ولى المعز ولده الآخر أبا القاسم ، وكنّاه العزيز بالله، وهو إذ ذاك ابن ثمانية أشهر ، وتوفي بعد ذلك وهو ابن سنة واحدة وثلاثة أشهر .

وفي سنة ٤٣٩ نُكِب حبوس بن حُمَيد الصنهاجيّ والي نفطة ، وطولب بمال كثير ، ونيل بالمكروه والهوان .

وفيها نُكِب أحمد بن حجّاج قاضي قفصة ، فبادر بعشرة آلاف دينار ، وكان متصاوتاً .

وفي سنة ٤٤٠ قُطِعت الخطبة لصاحب مصر ، وأُحرقت بنوده . قال ابن شرف : وأمر المعزّ بن باديس بأن يُدعى على منابر افريقية للعباس بن عبد المطَّلِب ويُقطع دعوة الشيعة العُبيديين ، فدعا الخطيب للخلفاء الأربعة ، وللعباس ، ولبقيّة العشرة (رضهم) .

ذكر السبب في قطع الدعوة العبيدية

من الخطبة بالقيروان وغيرها

لما رحل بنو عُبيد الى مصر لم تزل ملوك صنهاجة يخطبون لهم بافريقية ويذكرون أسماءهم على المنابر . وتمادى الأمر على ذلك حتى قطع أهل القيروان صلاة الجمعة فِراراً من دعوتهم ، وتبديعاً لاقامتها بأسمائهم ، فكان بعضهم اذا بلغ الى المسجد قال سراً : اللهم اشهد . اللهم اشهد . ثم ينصرف يصلي ظهراً أربعاً ، الى ان تناهى الحال حتى لم يحضر الجمعة من أهل القيروان أحد ، فتعطلت الجمعة دهراً . وأقام ذلك مدة الى ان رأى المعزّ بن باديس قطع دعوتهم ، فكان بالقيروان لذلك سرور عظيم .

ذكر وقوع التصريح بلعنتهم

في الخطب بجميع افريقية وخلعهم

قـال ابن شرف : وأمر المعزّ بلعنهم في الخطب وخلعهم .
ولما كان عيد الاضحى أمر الخطيب أن يسُب بني عبيد ، فقال :
اللهم والعَنِ الفسقة الكبـار المارقين الفُجّار ، أعداء الدين
وأنصار الشيطان ، المخالفين لأمرك والناقضين لعهدك ، المتبعين
غير سبيلك والمبدّلين لكتابك . اللهم والعنهم لعناً وبيلاً ،
واخزهم خزياً عريضاً طويلاً . اللهمّ وإنّ سيدنا أبا تميم المعز بن
باديس بن المنصور القـائم لدينك ، والناصر لسنّة نبيّـك ،
والرافع للواء أوليائك ، يقول مصدقاً لكتابك وتابعاً لأمرك ،
مدافعاً لمن غيّـر الدين وسلك غير سبيل الراشدين المؤمنين :
يا ايها الكافرون لا أعبـد ما تعبدون . هكذا ذكر بإسقاط
قل وآخرها . قال : وأمر الأمير أبو تميم المعز بن باديس للخطيب
أن يسبهم على منبر القيروان بأشنع من هذا السبّ . فلما كان
لجمعة أخرى ابلغ في ذلك بما فيه شفاء لنفوس المؤمنين .

وفي سنة ٤٤١ تحرّك الأمـير أبو تميم الى بلاد المغرب
الأقصى ، وترك ولده أبا الطاهر تميم بن المعز على حضرة القيروان
بالمنصورية .

وفيها بني المصلّى بالمنصورية .

وفيها ضُرب الدينار المسمّى بالتجاري .

وفيها ركب المعزّ بن باديس المذكور في أحفل جمع وأحسن زيّ ، وخرج الى ظاهر مدينة القيروان . وأُخرجت السباع بين يديه ، فأفلت منها سبعٌ ، فانهزم الناس أمامه ، ووقع بعضهم على بعض ، فمات منهم نحو المائتين ، ووثب السبع على رجل من كتّاب باب الغنم يدعى بالكرامي ، فقتله .

ذكر تبديل السكة عن اسماء بني عبيد

قال ابن شرف : وفي هذه السنة أمر المعزّ بن باديس بتبديل السكة في شهر شعبان ، فنُقِش على الأزواج في الوجه الواحد : ومن يبتغِ غير الاسلام دِيناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . وفي الوجه الثاني : لا إله إلا الله . محمد رسول الله . وضُرب منها دنانير كثيرة . وأمر أيضاً بسبك ما كان عنده من الدنانير التي عليها أسماء بني عبيد ، فسبكت ، وكانت أموالاً عظيمة . ثم بثّ في الناس قطع سكتهم ، وزوال أسمائهم من جميع الدنانير والدراهم بسائر عمله . وقد كان قطع اسماءهم من الرايات والبنود . وكان مبتدأ ضرب السكك بأسماء بني عُبيد الله ورسمها في الرايات والطرز سنة ٢٩٦ ، الى أن

قطعها المعزّ المذكور سنة ٤٤١ المذكورة ، وذلك مائة وخمس وأربعون سنة .

وفي شوال من هذه السنة نادى مُنادٍ بأمر السلطان أبي تميم : إنه مَنْ تصرَّف بمال عليه أسماء بني عُبيد نالته العقوبة الشديدة . فضاقت الحال بالفقراء والضعفاء ، وغلت الأسعار بالقيروان . وكان الدينار القديم بأربعة دنانير ودرهمين ، وكان صرف الدينار الجديد خمسة وثلاثين درهماً .

وفي هذه السنة نكب القائد عبّاد بن مروان الملقب بسيف المُلك ، وكان من الخاصة ، ودُفع الى أعدائه ، وأُمر باستخراج أمواله والقبض على جميع من استعمله في أعماله ، وبعد ذلك أُلقي في سرداب مظلم حتى مات فيه .

وفيها وردت الأخبار بالقيروان بموت القائد حمّاد بقلعته ؛ فقال ابن شرف من قصيدة :

لا جنود إلا جنود السعود   مغنيات عن عُدَّة وعديدِ

وفي سنة ٤٤٢ اصطلح أهل القيروان وأهل سوسة ؛ وقد كانت جرت بينهم وحشة ؛ فصنع القيروانيون للسوسيين دعوات غُسلت فيها الأيدي بماء الورد ، ومُسحت بمناديل الشرب . وفي هذه السنة ولى الأمير أبو تميم ولده أبا الطاهر بن المعزّ عهده .

ذكر ولاية العهد لتميم بن المعز

قال ابن شرف : وخطب الخطيب يوم الجمعة على جامع القيروان ، فدعا للسلطان المعزّ بن باديس ولولده أبي الطاهر وليّ عهده ، ثم قال : اللهم اصلِح عبدك ووليَّك أبا الطاهر تميم بن المعزّ ، الطاهر من كفر معدّ بن الظاهر . يعني صاحب مصر .

وفيها كان خروج الفقيه الزاهد الواعظ أبي عبد الله بن عبد الصمد من القيروان في شهر رجب ، ووكلوا به رجالاً توجهوا معه الى مدينة قابس ، وكانت الرفقة خارجة من القيروان الى مصر ، فأمر أن ينتظرها بمدينة قابس الى أن يصحبها . وكوتب عامل قابس بأن لا يترك من يدخل اليه ، ولا من يسلّم عليه ، ولا يخرج من موضع نزوله إلا في يوم سفره . فخرج وهو غير آمن على نفسه ، ثم قُتِل في طريقه ذلك . وكان رجلا واعظاً يعظ الناس ، فيجتمعون اليه ويسمعون كلامه ، وكان له لسان وحدّة فحذره المعز . واجتمع عليه بعض فقراء القيروان واستبشعوا ألفاظاً ذكرها ، فرفعوا رقاعهم الى المعز بذلك ، فكان سبب نفيه وحتفه . وكان أبوه يعظ بجامع مصر في ذلك الوقت ، الى ان نُعي له ابنه هذا ، فحجّ في تلك السنة ، فقيل

إنه كان يطوف بالكعبة ويصيح فيقول : يا ربِّ . المُعزّ عليك به . يا رب . عليك بابن باديس . فكان دعاء هذا الرجل سبباً لخراب ملكه ودمار القيروان حضرته ، فكانت الهزيمة عليه في اليوم الثاني من دعائه وكان ذلك اصل هلاك القيروان ، فلم يشك أحد في إجابة دعوته .

وفي سنة ٤٤٣ كان لباس السواد بالقيروان ، والدعاء لبني العباس . قال ابن شرف : وفي جمادى الثانية أمر المعزُّ بن باديس بإحضار جماعة من الصبّاغين ، وأخرج لهم ثياباً بيضاً من فندق الكتان ، وأمرهم أن يصبغوها سوداً ، فصبغوها بأحلك السواد ، وجمع الخياطين فقطعوها أثواباً ، ثم جمع الفقهاء والقضاة الى قصره ، وخطيبي القيروان وجميع المؤذنين ، وكساهم ذلك السواد ، ونزلوا بأجمعهم . وركب السلطان بعدهم حتى وصل الى جامع القيروان ، ثم صعد الخطيب المنبر ، وخطب خطبة أتى فيها على جميع الأمراء بأجزل لفظ وأحسن معنى ، ثم دعا لأبي جعفر عبد الله القائم بأمر الله العباسي ، ودعا للسلطان المعزّ بن باديس ولولده أبي الطاهر تميم ولي عهده من بعده ، ثم اخزى بني عبيد ولعنهم .

ذكر ما قيل من أخبارهم

قال أبو عبد الله محمد بن سعدون بن عليّ في تأليفه وتصنيفه في

تعزية أهل القيروان بما جرى على البلدان من هيَجان الفِتن وتقلب الأزمان، قال : فيه باب أذكر فيه أول من وضع هذه الدعوة التي شرع فيها عُبيد وذُرِّيته ، والسبب الذي دعاهم لذلك ؛ وباب أذكر فيه تسييرهم الرُّكبان بدعوتهم ودعاتهم الى البلدان ؛ وباب أذكر فيه عبيداً ونسبه وانتماءه الى النبي (صلعم) كاذباً ، وسبب ملكه المغرب كله . قال : فأوَّل من نصب هذه الدعوة جَدُّ عبيد ، وهو عبد الله بن ميمون القدَّاح الأهوازي ، وكان أبوه ميمون تنتسب اليه فرقة من أصحاب ابن الخطاب تُعرف بالميمونية . وذكر من جملة كلامه قال : وكان عبد الله ادَّعى لنفسه النبوة ، فقصِد لسفك دمه ، فاختفى ، ثم هرب من وطنه ، وفرَّ على وجهه منتقلاً في البلاد مستتراً ، يستر اسمه ومذهبه لئلاَّ يُقتل إن عُرف ، الى أن وافته منيَّته بأقبح علة في الشام ، وأراح الله منه . وأُخذ جماعة من أصحابه فقُتلوا عن آخرهم . ثم ذكر دعاتهم وما كان منهم مع غواتهم ، قال : فمنهم رجلان ، أحدهما يُعرف بالنجار الكوفي ، فخرجا من الشام وتغلبا على اليمن ، فأنزل الله عليه الاكلة ، فتقطع قِطعاً حتى مات ، وخلف ابناً له ، فكان يكتب الى أصحابه : من ابن ربّ العالمين . تعالى الله عن قوله ! فصار اليه ابن قُصير ، فأظفره الله به ،

فقتله ، ودخل مدينته فانتهبها وسباها . وأما الكوفي فرماه الله تعالى بداءٍ في جوفه ، فكانت أمعاؤه تخرج من دُبره ، حتى مات . واما بالشام فذكر جماعة أبادهم الله تعالى ، وكذلك بالبحرين أيضاً . ثم قال : وإنما دعاهم لهذا الكفر عبد الله بن ميمون القدّاح ، لأنه صحب قرمطاً ودعاه الى مذهبه ، فطاوعه على ذلك . وقد اشتهر استخفافهم بالدين ، وكثرت به الأخبار والأحاديث . وكان ممن أظهر مذهبهم وأعلن به : أبو عبيد الجنّابي ، وقت تغلبه على البحرين ، فإنه وضع عنهم جميع الفرائض ، واعلن بالزناء واللوَاط ، والكذب ، وشرب الخمر ، وترك الصلاة . وكذلك صنع الاصبهاني ، وحرّم على الغلمان الامتناع ممن أراد أن يفعل بهم ، وجعل حدّ من امتنع منهم الذبح ، لعنه الله . وكانت له ليلة تسمى الامامية ، يجمع فيها نساءه ونساءهم ، فمن وُلد من تلك الليلة يسمى ولد الاخوان .

قال : وقد ادّعى الحاكم من بني عبيد الله الربوبية ، وجعل رجلاً سمّاه بالهادي يدعو الناس الى ذلك ، وادّعى معدّ منهم النبوة ، وجعل من نادى فوق صومعة جامع القيروان : أشهد أنّ معدّاً رسول الله. فارتجّ البلد لذلك وداخل أهله الرعب ، فارسل من سكّن الناس ، وكلّ من كانوا يوسلونه الى بلد فإنما يأمرونه بإظهار الاسلام والخير حتى يتمكن مما يريد .

وأما نسب عبيد الله الذي تسمى بالمهدي ، فإنّ اسمه سعيد ، وإنما تسمّى بعبيد الله ليخفي أمره ، لأنه كان عليه الطلب من الحسين بن أحمد بن محمد . وكان لمحمد هذا ولد يلقّب بأبي السلعلع بن عبد الله بن ميمون القدّاح ، فبعث بداعيين أخوين الى المغرب ، فنزلا في قبيلة تعرف بكتامة ، فدعوَا أهلها : أحدهما حسين ، يكنى بأبي عبد الله الشيعي ، وسمّوه المعلم ، والآخر سمّوه المحتسب ، وهو أبو العبّاس ، المتقدّم ذكرهما . فأظهرا من أنفسهما الزهد والورع حتى افتتحا بالكذب والفرية في بلاد افريقية . وسار أبو عبد الله الى سجلماسة ، فأخرج عبيداً من حبسها ، فلما اجتمع به سلم الأمر اليه وانسلخ له منه ، فلم يلبث إلا يسيراً وقتله بنو أخيه .

ولما وصل عبيد الله لعنه الله الى رقادة أرسل الى القيروان من أتاه بأبي إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بابن البرذون وبابن هُذيل ، وكانا من العلماء الخاشعين لله . فلما وصلا اليه وجداه على سرير ملكه جالساً ، وعن يمينه أبو عبد الله الشيعيّ الذي ولاّه الملك وسلم له فيه ، وعن يساره أبو العباس أخوه . فقال لهما أبو عبد الله وأخوه : اشهدا أن هذا رسول الله . فقالا جميعاً بلفظ واحد : والله الذي لا إله إلا هو ، لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه ، والقمر عن يساره ، وينطقان فيقولان إنه

رسول الله ، ما قلنا بـه . فأمر عبيـد الله عند ذلك بذبحهـما وربطهما في أذناب الخيل ، وأن يُشَق بهما سماط القيروان ، ففُعل ذلك بهما رحمة الله عليهما . وقال أبو عبد الله الشيعيّ يوماً لأبي عثمان سعيد بن الحداد العالِم : القرآن يخبر أن محمداً ليس بخاتم النبيين في قوله : ولكن رسول الله وخاتم النبيين . فخاتم النبيين غير رسول الله . فقـال أبو عثمان : هذه الواو ليست من واوات الابتداء ، وإنما هي من واوات العطف مثل قوله تعالى : هوَ الاول والآخر والظاهر والبـاطن . وقال له مرة أُخرى : إن الله أخبر أن أصحاب محمد (صلعم) يرتدُّون لقوله : أفإن مـات أو قُتِل انقلبتم عـلى أعقابكم ؟ فقال أبو عثمان : هذا إنمـا هو على الاستفهام ، كقوله سبحانه : أفان متّ فهم الخالدون .

ولمـا تمكـّن عبيد الله الشيعيّ من المُلك قتل أبا عبد الله الداعي وأخـاه ، وانتقم الله منهما عـلى يدي من سَعيَا له ، وقتلا الخلق بسببه ، حتى أخرجاه من الحبس ، وسلـّما له في المُلك ، ولم يُقيما معه إلاّ سنة أو نحوهـا ، ثم سلـّطه الله على كبار كتامة الذين سَعَوْا في إقامة مُلكه ، فقتل جميعهم . ثم تمادت دولة أبنائه نحو ثلاثمائة سنة ، ملكوا من مضيق سبتة الى مكة ، شرّفها الله ، لأن عماله كانوا يصلون الى مضيق سبتة

فيعاينونها ، ومن هناك يرجعون . وهذا دليل على هوان الدنيا على الله وصغر قدرها عنده ، إذ مكّن فيها لهؤلاء الكفرة الفجّار يسومون أولياء الله سوء العذاب ، والمعاد القيامة ، والحاكم الله .

وخرج في دولة عبيد الله شيخ للسفر ومعه خيل ، فباتوا في مسجد بخيولهم ، فقيل لهم : كيف تدخلون خيولكم المسجد ؟ فقال لهم الشيخ وأصحابه : إن أرواثها وأبوالها طاهرة ، لأنها خيل المهدي . فقال لهم القيّم بالمسجد : إن الذي يخرج من المهديّ غير طاهر ، فكيف الذي يخرج من خيله ؟ فقالوا له : طعنت على المهدي ! وأخذوه وذهبوا به اليه ، فأخرجه عشيّة جمعة ، فقتله . فلما قرب للموت دعا عليه فأجاب الله دعاءه ، فامتحنه بعلة قبيحة يقال لها حبُّ القرْع ، وهي دودٌ على صورة حب القرع في آخر مخرجه ، تأكل أحشاءه وما والاها ، فكان يؤتى بأذناب الكباش العظيمة فيستدخلها في نفسه ، لتشتغل عنه الدود بها ، فيجد لذلك بعض راحة لشغلها بالاذناب ، ثم يخرج الاذناب وقد هتكتها الدود ويدخل أُخرى في دُبره ؛ ثم لم تزل الدود تأكل حتى انقطعت مذاكره ، ومات من ذلك .

ولما مات أتي بابن الغساني المقرىء ليقرأ عند رأسه ؛ وكان من أطيب الناس قراءة ؛ وحول عبيد أبناؤه يبكون عليه .

فقال البغدادي للغساني : اقرأ . قال : فطلبت من القرآن ما أقرأ ، فلم أتذكر منه إلا قوله تعالى : يقدُم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ، الى آخر الآية . قال : فطلبت غير هذه الآية أقرأه فلم أقدر ، فكنت أُردّدها حتى خشيت على نفسي ان يفيقوا من بكائهم فيتأملوا قراءتي فيقتلوني ؛ فتسللت وخرجت .

وذكر ان الحجر الاسود ارسله اللعين الجنابي الى عبيد بالمهدية ، فلم يلبث الا اياماً ومات عبيد كما ذكرنا . فلما دفن طرحته الارض ، ثم دفن فطرحته الارض ثلاثاً . فقيل لابنه ابي القاسم : إن هذا لاجل هذا الحجر ، فاردده حيث كان . فأمر باخراجه ورده الى موضعه ، فعند ذلك استقر عبيد في قبره .

ثم ولي ولده أبو القاسم من بعده ، فلم يزل في شغل وحُزْن ، وبعث الله عليه أبا يزيد مخلد بن كَيداد ، فقهره وخرج عليه وقتل جنوده ، وقام المسلمون معه عليه كما تقدم ذكره . ولما كان يوم جمعة طلع الامام على المنبر ، وهو أبو إبراهيم احمد ابن محمد بن أبي الوليد ، فخطب خطبة بليغة ، وحرّض الناس على جهاد الشيعة ، ثم قال : اللهم إن هذا القرمطيّ الكافر المعروف بعُبيد ادّعى الرُّبوبية من دون الله ، جاحداً لنعمتك ، كافراً بربوبيتك ، فانصرنا اللهم عليه ، وأرِحنا منه ومن دولته ، وأصله جهنم وساءت مصيراً ، بعد أن تجعله في دنياه عبرة

للسائلين وأحاديث في الغابرين ، وأهلك اللهم شيعته وشتت كلمته . ومات ابو القاسم بن عبيد الله محسوراً وفي نفسه مقهوراً .

ثم ولي بعده ابنه اسماعيل فأظهر للعامة الجميل . فلما استفحل أمره وقويت شوكته أراد أن ينتقم من المسلمين فيما تقدم لهم من حربه وحرب أبي القاسم والده ، فحال الله عز وجلّ بينه وبين ما أراد ، وأجاب دعاء المؤمنين فيه ، فأهلكه الله بالعطش حتى مات .

ثم ولي ابنه معدّ فادّعى النبوة ، وصوّت المؤذّن بذلك فوق صومعة القيروان بأمره ، فضجّ المسلمون لذلك . فلما بلغه ذلك داخله الرُّعب ، وأرسل الى الناس يُهَدِّئهم ، الى ان خرج الى مصر ، فدخلها بالمنكر والبغي ، فابتلاه الله بعلة الاستسقاء ، فكان الذي يقعد عند رأسه لا يرى رجليه ، وسالت عيناه وسقطت أسنانه ، وأراه الله العبرة في نفسه ، ثم مات .

وولي بعده نزار المُكنى بأبي المنصور ، فحدث في أيامه من سبِّ الصحابة (رضهم) ما حدث . ثم تشوّفت نفسه مع احواله الدنية الى ان يستحضر العلماء من أهل القيروان . ثم حدث عليه بالشام ما اشغله ، فخرج اليها ، فلما وصل الى السبر مات في مرحاض الحمام .

ثم ولي بعده الحاكم فاظهر أكثر مذهبهم ، فكان مما

أحدث أنه بنى داراً وجعل لها ابواباً وطباقاً ، وجعـل فيها قيوداً وأغلالاً ، وسماها جهنم ، فمن جنى جناية عنده قال : أدخلوه جهنم ! وأمر ان يُكتب في الشوارع والجوامع بسب الصحابة (رضهم) أجمعين . ثم أرسل داعياً الى مكة ، فلما طلع المنبر وذكر مـا ذكر اقتحم عليه بنو هذيل ، فقطع قطعة قطعة ، وكسِر المنبر وفتت حتى لم يجتمع منه شيء . ثم أرسل رجلاً خراسانياً من بني عمه ، فضرب الحجر الاسود بدبوس ، فقتل من حينه ، وأخذه الناس قطعة قطعة ، وأُحرق بالنار . وأرسل ، لعنه الله ، الى مدينة الرسول (صلعم) من ينبش القبر المعظم ، فسمع الناس صائحاً يقول : القبر ينبش . ففتشه الناس ، فوجدوه واصحابه ، فقتلوهم . ثم انـه ادعى الربوبية من دون الله ، وجعل داعياً يدعو الناس الى عبادته ، وسماه المهدي . فكتب داعيه الكتاب ، وكان اسمه حمزة ، وذلك في سنة ٤١٠ ، وقرىء بحضرة الحاكم ، لعنه الله ، على اهل مملكته ، ذكر فيه ، تعالى الله عن إبطال المبطلين عـلواً كبيراً : الحمد لمولاي الحاكم وحده ! باسمك اللهم الحـاكم بالحق ! ثم تمادى فقال : توكلت على إلهي أمير المؤمنين ، جل ذكره ، وبه نستعين في جميع الامور . ثم طول في الكتاب بالتخليط ، فمرة يجعله امير المؤمنين ومرة يجعله الاله ، وقال فيه :

وأمرني باسقاط ما لا يلزمكم اعتقاده من الاديان الماضية والشرائع الدارسة . وذكر اشياء يطول ذكرها . وكانت له راية حمراء تحت قصره ، فاجتمع اليه خلق نحو خمسة عشر الف رجل فيما قيل ، ثم ان رجلاً من الترك قتل كاتبه حمزة ، فاظهر الحاكم أنه أمر بقتله . وكان الحاكم كثير التصرف بالليل الى جبل المقطم على حمار ، فخرج ليلاً ، فقتل هو وحماره .

ثم ولي بعده علي الملقّب بالظاهر ، فكان مشتغلاً بالشرب ، منهمكاً فيه ، يلبس ثياب النساء ، حتى يظنه الناس اذا مشى معهنّ امرأة ، ثم اصابه الاستسقاء ، حتى صار كالعدل ، فمات .

ثم ولي بعده معد الملقب بالمستنصر ، فمرة يظهر السب ، ومرّة يكف ويسكن الناس ، فاذا مشى في جنوده كان بين يديه الشبّابة ومن ينشد الشعر . وذكر انه ارسل من كتب السب في أستار الكعبة في ليلة ظلماء ، فاصبح الناس فوجدوه ، فضج المسلمون لذلك واكثروا البكاء لسبّ الصحابة (رضهم) .

قال ابن سعدون : وعلى هذا بنوا أصلهم . انهم يظهرون الدين والخير حتى يتمكنوا . قال المؤلف : انتهى ما لخّصته من كتاب ابن سعدون .

وذكر ابن القطان عنهم انهم قوم من الرافضة يدّعون النسب الى علي (رضه) ، واكثر اعتقاداتهم كفر .

ولما مـــات المستنصر بن الظاهر ولي بعده ولده الملقب بالمستعلي ، وكان اشبه من غبره سياسة ، لا ديناً . فلما توفّي هو ، وقُتل وزيره الافضل ، استبدّ ولده وتسمى بالآمر بحكم الله . وكان جباراً عنيداً ظالماً جائراً ، وكثر في زمانه دعوى الباطل، ونصر الظالم على المظلوم، واعانته على ظلمه. واستخلص لنفسه فتيين من الفتيان الوضـاء الوجوه ، اتخذهما للفاحشة ، وكان رزق كل واحد منهما الف دينـار في كل يوم ، وكان يعمل النزاهة ، ويبيح للناس فيها المحظورات ، فلا يشاء مؤمن ان يعاين منكراً مباحاً الاّ عاينه .

ثم ولي بعده عبد المجيد ، الملقب بالحافظ لدين الله ، ابن المستنصر ، بويع في اليوم الذي قتل فيه الآمر ، وخطب له على المنابر ، ووزر له ابو علي احمد بن الافضل أمير الجيوش . ثم استولى ابو علي على الامر وجملة الحال من سنة ٥٢٦ الى سنة ٥٣٢ ، كانت لهم فيها محاولات شنيعة وامور فظيعة ، منها قتل الآمر، وانتزاء قاتله حرز الملوك، وقتله، واستيلاء ابن الافضل ، وقتله ، وظهور عبد المجيد ، وما كان من الاسقف من النفر ، والامر بعبادة عبد المجيد وقتله ، ثم استيلاء حسين بن عبد المجيد والقيام عليه ، الى أن قتل نفسه بسم ، ورجوع عبـد المجيد الى الولاية .

رجع الخبر

وفي سنة ٤٤٣ وردت الاخبار أن محمد بن جعفر الكومي ولي القضاء بمصر ، ولقب قاضي القضاة وداعي الدعاة .

قال ابن شرف : فنعوذ بالله من سوء العاقبة ! لان قاضي القوم منهم وعلى مذهبهم ، يعني الشيعة .

وفيها وصلت الى القيروان مكاتبة من الامير جبارة بن مختار العربي من برقة بالسمع والطاعة للمعز بن باديس ، وأخبر أنه واهل برقة قد أحرقوا المنابر التي كان يدعى عليها للعبيدية ، وأحرقوا راياتهم وتبرأوا منهم ، ولعنوهم على منابرهم ، ودعوا للقائم بأمر الله العباسي .

وفي هذه السنة كان أول الفتنة بإفريقية .

ذكر طرف من الفتنة العظيمة ودمار القيروان

قال ابن شرف : لما آل الأمر الى التصريح بلعنة بني عبيد على المنابر ، وأمر المعزّ بن باديس بقتل أشياعهم ، أباح بنو عبيد للعرب مجاز النيل ، وكان قبل ذلك ممنوعاً ، لا يجوزه أحد من العرب . ثم أمر لكلّ جائز منهم بدينار ، فجاز منهم خلق عظيم من غير أن يأمرهم بشيء ، لعلمه أنهم لا يحتاجون لوصية . فجازوا أفواجاً ، وأقاموا بناحية برقة . ومضت الأيام على ذلك مدة . ثم قدم منهم مؤنس بن يحيى الرياحيّ على المعزّ . وكان المعزّ كارهاً لاخوانه صنهاجة ، محبّاً للاستبدال بهم ، حاقداً عليهم ، ولم يكن يظهر ذلك لهم . فلطف عنده محل مؤنس هذا ، وكان سيّداً في قومه ، شجاعاً ، عاقلاً ، فشاوره المعزّ في اتخاذ بني عمّه رياح جنداً ، فأشار عليه بأن لا يفعل ذلك ، وعرّفه بقلة اجتماع القوم على الكلمة ، وعدم انقيادهم الى الطاعة ، فألحّ عليه في ذلك ، الى ان قال له المعز : انما تريد انفرادك حسداً منك لقومك . فعزم مؤنس على الخروج اليهم ، بعدما قدم العذر ، وأشهد بعض رجال السلطان . ثم رحل متوجهاً نحوهم ، فنادى في القوم ، وحشدهم ، ووعدهم ، وغبطهم ، ووصف لهم كرامة السلطان

والاحسان لهم ، ثم قدم في ركب منهم ، لم يعهدوا نعمة ، ولا طالعوا حاضرة ، فلما انتهوا الى قرية تنادوا : هذه القيروان . ونهبوها من حينها .

فلما ورد الخبر على القيروان عظم الأمر على المعز بن باديس وقال : انما فعل مؤنس هذا ليصحّح قوله ، ويظهر نصحه . فامر بثقاف اولاده وعياله ، وختم على داره ، حتى يعلم ما يكون من امره . فلما بلغ مؤنساً ما فعل بأهله وولده اشتدّت نكايته وعظم بلاؤه ، وقال : قدّمتُ النصيحة فحاق الامر بي ، ونسبت الخطيئة اليّ . فكان اشد إضراراً من القوم . وكان قد علم بعَورات القيروان . ثم أخرج السلطان اليهم بعض الفقهاء ، ومعهم مكاتبات وشروط ووصايا ، وأعلموهم أن السلطان قد دفع عيالاتهم لهم ، وأخذوا عليهم العهود والمواثيق بالرجوع الى الطاعة ؛ وأرسلوا شيوخاً منهم بذلك ؛ ثم انقلبوا على السلطان ، واستولوا على الفساد بكل جهة ومكان .

ذكر هزيمة العرب للمعز بن باديس

لما كان ثاني عيد الاضحى من هذه السنة كانت الداهية العظمى والمصيبة الكبرى ، وذلك أن السلطان عيّد يوم الاثنين ، ومشى صباح هذا اليوم الى ناحية قرية تُعرف ببني هلال ؛ فلما كان نصف النهار أتته الأخبار ان القوم قد قربوا منه باجمعهم ، فأمر بالنزول في أوعار وأودية ، فلم يستتم النزول حتى حمل العرب عليهم حملة رجل واحد ، فانهزم العسكر ، وصبر المعزّ صبراً عظيماً ، الى ان وصلت رماح العرب اليه ، ومات من العبيد بين يديه خلق عظيم فدوه بأنفسهم . وأما بنو مناد وجميع صنهاجة وغيرهم من القبائل فإنهم فرّوا ، وانتهبت العرب مضاربهم . ودخل العرب معسكر المعزّ السلطان فحازوه ، وفيه من الذهب والفضة والأمتعة والأسباب والأثاث والخفّ والكراع ما لا يعلم عدده الا الله . وكان فيه من الأخبية وغيرها ما يتجاوز عشرة آلاف ، ومن الجمال نحو خمسة عشر ألفاً ، ومن البغال ما لا يحصيه قول . فما خلص لأحد من الجند عقال فما فوقه ، وسلك أكثر الناس الجبل المعروف بجيدران ، فافترقوا فيه . ثم رجع بعضهم على بعض ، وليس عند أهل القيروان خبر بذلك ، إلا أنهم كانوا تحت توقع

وتشوّف . فلما كان ثالث العيد قدم فارسان مع ابن البوّاب وهم قد غلبت عليهم الكآبة وكسوف البال ، وحالهم تغني عن السؤال ، وكثر أيضاً سؤال النـاس عن السلطان ، فذكروا أنه في حيز السلامة ، فلم تكُ إلا ساعة حتى دخـل قصره هو وولده . ثم تساقط الناس بعده آحاداً وجموعاً ، وتخلّف عن الوصول خلق عظيم ، فمنهم من عُلِم خـبره ، ومنهم من لم يعـلم . ثم ذُكر أنّ العرب أخذوا خلقاً كثيراً من الصنهاجيين وغيرهم .

قال ابن شرف : وكان عدد العسكر المهزوم ثمانـين ألف فارس ، ومن الرجالة مـا يليق بذلك . وكانت خيـل العرب ثلاثين ألفاً فارس ومن الرجّالة مـا يليق بذلك . وفي ذلك يقول عليّ بن رزق من قصيدة له في ذلك ، اولها :

لقد زار وهناً من أميم خيال ، وأيدي المطايا بالذّميل عجال

وفيها :

ثمانون ألفاً منكمُ هزمتهمُ ثلاثون ألفاً ، انّ ذا لنكال

ووصل العرب الى نواحي القيروان ، وجعل كل من سبق الى قرية يسمّـي نفسه لهم ، ويؤمنهم ، ويعطيهم قلنسوته أو رقعة يكتبها لهم علامة ، ليَعلم غيره انه سبقه . وبات النـاس ليلتين بالقيروان تحت ما لا يعلمه إلا الله تعالى من الخوف ، لا يدرون

ما ينزل بساحتهم . وأقام الناس يومين ، لا يدخل اليهم داخل ولا يخرج منهم خارج ، وخيل العرب تسرح حول القيروان في كل جهة ومكان ، والناس يرونهم عياناً بياناً . وخرج السلطان سابع عيد الاضحى بجنوده ، وخرج عامة القيروان معه ، فلم يَتَعَدَّ بهم المصلّى . ورجع العرب في أمانهم الذي أعطوا أهل البوادي ، وانتهبوا جميعها ؛ وانتقل أهلها الى القيروان . وأمر السلطان كافة الناس بانتهاب الزروعات المحيطة بالقيروان وصبرة وهي المنصورية ؛ فسُرَّ المسلمون بها ، وحسبوها من ارزاقهم ، وكان مصيرها الى ما قدَّر الله من فسادها وأكل البهائم لها .

وفي السابع عشر لذي الحجة ظهرت خيل العرب على ثلاثة أميال من القيروان ، فنزل السلطان يمشي فيها ، ويوصي أهلها بالاحتفاظ والبناء ، وأخذ الناس في بناء دورهم . وأمر السلطان المعزّ أن ينتقل عامة أهل صبرة وسوقتها الى القيروان ، ويخلوا الحوانيت كلها بصبرة ؛ وأمر جميع من بالقيروان من الصنهاجيين وغيرهم من العسكر أن ينتقلوا الى صبرة وينزلوا في حوانيتها وأسواقها ؛ فارتجّ البلد لذلك ، وعظُم الخطب واشتد الكَرب . ومد العبيد ورجال صنهاجة أيديهم الى خشب الحوانيت وسقائفها ، واقتلعوها . وخربت العمارة العظيمة في ساعة واحدة . وبات الناس على خوف عظيم ؛ ثم أصبحوا

فعاينوا خيول العرب ، فأمر السلطـان ألا يخرج العسكر على سور صبرة .

قال ابن شرف : أخبرني من اثِق به ، قال : خرجت من القيروان وسرت ليلًا ، فكنت أكمن النهار ، فلم أمُرّ بقرية إلا وقد سُحِقتْ وأُكلتْ ، وأهلها عراة امام حيطانها من رجل وامرأة وطفل ، يبكي جميعهم جوعاً وبرداً . وانقطع المير عن القيروان ، وتعطلت الاسواق ، وأمسك العرب جميع من أسروه ، فلم يُطلقوا أحداً إلاّ بالفداء مثل أسرى الروم ، وأما الضعفاء والمساكين فأمسكوهم لخدمتهم .

نبذ من وقعة باب تونس

احد أبواب القيروان

وذلك أنّ العرب دفعت الى هذا الباب ، فخرج اليهم العامّة ، منهم بسلاح ، ومنهم من بيده عصا لا يدفع بها أضعف الكِلاب ، فحملت عليهم فرسان العرب ، وتمكنت منهم سيوفهم ورماحهم ، فتساقطوا على وجوههم وجنوبهم ، وسطحوهم من حدّ أفران الآجرّ الى هذا الباب ، ولم يبقَ منهم إلا من حصنه أجله ، ولم يتركوا على حيّ ولا ميّت خرقة تواريه . وخرج أهل القتلى عند انصراف العرب ، فرفعوا قتلاهم ، فقامت النوائح والنوادب بكل جهة ومكان من أزقة القيروان ، تتصدّع لمنظرها وسماعها الجبال . وبقي خلق من الغرباء في المقتلة ، وجُرح من الناس خلق كثير ، ورأى الناس ما أذهلهم من قبيح تلك الجراحات ، فتفتتت الأكباد وذابت القلوب والأجساد لبنيّات قد سوّدنَ وجوههنّ وحلقن رؤوسهن على آبائهنّ واخوانهنّ . فكان هذا يوم مصائب وأنكاد ونوادب لم يرَ الناس مثله في سائر الأمصار فيما مضى من الأعصار . وبات الناس في همٍّ وغمٍّ . تم كلام ابن شرف مختصراً .

حكاية في ابتداء دولة صنهاجة

لما تغلّب آل عبيد الله على مصر ، وأراد معدُّ بن إسماعيل الرحيل اليها من افريقية ، دعا زيري بن مناد ، وكان له عشرة أولاد ، فقال له : ادع لي بنيك ، فقد علمت رأيي فيهم وفيك. وكان أصغرهم سنّاً بلقّين . فدعا أولاده ما عداه ، والقدر لا يريد سواه . وكانت عند معد بن اسماعيل أثارة من علم الحدثان قد عرف بها بصائر أحواله وأهل الغناء من أعيان رجاله .

وكانت عنده لخليفته على افريقية والمغرب ، إذا صار اليه ملك مصر ، علامة . فنظر في وجوه بني زيري فلم يرها ، فقال لزيري : هل غادرت من بنيك أحداً ؟ فقال له : غلاماً صغيراً . فقال المعز : لا أراك حتى أراه ، فلست أريد سواه . فلما رآه عرفه ، وفوّض اليه من حينه ، واستخلفه ، فاستولى من وقته على الأمور ، وزاحمت مهابته الأهواء في الصدور ، وبعُدت أسفاره ، واشتهرت أخباره ، وبلغ بغزواته سبتة في خبر طويل . ثم أجاب صوت مناديه وخلعها على أعطاف بنيه حتى انتهى أمرهم الى المعزّ بن باديس شرف العشيرة وآخر ملوكها المشهورة . ومن العجب أنهما توافقا في الاسم والكنية ، أعني المعزّ أبا تميم معدّ بن اسماعيل العبيدي صاحب الحدثان ، والمعزّ أبا تميم هذا .

فأول ما افتتح به شأنه ، وثبت بـه فيما زعم سلطانه ، قتل الرافِضة ، ومراسلة أمـير المؤمنين يومئذ ببغداد ؛ فكتب اليه بعهده ، وجاءته الخلعة واللقب من عنده ، رأياً اغـترّ ببادية وذهل عن عواقبه وبواديه . واتصل ذلك بالعُبَيديّ ، وأمْرُه يومئذ يدور عـلى الجرجرائي ، فاصطنعها عليه وفوّق سهام مكروهه اليه . وكانت بطون من عامِر بن صعصعة : زُغبة ، وعديّ ، والأثبج ، ورياح ، وغيرهم ، تنزل الصعيد ، لا يُسمح لهـا بالرحيل ولا باجازة النيـل ، فأجازهم الجرجرائيّ ، وأذن لهم في المعزّ أُمنية طالما تخلّت اليها أطماعهم وعكفت عليهـا أبصارهم ، فغشاه منها سَيْل العرِم ورمـاه بذلول ابنة الرقِم ، فشغل المعزّ بعضهم أولاً بخدمته وحمّلهم أعباء نعمته ، وهم في خلال ذلـك يتمرّسون بجهاته ويدبّون الى حماتـه ويُطِلّون عـلى عوراته ، حتى بان لهم شأنه وهان عليهم سلطانه ، فجاهروه بالعداوة حتى جرت بينهم تلك الحروب ، التي تقدّم ذكرها مختصراً ، فأورثته البَوار وضربت عليه الحصار .

وفي اثنـاء ذلك أعطاهم الدّنيّة وناشدهم التقيّـة واشترط المهدية ، وزفّ الى أحد زعمائهم من بناته ، فأصبحوا له أصهاراً وقاموا دونـه أنصاراً . فلمـا استحكم يأسه وأهَمّته نفسه استجاش مَن قِبلَه واحتمل أهـله وثقـله وخلّى الملك لمـن

حماه وحمله ، وجاء أصهاره يمنعونه ممن عسى أن يكيده ، حتى بلغ المهدية ، فأقام بها أسقط من الشمس بالميزان وأهْوَن من الفقير على القيان ، ولم يكن أحد في زمانه أشدّ بأساً في الملاحم ولا أطوَل يـداً بالمكارم ، ولا أغنى بلسان العرب ولا أحنى على الأدب .

ومن مشهور كرمه أنه أعطى المنتصِر بن خزرون في دفعة مائة ألف دينار ، الى ما وصله من مركب أثيل وزيّ حفيل . وكان متوقـّد الذهن ، حاضر الخاطر ، حاذقاً بطرائف الالحان ، عالماً بالمنثور والمنظوم من الكلام . ومدحه كثير من الشعراء ، فأجزل لهم العطاء ، منهم : عليّ بن يوسف التونسي ، ويعلى بن ابراهيم الأركشي ، وأبو عـليّ بن رشيق ، والقرشي ، وابن شرف ، وغـيرهم يطول الكتاب بذكرهم ، لاسيّما لو ذكرت من نظمهم ونثرهم . وذكر ابو الحسن الخولاني المعروف بالحداد قال : اشتملت على كثير من ايامه ووقائعه وصفـة حاله في خروجـه من القيروان ، وتسليمـه للعرب معظم ملكه ، في قصيدة أولها :

سرت تتهادى بعدما رحـل الركب ،
وقد قـلـّدت جيدَ الدُّجى الأنجمُ الشهب

ومنها :

وإن خانني صـبري على ثقتي بـه ،
فقد خـان مولانا العشائر والصحب

ولو شـاء تأليف الجنود وجمعهـا ،
لجاءته من أقطارهـا العجم والعرب

ولكنه أغضى الجفون لعلمـه
بما سطرت فيـه الملاحم والكتب

ولم يمكث بالمهدية إلا نحو سنتين ، وانقضت أيامه ووافاه حمامه ، فتوفي يوم السبت لخمس بقين من شعبان سنة ٤٥٤ . هكذا ذكر أبو الصلت ، وقد تقدّم قول ابن شرف انه توفي في سنة ٤٥٥ .

أولاده : تميم ، ونزار ، وعبد الله ، وعلي ، وحماد ، وبلقين ، وحمامة ، والمنصور .

دولة الامير تميم بن المعز ونبذ من اخباره

مولده بالمنصورية في رجب سنة ٤٢٢ . وأبرزه والده للناس ابن سنتين ، وركب والعساكر وراءه ، وطاف مدينتي القيروان والمنصورية . وولي المهدية سنة ٤٤٥ ، وعمره إذ ذاك ثلاث وعشرون سنة . وأقام بها الى أن خرج والده من المنصورية متوجهاً نحوها ، فلما دنا منها خرج اليه فيمن معه ، وترجل عند رؤيته ايّاه ، وقبّل الأرض بين يديه ، ومشى راجلاً أمامه ، وأظهر من طاعته له ما أبان كذبَ ما نسب اليه ، وزوّر من النفاق عليه ، فدعا له والده ، وأمره بالركوب ، فركب وسار معه الى المهدية ، فنزل المعزّ القصر ، وأقام ابنه تميم متكفلاً بأمر الدولة .

وفي سنة ٤٥٥ فتح تميم مدينة سوسة . وكان أهلها قد نافقوا على أبيه ، فعفا عنهم .

وفي سنة ٤٥٦ زحف الى المهدية حَمُّو بن مليّل البرغواطي الثائر بمدينة سفاقُس بمن استعان من العرب . فورد خبره على تميم ، فسار اليه ومعه طائفة كبيرة من زُغبة ورياح . وكان مع حمو طائفة من عديّ والاثبج ، فاقتتل الفريقان . ثم ولت طائفة حمو أدبارها ، فأخذتها السيوف وتولتها الحتوف .

وفي سنة ٤٥٧ كُسر عسكر الناصر بن حمّاد ، وكان قد خرج في عدد كثير من صنهاجة وزناتة وعديّ والاثبج ، فلقيتهم رياح وزغبة وسُليم ، فانهزم الناصر وقُتل من أصحابه خلق كثير ، ونُهبت أمواله ومضاربه ، وقُتل أخوه القاسم بن علنّاس . وكان من أعظم الأسباب في ذلك ما أبرمه تميم في أمره .

وفي سنة ٤٥٨ جرّد تميم عسكراً كبيراً الى مدينة تونس ، فأقام محاصراً لها آخذاً بمخنقها أربعة عشر شهراً ، حتى وقع الاتفاق بينه وبين ابن خُراسان صاحبها ، على ما اقتضاه إقلاع العسكر عنها .

وفي سنة ٤٥٩ قام بالمغرب الأقصى محمد بن إدريس بن يحيى ابن علي بن حمود الحسنيّ ، استُدعي من مليلة ، فعبر اليها ، وقام به جماعة بني ورْتدى في مليلة ونواحيها . وكان قد خُطب له بالخلافة بمالقة ، وتسمّى بالمُستعلي ، فأقام بها الى أن تغلّب عليه باديس بن حبوس الصنهاجيّ صاحب غرناطة سنة ٤٤٧ ، فانقرضت دولة بني حمود يومئذ بالاندلس ، واختفى بالمَرِية الى ان استُدعي .

وفي سنة ٤٦٠ حاصر الناصر بن علناس بن حماد مدينة الأربس ، وكان معه الأثبج من العرب ، وبقي عليها حتى افتتحها وأمّن أهلها وقتل عاملها ابن مكراز .

وفيها وصل الناصر المذكور الى القيروان مع العرب، ودخلها .

وفيها استبدّ أمير لمتونة بالغرب، وطاعت له قبائل المصامدة وبلاد درعة وسجلماسة، وتغلّب على زناتة المستوطنين هنالك .

وفي سنة ٤٦١ عاد الناصر بن غلناس بن حماد من القيروان الى قلعته خوفاً من جموع العرب .

وفيها شرع ابو بكر بن عمر اللمتوني في بناء مراكش، على ما يأتي في موضعه .

وفي سنة ٤٦٥ وصلت الى مدينة سفاقس مراكب شرقية، فأخرج اليها السلطان تميم بن المعز أسطوله من المهدية، فأفسدها .

وفي سنة ٤٦٦ وقيل ٤٦٧ طردت زغبة من افريقية : طردتهم رياح منها، وباعت القيروان من الناصر بن غلناس بن حماد الصنهاجي صاحب القلعة .

وفي سنة ٤٦٨ وصلت الى افريقية عرب من برقة، ونزلت حول القيروان .

وفي سنة ٤٦٩ كانت بإفريقية مجاعة عظيمة ووباء عظيم، مات فيه من الناس خلق كثير .

وفي سنة ٤٧٠ اصطلح تميم بن المعز والناصر ابن عمه، وزوّجه بنته بلارة، وجهّزها اليه من المهدية في عساكر عظيمة ومال وأسباب وذخائر .

وفي سنة ٤٧٤ حاصر تميم مدينة سفاقس ، وعـاث عسكره في أجنَّتها المعروفة بالغابة ، وأفسدها . وولى تميم ابنـه مقلداً مدينة اطرابلس سنة ٤٧٠ .

وفي سنة ٤٧٦ حوصرت المهدية : نزل عليها مالك بن علوي في جموع عظيمة من العرب ، فخرج اليه السلطان تميم ، فهزمه وأقلع عنها منهزماً ودخل القيروان .

وفي سنـة ٤٧٩ حاصر تميم مدينـة قابس وسفاقس معاً في زمن واحد ، مما لم يُسمع بمثله .

وفي سنة ٤٨٠ كسفت الشمس كسوفاً كليّاً . وجرى فيها ما جرى من نزول الروم على المهدية في ثلاثمائة مركب حربي ، على ظهورها ثلاثون ألف مقاتل .

ذكر دخول النصارى مدينة المهدية

وسبب ذلك ، مع قدر الله تعالى ، غيبة عسكر سلطانها عنها ، ومفاجأة الروم قبل استقدامه اليها ، وأخذ الاهبة للقائهم ، وخلوُّ كافة الناس من الاسلحة والعُدد ، وقِصَرُ الاسوار وتهدُّمها ، وتكذيب تميم بخبرهم ، وسوء تدبير عبد الله بن منكور مُتولي أمور الدولة في قصده مخالفة قائد الاسطول في الخروج اليهم للقائهم في الماء ومنعهم من النزول في البرّ . فكان ذلك كله سبب تغلُّبهم على المدينتين المهدية وزويلة ، ونهبهم إياهما ، وقتلهم الناس فيهما ، وإحراقهم بالنار ما هو مشهور بالمهدية الى الآن . وقد استوعب ذلك أبو الحسن الحداد في قصيدته التي أولها :

أنّى يُلِمُّ الخيال أو يقف، وبين أجفاننا ثوى الدَّنف !
غزا حمانا العدوُّ في عددٍ، هم الدُّبى كثرة أو اللفف
عشرون ألفاً ونصفُها ائتلفوا من كل أوبٍ وليت ما ائتلفوا
جاؤوا على غرّة الى نفرٍ قد جهلوا في الحروب ما عرفوا

وهي طويلة .

وفي سنة ٤٨١ مات الناصر بن غلناس وولي ابنه المنصور .

وفي سنة ٤٨٢ غزا مالـك بن علوي مدينة سوسة ودخلها في طائفة من أصحابـه ، ولم يتمكن له شيء من مراده فيهـا ، فخرج منها منهزماً ، وقتل جماعة من رجاله ، وأسر بعضهم .

وفي سنة ٤٨٣ غلت الأسعار بإفريقية ، وكانت بها مجاعـة شديدة .

وفي سنة ٤٨٤ صلحت أحوال افريقية في الخصب والرخاء .

وفي سنة ٤٨٦ حاصر عسكر تميم مدينة قابس ، وأقام عليها حتى فتح ربضها .

وفي سنة ٤٨٨ كان ما كان من غدر شاه مالك الغزي ليحيى ابن السلطان تميم بن المعز . وسبب ذلك أنّ تميماً خاف الغزي وأوحش منه نفسه ونفس أصحابه لكلام قاله ، فأضمر ذلـك شاه مالك في نفسه ، وكان داهية مكراً ، وخرج يحيى بن تميم أثناء ذلك متصيّداً وفي صحبته نفر من أهل مؤانسته ومنادمته ، وكان شاه مالك مع كثير من أصحابه ، فظفر بـه وقبض عليه وعلى جملة من أصحابه . ولما بلغ تميماً ذلك أنفذ الخيل في طلب الغزي ، فوجدوه قد فات وسار الى سفاقس ودخلها . فركب صاحبهـا حمو بن مليل ، وتلقـّى يحيى بن تميم مع الغزي الذي قبض عليه ، فأقام عنده أياماً ، وكتب الى السلطان تميم يلتمس منه عيـال الغز وأولادهم . فامر تميم بإنفاذهم اليهم ، ودعا يحيى وأضحابه الى المهدية .

وفي سنة ٤٨٩ فتح تميم مدينة قابس ، وأخرج منها عمر ابن المعز أخاه وقد كان ولاه أهلها .

وفي سنة ٤٩١ كانت بافريقية مجاعة شديدة . وفي هذه السنة فتح تميم جزيرة قرقنة ومدينة تونس . وخرجت عدي من افريقية امام رياح .

وفي سنة ٤٩٣ فتح تميم سفاقس ، وخرج منها حمو بن مليل هارباً الى قابس ، فقبله صاحبها مجن بن كامل الدهماني وآواه حتى مات .

وفي سنة ٤٩٨ مات المنصور بن الناصر بن غلناس ، صاحب بجاية والقلعة وما والاهما ، وولي ابنه باديس ، وأقام قليلاً ، ومات . ثم ولي أخوه العزيز بالله بن المنصور .

وفيها وصل الرومانيون الى المهدية بأجفان كثيرة حربية تسمى الشواني، ومعهم ثلاثة وعشرون مركباً،وكان قصدهم ان يجدوا فرصة كما وجدها الروم المتقدّم ذكرهم . فقصدوا الى باب دار الصناعة ليمنعوا أُسطول المهدية من الخروج اليهم ، فخاب ظنهم ، وخرج أسطول المهدية اليهم ، فهزموهم وقتلوا كثيراً منهم .

وفي سنة ٤٩٩ وجّه السلطان تميم أبا الحسن الفهريّ الى جزيرة جربة في عدد جم وأُسطول كثير ، فوجد أهلها قد أخذوا الأهبة له واستعدوا واستمدوا ، فلم يتم له شيء من أمرها .

وفي سنة ٥٠٠ غُدِرت مدينة باجة ، وقُتل فيها خلق كثير.

وفيها رحل المهدي محمد بن تومرت القائم بدعوة البربر المسمين بالموحدين من جبل هرغة بأقصى المغرب الى المشرق في طلب العلم ، فجاز الى الاندلس ووصل قرطبة ، وسار منها الى المرية ، ومنها دخل في مركب الى المشرق ، وغاب في رحلته خمسة عشر عاماً .

وفي سنة ٥٠١ ظهر في أُفق المغرب كوكب عظيم من ذوات الذوائب ، وأقام ليالي كثيرة .

وفيها مات السلطان تميم بن المعزّ ، فكانت مدته نحو سبع وأربعين سنة .

بعض أخبار تميم بن المعز

كان رحمه الله شهماً شجاعاً حازماً عازماً ، يستصغر صعاب الامور ويستسهل عظائم الخطوب ، ويغلب عليه شدة البطش والمبادرة . وهو أحد فحول الشعراء الملوك ، وذوي السبق والتقدم في معانيه وبدائعه ، حوى فيه الجودة والكثرة . وله ديوان كبير من شعره مشهور ، فمن قوله :

فإما المُلك في شرف وعزّ ، عليّ التاج في أعلى السرير
وإما الموت بين ظُبا العوالي، فلست بخالد أبَدَ الدهور

وله في غلام اسمه مُدام ، من قصيدة طويلة :

مدام يطوف بكاس المدام ، فلم أدرِ أيهما أشرب
فهذا الصديق ،وهذي الرَّحيق ، وهذا الهلال ،وذي الكوكب
وهذا يجود بألحاظه ، وهذي بألبابنا تلعب
وما البدر والنجم من ذا وذاك ، ولكنه مثل يضرب

وكان تميم بن المعز جميلاً ، وسيماً ، مديد القامة ، دريّ اللون ، أشمّ ، أبلج . وكان يكثر من استفراغ بدنه ، ويرى أنّ بذلك تتم صحته . وكان يستعمل كل حارّ من الأغذية والأدوية ، ويكثر الاصطلاء بالنار ، ويدخل الحمام الحار ، ويكثر الجماع ، ويشرب الأدوية القوية كالمحمودة وغيرها ،

ويجاوز في ذلك المقدار حتى جف لحمه ، وفسدت حركاته الطبيعية ، وأُقعد ، ثم مات في منتصف رجب من سنة ٥٠١ ، فكان عمره تسعاً وسبعين سنة ، وولايته من يوم وفاة أبيه ستّاً وأربعين سنة وعشرة أشهر ونصفاً . وخلف من الأولاد الذكور ما جاوز عددهم المائة ، وقيل انه كان له من الولد وولد الولد نحو ثلاثمائة .

دولة يحيى بن تميم بن المعز

ونبذ من اخباره وسيره

مولده بالمهدية سنة ٤٥٧ . وولي سنة ٥٠١ وعمره اذ ذاك ثلاث وأربعون سنة . وكان حاذقاً بتدبير دولته ، ساهراً في سياسة رعيته ، كثير المطالعة لكتب السير والاخبار ، أديباً شاعراً ، ذا حظ من اللغة العربية صالح . وكان حسن الوجه ، أشهل العينين ، أجهر الصوت . وتوفي ثاني عيد النحر من سنة ٥٠٩ فجأة مقتولاً في قصره بالمهدية ، فكانت مدة ملكه ثماني سنين وستة أشهر . وخلف من الاولاد ثلاثين ولداً ذكوراً . ومما حدث في أيامه من الوقائع ما أذكرها ملخصة مؤرخة باوقاتها .

وفي سنة ٥٠٢ فتح يحيى بن تميم قلعة أقليبة . قال ابن القطان : كان لتميم بن المعز من الولد ثلاثمائة ، فنفى يحيى أكبرهم الى المشرق والمغرب والاندلس . وكانت ايام يحيى هادئة وادعة . وكان يطلب عمل الكيمياء ، وجعل لها داراً تردها الطلبة ، وأجرى عليهم الانفاق ، ومكنهم من الآلات .

وفي سنة ٥٠٣ جرّد يحيى بن تميم من اسطوله خمسة عشر غراباً للغزو في بلاد الروم ، فاصيب منها ستة ، وعادت الباقية الى المهدية .

وفي سنة ٥٠٤ كان بالمغرب زلازل عظيمة دامت شهر شوال كله . وأمير افريقية يحيى بن تميم بن المعزّ .

وفي سنة ٥٠٥ وصل سوار رسول صاحب مصر بهدية الى أمير افريقية يحيى بن تميم ، فتلقاه بغاية الاكرام والاهتمام ، وأقام عنده حتى صرفه ، وأصحبه من الذخائر والألطاف ما لا يحيط به الوصف .

وفي سنة ٥٠٧ وصل أسطول المهدية بسبي كثير من بلاد الروم في ربيع الآخر ، فسُرّ بذلك يحيى بن تميم والمسلمون .

وفي سنة ٥٠٨ ولى أمير افريقية يحيى ابنه عليّاً مدينة سفاقس ، وولى اخاه عيسى مدينة سوسة .

وفيها هجم الروم على مَيورقة ، وهي بيد مُبشر الفتى مولى ابن مجاهد ، ودخلوها عنوة ، وقتلوا رجالها ، وسبوا ذراريها ونساءها ، وذلك بعد حصار شديد ؛ ثم استرجعها عليّ بن يوسف من أيدي الروم .

وفي سنة ٥٠٩ وصل الى المهدية رجلان أو ثلاثة ، ذكروا انهم من طلبة المصامدة ، عارفين بصناعة الكيمياء ؛ فابيح لهما الدخول الى دار العمل . فلما أحكما ما أرادا استأذنا على السلطان يحيى بن تميم ، فقال لهما : أوقفاني على الطرح وحقيقة السر . فقالا : على أن لا يحضر إلا أنت ووزيرك . فحضر هو

ووزيره وعبده أبو خنوس ؛ فصنعا البوط وألقيا الرّصاص ، وأحميا عليه ، وجعلا كأنهما يخرجان الاكسير . فأخرجا خناجرهما وقتلا الوزير وأبا خنوس ، وأكثرا في السلطان الجراح ، فبقي يعاني جراحه حتى مات . وقالا له حين جرحاه : أيها الكلب ، نحن أخواك فلان وفلان ، نفيتنا وبقيت في المُلك . وثارت الصيحة إذ ذاك ، فدخل العبيد وقُتل الرجلان للحين . ومات يحيى يوم عيد الاضحى من سنة ٥٠٩ . وكان الامير يحيى مدة مرضه إثر هذه النوبة والغدر ، نفى ابنه الفتوح الى قصر زياد ، وأظهر اتّهامه في القضية ، فأقام هناك الى حين وفاة أبيه وولاية عليّ أخيه ، ثم نفاه عليّ أيضاً الى المشرق ، فتوفي هنالك .

وفي هذه السنة عقد الامير يحيى نكاح العزيز بالله بن المنصور صاحب القلعة وبجاية على بنته بدر الدُّجى ، وجهّزها اليه .

دولة علي بن يحيى بن تميم بن المعز بالمهدية

وبعض بلاد افريقية

لما توفي الأمير يحيى اجتمع أهل الدولة على نفاذ كتاب الى علي على لسان أبيه ، وكان عليّ يلي سفاقس ، فكتبه الكاتب وكتب علامة يحيى وكانت : الحمد لله وحده . فوصل الخبر الى عليّ ليلاً ، فخرج لوقته ، فوصل الى المهدية ثالث عيد النحر ، فدفن أباه في القصر ، ودخل الناس اليه معزّين ومهنئين ، وعمره ثلاثون سنة . فاستتب له الامر ، واستوسق له الملك . وكان كريماً جواداً ، يركن الى الراحة واللذّات ، واتكل على قوم فوّض اليهم تدبير دولته . فعاجلته منيّته في ربيع الآخر من سنة ٥١٥ ، فكانت دولته خمس سنين وأربعة أشهر واثني عشر يوماً . وخلف من الولد الذكور أربعة : الحسن ، والعزيز ، وباديس ، وواله .

وفي سنة ٥١٠ أمر بعمارة الاسطول الى جربة ، فحاصروها الى أن أقرّ أهلها بالطاعة له ونزلوا على حكمه .

وفي سنة ٥١١ أرجف العوام بأنه يكون في رمضان حادث كبير ، وأن السلطان يموت فيه . وفشا القول بذلك وانتشر ، فكذّب الله قولهم . وقال الشعراء في ذلك كثيراً ، منه :

أشاعوا أباطيلاً وبَثُّوا زخارِفاً، دعتهم لها آمالهم والمطامعُ
فلو يستطيع الناس من فرط حبهم، لضمّتْك أحشاء لهم وأضالعُ

ومنه :

وأصبح قول المُبطِلين مُكذّباً، ومَدّ لك الرحمن في أمَدِ العمرِ
فأين الذي حدّ المُنَجِّم كونه إذا مَرّ للصُّوّام عَشر من الشهرِ

وفيها وصل رسول صاحب مصر بهدية الى المهدية .

وفيها حاصر عليّ بن يحيى مدينة قابس ، ودوّن بعض قبائل العرب . فلما بلغ ذلك رافعاً صاحبها خرج مُتطارحاً على وجوه الجيش ، راغباً في الصلح ، فلم يجبه عليّ الى ذلك . وفي اثناء ذلك نزل على المهدية ببيوته ومن ساعده من عشيرته ؛ فخرج من كان بالمهدية ، فهجموا على بيوته ؛ فتصايحت نساء العرب ، فغارت العرب لذلك ، ووقعت الحرب بين الفريقين ، والأمير على باب زويلة . ثم إن علياً دوّن على رافع ثلاثة أخماس العرب من جيشه ، فصمد رافع نحوهم ، والتقى الجمعان. ثم ولى رافع قاصداً الى القيروان . واجتمعت شيوخ دهمان ، واقتسموا البلاد بينهم ، فأعطوا رافعاً مدينة القيروان . ووصلت العرب المدوّنة الى الأمير عليّ بن يحيى ، فوهبها أموالاً جمّة وأمرها بالمسير الى القيروان . فوقع بينهم وبين رافع قتال شديد كان الظهور فيه لحزب عليّ بن يحيى ، في خبر طويل .

وفي سنة ٥١٢ وصل الى الامير عليّ بن يحيى ، من قِبَل صاحب صقلية رجار ، رسول منه يلتمس تجديد العقود وتأكيد العهود ، ويطلب أموالاً كانت له موقفة بالمهدية ، وذلك بعُنف وغلظة . فردَّ عليّ رسوله دون جواب وجبهه بالقول ، فتزايدت الوحشة بينه وبين رُجار ، فأوسع شرّاً وحاول بعد ذلك مكراً .

قال ابن القطان : وكان في هذه السنة غلاء عظيم ووباء ، وبلغ ربع الدقيق بتلمسان عشرين درهماً .

وفي سنة ٥١٣ اغزى ابراهيم بن يوسف بن تاشفين ، اخو ملك الغرب ، قورية بالاندلس ، ففتحها الله عليه . وامير افريقية علي بن يحيى بن تميم .

وفي سنة ٥١٤ كانت وقعة بالاندلس انهزم فيها المسلمون ، وهي وقعة قتندة . قال ابن القطان : مات فيها نحو عشرين الفاً .

وفيها كان حلول ابن تومرت المتلقب بالمهدي بأغمات ، محرضاً على الخروج على السلطان وتفريق الكلمة المنتظمة .

وفي سنة ٥١٥ خرج علي بن يوسف من مراكش الى الاندلس ، فوصلها في ربيع الاول ، وأخّر ابن رشد عن القضاء وولى أبا القاسم بن حمدين ، ثم رجع الى مراكش .

وفيها توفي امير افريقية علي بن يحيى بن تميم .

دولة حسن بن علي بن يحيى

ابن تميم بن المعز بافريقية

كان ابوه فوض اليه الامر في حياته ، وعمره اثنتا عشرة سنة وتسعة اشهر ، ومولده بمدينة سوسة في رجب سنة ٥٠٢ . فلما مات ابوه دخل الناس اليه مهنئين ومعزين بالملك والوفاة ، وانشدته الشعراء ، وتكفل بامر دولته صندل الخادم ، لا لمعرفة ولا سياسة .

وفي سنة ٥١٦ غزا ابو عبد الله بن ميمون ، قائد علي بن يوسف ملك البربر ، جزيرة صقلية فافتتح بها مدينة سقوطرة من عمل رجار صاحب صقلية ، وسبى نساءها وأطفالها ، وقتل شيوخها ، وسلب جميع ما وجده فيها ، فلم يشك صاحب صقلية أن المحرك لذلك والمسبب له هو امير افريقية الحسن بن علي ، لما تقدم بينه وبين أبيه من الوحشة العظيمة، فاستنفر اهل بلاد الروم قاطبة ، فالتأم له ما لم يعهد مثله كثرة . فعلم بذلك الحسن بن علي ، فأمر بتشييد الاسوار واتخاذ الأسلحة وحشد القبائل واستقدام العرب ، فجاءت الحشود من كل جهة ومكان، والناس متأهبون لما يطرقهم منهم .

وفي سنة ٥١٧ ، في اواخر جمادى الأولى ، وصل اسطول

الافرنج الى جزيرة الاحاسي ، وخرج منهم الى البرّ خلق كثير وانبسطوا حتى بعدوا عن البحر اميالاً . وفي اليوم الثاني جاء الى المهدية ثلاثة وعشرون شينياً ، فعاينوا العساكر والحشود ، ثم انصرفوا الى الجزيرة فوجدوا العرب قد كشفوا من كان بها من الروم عن مواضعهم ، ومزقوا مضاربهم ، فقويت نفوس المسلمين بذلك . وكان رجار قد امر اسطوله ان يدخل تلك الجزيرة ويأخذ قصر الديماس ، وان يسير الخيلُ والرجلُ من هناك على تعبئة في البر الى المهدية ، فدخلوا القصر لليلتين خلتا من جمادى الاولى ، وفي آخر ليلة منه كبّر المسلمون ودخلوا الجزيرة فانهزم الروم الى اجفانهم بعدما قتلوا بايديهم كثيراً من خيولهم . واخذ المسلمون فيما يحتاجون اليه نحو اربعمائة فرس وآلات كثيرة واسلحة . واحاطت العساكر بقصر الديماس تقاتله ، واهل الاسطول في البحر يعاينون ذلك ، الى ان طلب الروم الأمان من السلطان الحسن بن علي بن يحيى بن تميم ؛ فلم تساعد العرب على ذلك . وخرجوا في منتصف جمادى الآخرة ، فأخذتهم السيوف وقتلوا عن آخرهم . وكان عدد الأجفان فيها نحو ثلاثمائة ، وعدد الخيل نحو الف فارس .

أخبر ابو الصلت قال : أخبرني عبد الرحمن بن عبد العزيز قال : رأيت على باب رجار بصقلية رجلا من الافرنج ، طويل

اللحية ، يتناول طرف لحيته بيده ، ويقسم بالانجيل انه لا يأخذ منها شعرة حتى يأخذ ثاره من اهل المهدية . فسألت عنه فقيل لي انه لما انهزم جذب بها حتى ادمته . الى هنا انتهى كلام ابي الصلت في اخبار المهدية واميرها الحسن بن علي بن يحيى بن تميم الى سنة ٥١٧ . وبقي الحسن بن علي مالكاً للمهدية وبلاد تلك الجهات الى سنة ٥٤٣ ، ثم خرج باستيلاء صاحب صقلية عليها .

وفي سنة ٥١٨ استفحل أمر المهدي والموحدين بالغرب ، وامير افريقية الحسن بن علي بن يحيى . ومات في هذه السنة العزيز بالله ، صاحب بجاية ، وولي ابنه يحيى . وكان لبني الناصر ابن علناس بن حماد ببجاية والقلعة وتلك البلاد وزراء يعرفون ببني حمدون ، توارثوا وزارتهم ، منهم : ميمون بن حمدون عند يحيى هذا ، فنشأ ليحيى ولد ولاه الامر بعده وفوض الامور اليه في حياته ، فجعل الولد يستنقص الوزير ميموناً ، ويقبح افعاله ، ويسميه الشيخ الكذاب . فخاف منه ميمون على نفسه ، وخاطب ابا محمد عبد المؤمن .

وفي سنة ٥١٩ كان امير افريقية الحسن بن علي على حاله . وخرج الطاغية ابن ردمير الى بلاد المسلمين ، فدوخها بلداً بلداً وضيق عليها .

وفي سنة ٥٢٠ اجتمعت عساكر المسلمين بالاندلس ، فتلاقوا مع عدو الله ابن ردمير ، وكان قد اذاق المسلمين شراً مذ سنين ، فدارت بين الفريقين حرب عظيمة كان الظفر فيها للمسلمين . ثم اخبر الناس ان تميماً رجع فاراً بنفسه ، فانهزم المسلمون ، وركبهم النصارى بالقتل ، واحتووا على المحلة بما فيها . وسار تميم الى غرناطة ، وانبسطت خيل النصارى على المسلمين ، يقتلونهم كيف شاؤوا ، وتفرق الناس أيدي سبا ، ولجأوا الى المعاقل ، وكانت قريباً منهم ، فوقاهم الله شرَّهم .

وفي سنة ٥٢١ وقيل في سنة ٥٢٠ نهض ابو الوليد بن رشد الى مراكش للاجتماع بعلي بن يوسف في المصالح ، وعزل تميم عن غرناطة .

وفي سنة ٥٢٢ أشار ابن رشد ببناء سور مراكش ، فبناه عليٌّ بن يوسف ، وانفق فيه سبعين ألف دينار .

وفيها بعث العزيز بالله بن المنصور صاحب بجاية عسكراً الى المهدية ، قوَّد عليه ابن المهلب ، فنزل عليها ، ثم انصرف ناكصاً على عقبه .

وفيها وصل مطرف بن علي بن خزرون الزناتي الى تونس ، وأخرج منها أحمد بن عبد العزيز بن عبد الحق بن خراسان ، وقفل الى الحجاز ، وبها مات على ما يأتي . وولي تونس في هذه السنة كرامة بن المنصور الصنهاجي من قبل صاحب بجاية .

وفي سنة ٥٢٣ كان الامير بإفريقية حسن بن علي ، على ما كان عليه في السنة قبلها ، وصاحب بجاية يحيى بن عبد العزيز بالله ، ووزيره ميمون بن حمدون .

وفي سنة ٥٢٤ قتل امير مصر الملقب بالآمر ، وكان جباراً عنيداً ، قتله الغلام الذي اسمه حرز الملوك ، وكان استبد بالوزارة له . وكان الآمر ولى عهده عبد المجيد .

وفي سنة ٥٢٧ قال الورّاق في مقباسه : بعث الله قوماً تحالفوا على قتل الجبار العنيد بمصر الملقب بالآمر . قيل انهم قصدوا اليه من بلاد الشام احتساباً ، وكانوا عشرة اناس ، فاقاموا بمصر ، وعلموا بيوم ركوبه ، وكان اذا ركب سدّت الحوانيت والديار في ممرّه ، ولا يمرّ في طريقه احد سواه ، ويجعل نصف عسكره امامه ، ونصفه وراءه ، وفي وسط تينك المسافتين اللتين امامه وخلفه فارسان، بينهما وبينه ما بينهما وبين العسكر ، وحوله اربعة من عبيده . فقصد هؤلاء القوم الى طريقه ، وفيه فرن ، فقصدوا الى الفرّان ، ومعهم دقيق ، وقالوا له : نريد منك ان تخبز لنا هذا الدقيق ، فإنا قوم غرباء مسافرون . فاعتذر لهم بالسلطان ، فرغبوه ، وشرط عليهم العجلة ، ثم شغلوه بالحديث الى أن مرّ عليه مقدّم العسكر الاول ، فأعنف عليهم في الخروج . فلما رأوا ذلك أدخلوه

داخل الفُرن وسدّوا فمه بغطائه ، وأَغلقوا باب الفُرن عليهم ، الى أن سمعوا حوافر فرسه . فأول من خرج من الفرن كهل منهم ، فجعل يسجد الى الأرض وينادي : أنا بالله وبعدل مولانا . ويسجد مرة بعد أُخرى ، الى أن ألقى بيده في شكائم الفرس ، وأخرج سكيناً وضرب بها بطن الفرس فسقط الى الأرض ، وخرج أصحابه من الفرن مبادرين ، فضربوه بسكاكينهم الى أن فرغوا من قتله . وقُتلوا في الحين أجمعين . وأراح الله من الفاجر الطاغي . وهو الذي أكثر في زمانه دعوى الباطل ونصر الظالم ، وعمل جهنم يعذّب فيها الناس ، وأباح المحظورات جهاراً في النزاهات ، وغير ذلك من قبائحهم لعنهم الله ، أعني الشيعة العبيدية .

وفي سنة ٥٢٨ كان ولاة افريقيــة على ما كانوا عليه في السنة قبلها .

وفي سنة ٥٢٩ صرخ الموحدون بموت المهدي ، وسمّوا عبد المؤمن بأمير المؤمنين .

وفيها ولي قضاء فاس عبد الحق بن عبد الله بن معيشة ، فأراق الخمر ، وكسر الدنان ، وشدّد على أهلها ، وزاد في الجامع الكبير ، فكان البناء فيه آخر هذه السنة .

وفي سنة ٥٣٠ نزل علي بن حمود على المهدية بعسكر

من قبل صاحب بجاية العزيز بن المنصور ، ومال برسم العرب ، فنزل بظاهر زويلة ، وناشب القتال براً وبحراً ، فأخرج اليهم صاحب المهدية أسطوله ، فأخذوا من اسطول بجاية غرابين ، وأمر بسجن قائدهما ، فأما الواحد فمات من سهم أصابه . ثم وصلت العرب لنصرة المهدية ، فرحل عسكر بجاية عن المهدية بعد إقامته سبعين يوماً . وأمر الحسن بن علي قائده بقتل القائدين ، فقُتل احدهما بين يديه ، ووجد الآخر قد مات من سهم كان أصابه .

وفيها جهز رجار صاحب صقلية اسطولاً ، فقصدوا جزيرة جربة ، واستولوا عليها ، وسبوا أهلها .

وفي سنة ٥٣٢ كان موت عبد المجيد صاحب مصر . وكان للشيعة في تولية خليفة عليهم خبر طريف يذكر في موضعه .

وفي سنة ٥٣٦ توفي ابو عبد الله المازري ، وأبو الصلت .

وفيها أخذ صاحب المهدية المركب الذي انشأه صاحب بجاية وبعثه بهدية الى صاحب مصر ، وسبب ذلك أنه كان في الاسكندرية مركب للحسن صاحب المهدية عطله عن السفر صاحب الديوان لأنه سعى في الشتات بين الحسن وبين صاحب مصر ، وقصد المواصلة بين صاحب مصر وصاحب بجاية ، فاقلعت المراكب وبقي هو محبوساً ، وأقلع في جملتها المركب

البجائي ببضائع عظيمة لها شأن وأثمان للتجار، وهدية الى صاحب بجاية ، فعمل عليه الحسن وأخذه وأمر بتفريغه . وبقي المركب فارغاً حتى جاءت صدمة أكتوبر فانكسر .

وفي هذه السنة خرج جرجي من صقلية في خمسة وعشرين غراباً ، وضرب على مرسى المهدية ، فأخذ جميع ما كان فيه من المراكب ، وفيه مركب جديد أنشأه الحسن من خشب المركب الذي انكسر لصاحب مصر .

وفي سنة ٥٣٧ خرج أُسطول صاحب صِقِلية ، فضرب على مدينة اطرابلس ، فخيبه الله .

وفي سنة ٥٣٨ دخل مدينة سفاقُس ، ودخلت في عمل رُجار صاحب صقلية .

وفي سنة ٥٤٣ كان تغلب الروم على مدينة المهدية ، وخرج منها صاحبها الحسن بن عليّ بن يحيى بن تميم بن المعزّ بن باديس ابن المنصور بن بُلُقين بن زيري بن مناد بن منقوش الصنهاجيّ بجملته وحاشيته . وتبعه أهل البلد فارّين بأهليهم . وكان قائد رُجار صاحب صقلية جرجي بن ميخايل الانطاكي ، وكان أبوه علجاً من علوج أبيه تميم . فكان هذا اللعين عارفاً بعورات المسلمين بالمهدية وغيرها ، فلم يزل رُجار وقائده جرجي يحيلان على المهدية بحيلهما ، الى أن استوليا عليها في هذه السنة . وتُعرف

هذه الكائنة الشنعاء بكائنة يوم الاثنين . وبقيت بأيدي الروم
حتى افتتحها الموحدون ، على ما أذكر في دولتهم . ولما استولى
صاحب صقلية على هذه المدينة كانت بافريقية مجاعة عظيمة ،
فخاف أهل تونس من أهل هذه السواحل من النصارى . وكان
صاحب صقلية افتتح سفاقس ودخل بونة وسبى أهلها ، فأخذ
أهل تونس في الاستعداد والاهبة والوقوف بجماعاتهم وقتاً بعد
وقت عند باب البحر ، بحضر واليهم معدّ بن المنصور ، وهو في
الديوان الذي على الباب ، فخرجوا يوماً من أيام عرضهم ،
فوجدوا قارباً يوسق زرعاً ، فأنكرت العامة خروج الزرع من
بلدهم في تلك الشدّة الى موضع تحت مملكة الروم ، واجتمعوا
على منعه ، وضجت العامة وارتفع صياحهم ، فتعرّض لهم
رجال معدّ بن المنصور ، فوضعوا السلاح فيهم وفي عبيد معدّ
واليهم ، وقتلوهم قتلة شنيعة ، وأطلقوا النار تحت برج الديوان
فنزل معدّ عنه واستسلم للعامة ، فوقفوا عنه ، فكانوا يأخذون
رجاله وعبيده من تحت ركابه ويقتلونهم . وبقي معدّ بعد
ذلك بتونس على حال قهر من العامة ، وكتب الى بجاية ،
فجاءه غراب منها ، فطلع فيه مع بنيه وسار الى بجاية .
ورجع النظر في تونس لقائد من قواد صنهاجة مدة يسيرة ، ثم
انصرف وبقي البلد في حكم العامة ، فكانت الفتنة المشهورة

فيهم ، والقتال بين أهل باب السويقة وأهل باب الجزيرة ، ومدبرهم في تلك المدة قاضيهم أبو محمد عبد المنعم ابن الامام أبي الحسن رحمه الله . ولما اشتدّ خوف أهل تونس من صاحب صقلية ومما سمعوه من غضب صاحب بجاية واستعداده لهم ، أخذوا في تمليك محمد بن زياد العربي بإرادة قاضيهم .

فلما عزموا على ذلك ، ووصل ابن زياد الى تونس ، وخرج القاضي والأشياخ الى لقائه ، صاح رجل من العامة : لا طاعة لعربي ولا غزي . وقامت الفتنة ، فرجع ابن زياد الى القلعة ، وأراد القاضي الرجوع الى المدينة ، فمنعته العامة وأخرجته ، فسار مع ابن زياد الى القلعة ، وأقام بها مدة طويلة ، الى ان مات رحمه الله . فيقال انه كان راقداً في الصيف في طاق علوّ فوقع منها ومات ، ويقال انه رمي منها . ثم ان العامة وجهوا الى أبي بكر بن اسماعيل بن عبد الحق بن خراسان ، فوصل الى تونس بالليل ، فرفع في قفة من السور وولي تونس ، فأقام عليها نحو سبعة أشهر ، ثم غدر به عبد الله ابن أخيه عبد العزيز ، على ما يأتي . وإذ قد وقع ذكر بني خراسان فاذكر ولايتهم تونس على النسق ، ومن وليها من غيرهم ، الى دخول الموحدين اليها ، بحول الله تعالى .

ذكر من ولي تونس من الامراء

من بعد زوال ملك المعز بن باديس منها

لما انتقل المعزّ من القيروان والمنصورية الى مدينة المهدية ، وأسلمها الى العرب ، اختلّ مُلكه بفتنة العرب الواصلين من المشرق ، كما تقدم ، واستحوذوا على كثير من حواضر افريقية ، وكان منهم في حصار تونس وما يليها من البلدان ما كان ، مثل باجة والاربس وما يليهما ، وكان بنو حمّاد قد طمعوا في مُلك افريقية ، وصارت عمالة القيروان في ايديهم مدة بمداخلتهم العرب وإحسانهم اليهم ، وانقطع مُلك المعزّ عن تونس وغيرها وضعفت دولتهم بالمهدية عن حمايتها ، فمشى أشياخ من أهلها الى الناصر بن علناس ، وهو إذ ذاك في القلعة دار مُلكهم وناظمة سلكهم ، فاستدعوا منه النظر الى مدينتهم وتقديم والٍ من قِبَلِه عليهم ، فأمرهم أن يختاروا شيخاً منهم ، يقوم بأمرهم خلال ما ينظر اليهم . فيقال إنهم راموا تقديم كبير منهم ، فاستعفى وتوقف . فوليها من قِبَل الناصر عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان ، فأقام بها والياً الى أن مات سنة ٤٨٨ ، ثم وليها بعده ولده عبد العزيز بن عبد الحق ، فأقام بها الى أن مات في سنة ٥٠٠ ، ثم وليها ولده أحمد بن عبد العزيز بن عبد

الحق ؛ فبقي والياً عليها اثنتين وعشرين سنة ، حتى أخرجه عنها مُطرِّف بن عليّ بن حمدون الى بجاية ، وكان قد بنى قصراً بتونس سُمّي قصر بني خراسان ، وطالت مدته كما ذكرنا ، فاشتدّت وطأته ، وخرج عن سيرة الأشياخ الى آثار جبابرة الملوك ، وقتل عمّه إسماعيل بن عبد الحق ، وكان أحق منه بالامرة . وفرّ ولده أبو بكر بن إسماعيل الى بنزرت ، فأقام بها خوفاً منه ، وأخرج جماعة من أهل تونس وأشياخها ، ونفاهم الى المهدية وغيرها ، واستبدّ برأيه في أمور تونس ، الى أن وصلت أخباره الى المنصور صاحب بجاية ، فجهز اليه عسكراً قدّم عليه مُطرِّف بن عليّ بن حمدون ، فوصل الى تونس عام ٥٢٢ ، فخرج أحمد اليه ، واستسلم في يديه ، فنقله الى بجاية .

وولي تونس كرامة بن المنصور ، من بني حمّاد ، الى أن مات في سنة كذا وخمسمائة . ثم وليها بعده أخوه أبو الفتوح ابن المنصور ، الى أن مات ، ثمّ وليها بعده محمد بن أبي الفتوح فلم تستحسن سيرته ، فأخرج عنها ، ووليها معدّ بن المنصور ، وكان آخرهم ، فأقام عليها الى سنة ٥٤٣ ، حين استيلاء الروم على المهدية ، فخاف أهل تونس منهم وثاروا على أميرهم معدّ كما تقدّم ، وثارت العامّة بها ، وكانت الفتنة المشهورة فيها . ثم إنهم وجهوا الى بنزرت ، وقدّموا أبا بكر بن اسماعيل بن

عبد الحق ، ثم غدره عبد الله ابن أخيه عبد العزيز بعد إقامته في ولايته سبعة أشهر ، وأخرجه في قارب في البحر ، فرماه البحر ميتاً عند قلعة ابن غبوش . فيقال : غرق ، ويقال : غُرِّق .
فوليها عبد الله المذكور نحو عشر سنين ، وهو الذي قتل القاضي أبا الفضل جعفر بن حلوان ، وقتل معه ولده وولد أخته ابن البنّاد ، لما خشي أن يجمعوا عليه العرب .

وفي أيامه وجه عبد المؤمن عبد الله بن سليمان في قطع من اسطول سبتة ، وأمره بالكشف عن تونس وقوّتها والمجاورين لها من الأعراب . وبعد ذلك بعام وصل السيد أبو محمد عبد الله ابن عبد المؤمن الى تونس ، ونازلها وحاصر عبد الله بن خراسان فيها مدة ، ثم أقلع عنها الى بجاية ، وذلك في سنة ٥٥٣ .

وفي سنة ٥٥١ في شوال كان القيام على النصارى بالمهدية وحصارهم فيها .

وفي سنة ٥٥٢ استولت الروم على زويلة .

وفي سنة ٥٥٤ دخل عبد المؤمن افريقية المرة الثانية ، ونازل تونس ، ثم أقلع عنها وحاصر النصارى بالمهدية .

وفي سنة ٥٥٥ دخل أبو محمد عبد المؤمن مدينة المهدية صلحاً ، واستولى الموحدون عليها في العاشر من شهر محرم .

وفي سنة ٥٥٨ كانت كائنة يوم السبت بنزول الروم على المهدية ، وأخذوا مدينة سوسة ، ثم خرجوا عنها .

وفي سنة ٥٧٣ كانت كائنة يوم الجمعة بنزول النصارى على المهدية ، ثم غدرها ابن عبد الكريم في ربيع الآخر منها ، ودخلها يحيى بن غانية الميورقي في شعبان من سنة ٥٧٨ ، فلم يزل بها هو وأصحابه لَمْتونة ومَسّوفة ، يغيرون منها على افريقية ، حتى تملكوا بعض بلادها ، الى ان دخلها أبو عبد الله الناصر مع الموحدين في جمادى الأولى من عام ٦٠٢ .

ذكر الامراء والولاة بافريقية لخلفاء بني امية

عُقبة بن نافع . ثم أبو المهاجر . ثم عُقبة ثانية . ثم زهير بن قيس . ثم حسّان بن النعمان الغسانيّ . ثم موسى بن نصير . ثم محمد بن يزيد . ثم إسماعيل بن عبد الله . ثم يزيد بن أبي مُسلم الثقَفيّ . ثم محمد بن أوس الأنصاريّ . ثم بشر بن صفوان . ثم عُبيدة بن عبد الرحمن السلميّ . ثم عبد الله بن الحبحاب . ثم كلثوم بن عِياض . ثم حنظلة بن صفوان . ثم عبد الرحمن بن حبيب القرشيّ . ثم الياس بن حبيب . ثم حبيب بن عبد الرحمن . فهؤلاء الثمانية عشر هم الولاة عليها من بني أُمية ، رحمهم الله .

ووليها للصفرية

عاصم الوَرْفجوميّ ، وعبد الملك بن أبي الجعد . وكانت مدتهما سنة واحدة وشهرين .

ووليها للاباضية

أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمْح ، مولى المعافر ؛ وكانت مدته سنتين اثنتين .

ووليها لبني العباس

محمد بن الأشعث الخُزاعي . ثم عيسى بن يوسف القيسيّ . ثم الأغلب بن سالم التميميّ . ثم الحسن بن حرب الكنديّ . ثم الأغلب . ثم سالم ثانية . ثم عمر بن حفص المُهَلَّبي . ثم يزيد ابن حاتم السلَمي . ثم داود بن يزيد . ثم رَوْح بن حاتم . ثم الفضل بن روح بن حاتم . ثم هرثمة بن أعين . ثم محمد بن مقاتل العكي. ثم تمام بن تميم التميمي. ثم محمد بن مقاتل ثانية .

ووليها من بني الاغلب

ابراهيم بن الأغلب . وعبد الله بن ابراهيم بن الأغلب . والأغلب بن ابراهيم بن الأغلب. ومحمد بن الأغلب بن ابراهيم. وأحمد بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم . وزيادة الله بن محمد ابن الأغلب بن ابراهيم. ومحمد بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم. وابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم . وعبد الله ابن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب . وزيادة الله بن عبد الله بن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم ابن الأغلب ، وهو آخر بني الأغلب بإفريقية . وكان انقراض دولتهم سنة ٢٩٦ .

ومن الشيعة العبيدية

أبو عبد الله الداعي . ثم عُبيد الله المهديّ ، واليه تنسب العبيدية بمصر . ثم ابنه القاسم بن عبد الله . ثم ابنه إسماعيل بن أبي القاسم ، وهو الذي ملك مصر ، ورحل اليها في آخر أيامه .

ومن صنهاجة القائمين بدعوة العبيدية

ومن ولايتهم

بُلُقين بن زيري . المنصور بن بلقين . باديس بن المنصور . المُعِزّ بن باديس . تميم بن المعزّ . يحيى بن تميم . علي بن يحيى . الحسن بن علي ؛ وعليه دخلها الروم .

البيان المغرب في أخبار المغرب

الجزء الأول في

أخبار الاندلس



